The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Usoul Eddeen
Master of Islamic Aqida& Contemporary Doctrines



الجامعـــــــــــة الإســـــــــلامية بغـــــــزة
عمـــادة البحـــث العلمـــي والدراســـات العليـــا
كليـــــــــــة أصـــــــــــول الـــــــــــدين
ماجستير العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال موسوعة دائرة المعارف الإسلامية

The Orientalists' Systematic Infringements in Studying of the Islamic Doctrine in Encyclopedia of Islam

إِعدَادُ البَاحِثة
ميسه عوني علي الحداد

إشراف
الدكتور/ محمد مصطفى محمد الجدي

قُدمَت هَذه الخطة اِستِكمَالًا لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ فِي العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

رجب/1441هـ – مارس/2020م

إقــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرِّسالة التي تحمل العنوان:

مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال موسوعة دائرة المعارف الإسلامية

The Orientalists' Systematic Infringements in Studying of the Islamic Doctrine in Encyclopedia of Islam

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرّسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name	ميسه عوني الحداد	اسم الطالبة:
Signature	ميسه عوني الحداد	التوقيع:
Date	2020/03/21م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref
التاريخ 19/04/2020م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **ميسة عوني علي الحداد** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية
من خلال موسوعة دائرة المعارف الإسلامية

The Orientalists' Systematic Violations In Studying Islamic

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاحد 25 شعبان 1441**هـ الموافق **2020/04/19**م الساعة **الحادية عشرة صباحا**، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. محمد مصطفى الجدي	**مشرفا ورئيسا**	....
أ. د. محمد حسن بخيت	**مناقشا داخليا**	....
أ. د. محمود يوسف الشوبكي	**مناقشا خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

التاريخ: 6 /5 /2020م

الرقم العام للنسخة	236948	اللغة	ع	ماجستير ☑ دكتوراه ☐

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ة/ ميسم عوني الحداد

رقم جامعي: 220170152 قسم: العقيدة كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD).
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب ....

إدارة المكتبة المركزية ....

ملخص الدراسة

هذا البحث بعنوان: مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، وقد اشتمل على: مقدمة، وتمهيد، وثلاث فصول، وخاتمة.

فأما المقدمة: فقد تناولت الباحثة أهمية البحث، ومشكلته، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث، إلى جانب خطة البحث.

وأما التمهيد: فقد تناولت الباحثة تعريف المنهجية وبيان دورها في دراسات الفكر الإسلامي، ونبذة عن الاستشراق، ونبذة عن دائرة المعارف الإسلامية.

وأما الفصل الأول: فقد تناولت الباحثة فيه منهجية المستشرقين التصنيفية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، وذلك ببيان منهجيتهم في نقل وتوثيق مسائل العقيدة، وفي صياغة الأفكار المتعلقة بالعقيدة الإسلامية.

وأما الفصل الثاني: فقد تناولت الباحثة فيه منهجية المستشرقين الاستدلالية على الأصول الاعتقادية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، وذلك ببيان مخالفاتهم للمناهج العلمية في الاستدلال، ومغالطاتهم الاستدلالية.

وأما الفصل الثالث: فقد تناولت الباحثة فيه مغالطات المستشرقين المنهجية في التشكيك بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، وذلك ببيان مخالفة المستشرقين للأسس العلمية في نقد العقيدة الإسلامية، ومخالفتهم قواعد النقد العلمي.

وأما الخاتمة تم فيها استخلاص أهم النتائج التي تم التوصل إليها، منها:

- القصور في استخدام المناهج العلمية خلال دراستهم للعقيدة الاسلامية.
- المبالغة في التشكيك غير المنهجي.
- التأصيل الممنهج لأفكار وآراء أهل البدع والضلال.

ثم ذكر التوصيات، ومن أهمها:

- دراسة مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة آل البيت من خلال دائرة المعارف الإسلامية.
- دراسة مقارنة بين طبعات دائرة المعارف الإسلامية في دراستهم لمسائل العقيدة الإسلامية.
- توصية طلبة الشريعة الإسلامية بدراسة منهج المستشرقين في دراسة الشرائع والعبادات من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

Abstract

This study is entitled: The Orientalists' Systematic Infringements in Studying of the Islamic Doctrine in Encyclopedia of Islam. It is divided into an introduction, an introductory chapter, three chapters, and a conclusion.

The introduction presents the importance of study, its problem, study objectives, review of literature, and limitations of the study, research methodology, and research plan.

The introductory chapter addresses the research methodology and its role in Islamic thought studies, a briefing on Orientalism, and a briefing on the Encyclopedia of Islam.

The first chapter discusses the orientalists' taxonomic methodology in the study of the Islamic doctrine in the encyclopedia of Islam, by showing their methodology in reporting and documenting issues of doctrine and in formulating the ideas related to it.

The second chapter discusses the Orientalists' deductive approach on the fundamentals of Islamic doctrine in the encyclopedia of Islam, by showing their violations to the scientific method of reasoning, and their evidentiary fallacies.

The third chapter discusses the methodological fallacies of Orientalists in questioning the Islamic doctrine in the encyclopedia of Islam by explaining the orientalists' violation of the scientific principles in criticizing the Islamic doctrine, and their violation of the rules of scientific criticism.

The **conclusion** contains the most important findings and recommendations of the study.

الإهـداء

إلى معلم البشرية ومنبع العلم

(نبينا محمد ﷺ)

إلى العطاء المتجدد الذي لا ينفذ

وحبي الأسمى في هذه الحياة

(والديّ العزيزين)

إلى الروح التي سكنت روحي ابنة قلبي

(حبيبة)

إلى من آثروني على أنفسهم

(إخوتي وأخواتي، ومنهم أخي أبو طالب الغائب عن عيوننا الحاضر في قلوبنا)

إلى من أحاطني بدعوة في ظهر الغيب

إليهم جميعاً.. أهدي هذا البحث المتواضع

شكر وتقدير

أول مشكور هو الله ﷻ ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ (الأحقاف:15)، فإني أشكر الله تعالى وأحمده أن أنعم علي بنعمة الإسلام، وأن يسر لي أن أسير في طريق العلم، وألهمني إلى دراسة العلوم الشرعية، وتحصيلها، وأحمده على تيسيره لي إتمام هذا البحث، وأسأله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يغفر ما وقع فيه من تقصير أو خطأ.

واعترافًا بالفضل، وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (إبراهيم:7)، أوجه شكري إلى مشرفي الدكتور الفاضل **محمد مصطفى محمد الجدي** على صبره ودعمه ومساندتي وإرشادي طوال مشواري البحثي، فأسأل الله أن يبارك في علمه ويرفع به درجته في الدنيا والآخرة.

كما وأشكر الأستاذين الأفاضل:

الأستاذ الدكتور/ محمد حسن بخيت حفظه الله.

الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف الشوبكي حفظه الله.

على قبولهما مناقشة الرسالة، وبذل الجهد في قراءتها، وإبداء الملاحظات لتحسينها، ورفع قيمتها العلمية، فأسأل الله أن يجزيهم كل خير.

والشكر موصول إلى كل من علمني، ونصحني، وساهم معي في إعداد هذا البحث خاصة أساتذة كلية أصول الدين، وأخص بالذكر قسم العقيدة الإسلامية، فأسأل الله أن يبارك لهم جميعًا في علمهم، ويرفعهم به الدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والشكر موجه للثغر الصامد الجامعة الإسلامية منارة العلم والعلماء.

والشكر لمدقق الرسالة الدكتور أنس الشامي، ومنسقها الأستاذ أبو خليل الصوص، وللدكتور علي الصعيدي، والدكتور صلاد الدين فرج لتزويدي ببعض المصادر، والمعلومات، بارك الله بعلمهم، ورفعهم به الدرجات العلا.

والشكر موصول لأخواتي وإخواني وزوجاتهم وأولادهم، وجدتي، وأعمامي وعائلاتهم وأخص بالذكر ابنة عمي الغالية فدوى وزوجها معين الحداد، وأخوالي وعائلاتهم لتشجيعهم ودعمهم لي طيلة فترة الدراسة حتى خرجت هذه الدراسة إلى النور.

والشكر موصول لأصحاب القلوب النقية صديقاتي في كلية أصول الدين وكلية العلوم فأسأل الله الذي جمعنا في الدنيا، أن يجمعنا في الفردوس الأعلى.

وأخيرًا أشكر كل من ساعدني لإنهاء هذا البحث، فحسبهم إن لم أذكرهم أن الله يعلمهم، فهو الذي يعلم السر وما أخفى، فجزاهم الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

الباحثة/ ميسه الحداد

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

منّ الله على الأمة الإسلامية بكثير من الكرامات، حيث جعلها خير الأمم، كما في قول تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾آل عمران110، وجعل الدين الإسلامي هو الدين الناسخ لجميع ما سبقه، فلهذا كتب الله له الحفظ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ الحجر 9، وفي المقابل، لم يشأ الله تعالى بحكمته العلية أن يحفظ ما سبق الملة المحمدية من كتب وتشريعات، فدخل الزيف، والتحريف كُتب أهل الكتاب، وهذا ما أخبرنا الله تعالى به في قوله: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾النساء 46، وفي موضع آخر يقول: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** ﴾المائدة 15.

ولم يكتفِ اليهود والنصارى بما أدخلوا في دينهم ما ليس منه؛ بل سعوْا جاهدين أن يحرفوا ويشوهوا دين غيرهم، وخاصة دين الإسلام، وأظهروا العداوة دون مماراة، قال ﷻ ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾المائدة 82، وزادت حدة عداوتهم وحقدهم في القرنين الماضيين بشكل ممنهج، من خلال ما عرف بدراسات المستشرقين، فوضعوا المصنفات، وألفوا الموسوعات التي في غالبها تهدف للنيل من الشريعة المحمدية، ولكل ما يمت إليها من صلة.

مع العلم أن دراسة منهجية الاستشراق موضوع معقد، حيث إن مناهج المستشرقين متفاوتة في التشابه والاختلاف زمانًا، ومكانًا، وأهدافًا، لذا من الصعب جمعهم في بوتقة واحدة، ويرجع ذلك لأسباب عدة، أهمها: تعدد معتقداتهم، واختلاف جنسياتهم، وتباين ثقافاتهم، وتياراتهم الفكرية، فالبعض منطلقه كهنوتي، وآخرين مُنطلقهم إلحادي، ربما تجد بعضهم منطلقه سياسي احتلالي، ونادراً ما تجد المحايد المنصف.

ومما برز في هذا المضمار موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية)، والتي تعد من أكبر الدراسات الاستشراقية المشوهة لتعاليم الإسلام سواء منها العقدية، والتشريعية، أوالأخلاقية.

وتُعد هذه الموسوعة الاستشراقية من أعظم مصنفات المستشرقين خطورة، حيث إنها تعد خلاصة جهودهم في الدراسات الإسلامية، وأكثرها انتشاراً في محافل المسلمين العلمية.

وتأسيسًا على ما سبق، سيُركز هذا البحث على المنهجية التي اتبعها المستشرقون في دراسة الأصول العقدية عند المسلمين من خلال دائرة المعارف الإسلامية، والذي سيكون بعنوان: **(مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال موسوعة دائرة المعارف الإسلامية).**

أولًا: أهمية البحث:

تكمن أهمية دراسة منهجية المستشرقين في مصنفاهم كدائرة المعارف الإسلامية ؛ وخاصة المتعلقة بأصول المسلمين الاعتقادية، في كونها:

1- التعريف بماهية موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، من حيث الأهداف والمضامين والآثار.

2- تلقي الضوء على دور المستشرقين في حياتنا العلمية، بقصد الكشف عن دورهم السلبي على عقول المسلمين من خلال موسوعة دائرة المعارف الإسلامية.

3- تساهم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية التي يحاول المستشرقون التشكيك فيها، وإثارة الشبهات حولها، ببيان مغالطاتهم المنهجية من خلال موسوعة دائرة المعارف الإسلامية.

4- تصحيح منهجية البحث والتصنيف في المفاهيم الإسلامية التي قامت الدائرة بتشويهها لدى القارئ الغربي.

ثانيًا: أهداف البحث:

تسعى دراسة منهجية المستشرقين في موسوعة دائرة المعارف الإسلامية؛ فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، في تحقيق:

1– كشف حقيقة أهداف دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية من خلال دراسة مضامينها ومنهجية صياغة أفكارها.

2– التعرف على حقيقة المصادر التي أخذوا منها المادة العلمية في دائرة المعارف الإسلامية.

3– بيان المغالطات التي استخدمت في النقل والتوثيق في دائرة المعارف الإسلامية.

4- استنباط منهجية الاستدلال التي اعتمد عليها المستشرقون في فهم وصياغة مضامين العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية.

5- رصد أوجه القصور في نقد قضايا العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية.

ثالثًا: مشكلة البحث:

لعب المستشرقون دوراً بارزاً في حياتنا العلمية؛ بطريقة لا يمكن إنكارها، أو إغفالها، حيث إن لهم كثير من الدراسات الاستشراقية في الدين الإسلامي، خاصة العقيدة الإسلامية، والتي أصبحت عصب الدراسات العلمية أكثر من الجامعات الغربية بلا منازع.

مع الأخذ بعين الاعتبار وفود طلبة العلم إلى تلك الجامعات الغربية، لتلقي الدراسات العليا في الأديان ومتعلقاتها، والتي منها الدين الإسلامي، وما يتبعه من تتلمذ على أيدي المستشرقين، والنهل من معارفهم، والتسليم بمنهجياتهم المتبعة.

وبالفعل نجحت تلك الجامعات في تخريج جمهرة من قادة الفكر المعاصر، قاموا بإسقاطات مغلوطة عند تناولهم الحديث عن الإسلام سواء بحسن نية ،أو سوء نية، مما ولد حالة من الشك والاضطراب في كثير من المسائل الدينية، وخاصة المتصلة بالعقيدة، مما أوجب على طلبة العلم القيام بدراسات علمية جادة تكشف زيف المنهجية التي اتبعها المستشرقون في أمثال هذه الدراسات، كما في دائرة المعارف الإسلامية، ومحاكمتها بشكل علمي موضوعي، لبيان زيف دعاويهم، والحذر عند الأخذ منها.

رابعًا: حدود البحث:

لقد تعددت مؤلفات أهل العلم في نقد الاستشراق، وكشف شبهاتهم، والرد على أباطيلهم، فتركوا تراثاً علمياً، وإنتاجاً فكرياً كبيراً، لذلك ستهتم هذه الدراسة باستنباط مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، وتتكون حدود الدراسة من:

1. الحد الموضوعي: دراسة منهج المستشرقين في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.
2. الحد الزماني: القرن العشرون والقرن الحادي والعشرون.
3. الحد المكاني: دول الشرق خاصة الدول الإسلامية.

خامسًا: منهج البحث:

هناك مناهج مختلفة ومتعددة في البحوث العلمية، ولكل منهج خاصية يتميز بها عن غيره، ففي هذه البحث سيتم استخدام المناهج التالية:

1- **المنهج الاستقرائي:** والذي سيتم فيه تتبع النصوص المتعلقة بالأصول العقدية، لتكون أساسًا لاستنباط مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

2- **المنهج الوصفي التحليلي:** الذي يقوم بدراسة ظاهرة الاستشراق، وبيان خصائصها، وتحليلها، وتتبع النصوص المتعلقة بالمسائل الاعتقادية في دائرة المعارف الإسلامية، لتكون أساساً لاستنباط مخالفات المستشرقين المنهجية.

3- **المنهج الاستنباطي:** الذي يُعد ركيزة البحث، لأننا من خلاله سنصل إلى بيان مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، لكونه يعتني بالتحليل الدقيق للنصوص كمعرفة الدوافع لها، وبيان الأوجه المحتملة في فهمها وبيان صحتها، ومدى موافقتها لأصولنا العقدية.

4- **المنهج النقدي:** يقوم هذا المنهج على تحليل وتفسير الأفكار والآراء بما تحويه من براهين وحجج للوصول إلى استنتاجات علمية تكشف عن الحقائق.

5- **المنهج التاريخي** الذي يهتم بالعمق التاريخي الزمني لظاهرة الاستشراق ، وهذا يظهر بشكل واضح وجلي في هذا البحث، حيث سيتم التعرض للفترة الزمنية التي ظهر فيها الاستشراق والفترة التي دونت فيها دائرة المعارف الإسلامية.

سادسًا: الدراسات السابقة:

لقد تعددت الدراسات المتعلقة بالاستشراق ، تم الوقوف على معظمها؛ وتعذر الوقوف على بعضها الآخر[1]، وعند التعمق في البحث، تبين انعدام وجود دراسة مكتوبة مطابقة

---

(1) من الدراسات التي تعذر الوصول إليها: دراسة بعنوان " شبهات المستشرقين حول الأنبياء عليهم السلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية "، للباحث: عمر السيد محمد علي أبو سلامة، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، مصر، 2014م. ودراسة بعنوان " اليوم الآخر في كتابات دائرة المعارف الإسلامية "، للباحث: عبد الرزاق بن حميد المحمدي، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 2002م، ودراسة بعنوان " شبهات المستشرقين حول العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية وتفنيدها " ، للباحث: عبد الرحمن محمد المراكبي، ماجستير، جامعة الأزهر، مصر، 2005م.

للإطار المحدد لهذه الدراسة ، وبالتالي سيتم عرض أهم الدراسات التي تناولت الحديث عن (مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية)، لتحديد ما يميز هذا البحث عن غيره، وأهمها:

1- دراسة بعنوان "**العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية**" للباحث: خالد عبد الله عبد العزيز القاسم(1)، حيث تناول فيها الحديث عن المفتريات والأخطاء العقدية في الدائرة، وذلك بعرض هذه الأخطاء ومناقشتها، وذكر مخالفات المستشرقين المنهجية بصورة عامة.

2- دراسة بعنوان " **الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الاسلامية** "للباحث: حميد بن ناصر بن خالد الحميد(2)، حيث تناول فيها الحديث عن الأخطاء العقدية في الدائرة وصنفها حسب أركان الإيمان الستة، مع مناقشة تلك الأخطاء ونقدها، وتعرض بصورة عامة إلى مناهج المستشرقين داخل الدائرة وخارجها.

3- ودراسة بعنوان " **منهج المستشرقين في دراسة العقيدة الإسلامية والفرق** "للباحث: عبد الرافع جمد الأمين (3)، ذكر فيها المؤلف مناهج المستشرقين في دراسة العقيدة من مصادر منوعة، وكان تناوله لها كفصل من فصول البحث، حيث تناول معها منهج الفرق الاسلامية وغير الاسلامية في دراسة العقيدة .

4- ودراسة بعنوان " **مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية** "، للباحث: محمد عامر عبد الحميد مظاهري(4)، حيث رصد فيها المؤلف المناهج الاستشراقية التي اتبعها المستشرقون في كتاباتهم عن عمر ﵁، وبين فيها نقاط ضعف الكتابة الاستشراقية، وأخطائها المنهجية فيما يخص الفترة الزمنية لخلافة عمر ﵁.

---

(1) العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية، خالد عبد الله القاسم، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود، كلية التربية، الرياض، 1431م.

(2) الأخطاء العقدية في دائرة المعارف الإسلامية، حميد بن ناصر بن خالد الحميد، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المدينة المنورة، 1415هـ.

(3) منهج المستشرقين في دراسة العقيدة الإسلامية والفرق، عبد الرافع حمد الأمين، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1999م.

(4) مناهج المستشرقين في كتاباتهم عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دائرة المعارف الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المدينة المنورة، 2002م.

5- ودراسة بعنوان "**موقف المستشرقين من العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية** " للباحث: محمد بن سعيد السرحاني[1]، ذكر فيها ما كتبه المستشرقون عن العبادات في الإسلام (الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج) في دائرة المعارف الإسلامية في لغتها الانجليزية، ونقده لمزاعمهم بأن العبادات في الإسلام من أصول مختلفة جاهلية، ويهودية، ونصرانية، وأنها مرت بمراحل وتطورت عبر العصور.

6- ودراسة بعنوان " **موقف المستشرقين من السنة النبوية من خلال دائرة المعارف الإسلامية** "للباحث: طارق محمد إبراهيم إسماعيل[2]، ذكر فيها المواد المتعلقة بالسنة النبوية في دائرة المعارف الإسلامية التي فيها اختلاف مع الكتاب والسنة، وما له صلة بهما، وبين الشبهات التي أوردها المستشرقين، ثم نقدها عن طريق العقل والنقل.

بعد الانتهاء من استعراض الدراسات السابقة، يتبين أن هذه الدراسة تتميز عن سابقاتها بأنها ستتناول الحديث عن مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، بشكل تفصيلي، وأكثر عمقًا، مما خلت منه الدراسات التي تم عرضها.

سابعًا: هيكل البحث:

يتكَوَّن البحث من مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة، مرتباً على النحو التالي:

المقدمة وتشتمل على: أهمية البحث، أهداف البحث، مشكلة البحث، حدود البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، هيكل البحث، أهم المصادر والمراجع.

تمهيد: حيث تم فيه التعريف بأهم جوانب البحث، على النحو الآتي:

أولاً: تعريف المنهجية وبيان دورها في دراسات الفكر الإسلامي.

ثانياً: نبذة تعريفية عن الاستشراق .

ثالثاً: نبذة تعريفية عن دائرة المعارف الإسلامية.

---

(1) موقف المستشرقين من العبادات في الإسلام من خلال دائرة المعارف الإسلامية، محمد بن سعيد السرحاني، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، المدينة المنورة، 1422-1423 هـ.

(2) موقف المستشرقين من السنة النبوية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، طارق محمد إبراهيم إسماعيل، بحوث ومقالات، الناشر الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، 2010م.

الفصل الأول

منهجية المستشرقين التصنيفية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المبحث الأول: منهجية المستشرقين في نقل وتوثيق مسائل العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: غموض نسبة الأخبار إلى أصحابها.

المطلب الثاني: إغفال ذكر مصادر النقل والتوثيق.

المطلب الثالث: ترك التنبيه عند نقل النصوص بالمعنى.

المطلب الرابع: اعتماد المصادر الضعيفة في النقل والتوثيق.

المطلب الخامس: التركيز على الأخبار المنقولة من جهة الخصم المخالف.

المبحث الثاني: منهجية المستشرقين في صياغة الأفكار المتعلقة بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: التلاعب بالألفاظ المحتملة عند الصياغة.

المطلب الثاني: الإعراض عن استقصاء الآراء المختلفة في المسألة الواحدة.

المطلب الثالث: تجزئة المسائل الخلافية للإيهام بالمعان الفاسدة.

المطلب الرابع: إيراد أدلة وهمية في مسائل الخلاف الأصيلة.

المطلب الخامس: نصرة مذاهب الفرق الفاسدة في المسائل الأصيلة.

الفصل الثاني

منهجية المستشرقين الاستدلالية على الأصول الاعتقادية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المبحث الأول: مخالفات المستشرقين للمناهج العلمية في الاستدلال من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: الفصل المطلق بين المناهج العلمية المتداخلة.

المطلب الثاني: الاقتصار على منهج معين في الدراسة.

المطلب الثالث: استخدام الطريقة الخرافية في عرض المسائل العلمية.

المطلب الرابع: التخلي عن الالتزام بضوابط المناهج العلمية في عرض الحقائق الشرعية.

المبحث الثاني: مغالطات المستشرقين الاستدلالية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: تضعيف حجية الاستدلال الصحيح المخالف لهم.

المطلب الثاني: تناقض الاستدلال في المسألة الواحدة.

المطلب الثالث: الإطالة في أوجه الاستدلال بدون فائدة محققة.

المطلب الرابع: قصور الفهم عن إدراك دلالة حقائق النصوص.

المطلب الخامس: استخدام المصطلحات المحتملة لأكثر من معنى في الاستدلال.

الفصل الثالث

مغالطات المستشرقين المنهجية في التشكيك بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المبحث الأول: مخالفة المستشرقين الأسس العلمية في نقد العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: إهمال بيان منشأ النزاع والاختلاف الطارئ في المسائل العقدية.

المطلب الثاني: الترويج لطرق المخالفين لأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة.

المطلب الثالث: إجراء مقارنات فاسدة.

المطلب الرابع: المبالغة في تقرير تأثر المسلمون بغيرهم في مسائل الدين.

المبحث الثاني: مخالفة المستشرقين قواعد النقد العلمي في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: التخلي عن النقد البرهاني العلمي.

المطلب الثاني: التدرج في الاستدلال الفاسد.

المطلب الثالث: الانتقائية في التعامل مع الدليل والمدلول.

المطلب الرابع: تعميم الأحكام وإطلاقها دون قيد.

المطلب الخامس: الربط بين الأفكار الصحيحة مع ما يناقضها من الأفكار الفاسدة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات ويليها الفهارس.

التمهيد:

موجز عن المنهج والاستشراق ودوره في إصدار دائرة المعارف الإسلامية

التمهيد:

موجز عن المنهج والاستشراق ودوره في إصدار دائرة المعارف الإسلامية

تعددت كتابات المستشرقين، ومصنفاتهم، وترتب على ذلك كم معرفي تنوعت فيه منهجيات المستشرقين، وهنا سيتم تناول منهجيتهم في مصنف يعد من أهم وأضخم مصنفاتهم، لذا لا بد من ذكر نبذة عن بعض المصطلحات المهمة المتعلقة بذلك كما يلي:

أولاً: تعريف المنهجية وبيان دورها في دراسات الفكر الإسلامي.

إن كثيراً من المفكرين والباحثين المسلمين قد كتبوا –قديماً وحديثاً– عن المنهجية وأهميتها وضرورة التفكير المنهجي، ومظاهر الخلل في فعاليات العقل المسلم، فواقع الأمة المعاصر يشهد على كثير من الخلل المنهجي في التفكير، وفي البحث وفي التعامل مع الأمور، الأمر الذي يستدعي استمرار التنبيه على أهمية الموضوع، خاصة مع ضمور الوعي المنهجي في الأمة، الذي تجسد بمنهجيات أحادية قاصرة فمنهم يدعو إلى تقديس الماضي والقطيعة مع مناهج الغربيين، ومنهم يدعو إلى منهج الاختيار الانتقائي من التاريخ الإسلامي ورفض كثيرًا مما جاء فيه، والارتماء في أحضان الغرب لما له من عبقرية وسيادة، لذلك سيتم التطرق خلال الأسطر القادمة إلى بيان دلالات مفهوم المنهجية والمفاهيم المتعلقة بها[1].

1. **تعريف المنهجية، والمنهج، والفرق بينهما:**

لقد تعدد استعمال لفظ النهج والمنهج والمنهاج، أو(المنهجية والمنهاجية) في المعاجم اللغوية، وفي الأدبيات، والدراسات العلمية المعاصرة، وبخاصة في الدراسات العلمية التأصيلية للمناهج الفكرية، والدراسات النقدية والفلسفية والتاريخية.

أ. تعريف المنهج والمنهجية لغةً واضطلاحًا:

المنهج لغةً:

النهج والمنهج والمنهاج في اللغة بمعنى واحد، تشترك دلالاتها في أنه: الطريق البين المستقيم، الواضح، الذي يوصل إلى الغاية بسهولة ويسر، متضمناً معنى الإسراع في السير في الطريق مع بذل الجهد المتواصل، ومتابعة الآخرين لإنجاز العمل على أكمل وجه، ويأتي أصل هذه الألفاظ لغة من الجذر نَهَجَ وأَنْهَجَ، الذي يحوى عديدًا من المعاني التفصيلية، ويمكن ترتيبها على النسق التالي:

---

(1) انظر: المنهجية الفكرية الأسس والمفاهيم، ريناس بنافي (موقع إلكتروني).

المعنى الأول: الوضوح والبيان: يقال نهج الطريق نهجًا أي وضح واستبان، نهج الأمر أي وضح، ومِنْهجُ الطريق: وضحه، المنهاج: الطريق الواضح [1]، كما في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾المائدة48، "واسْتَنْهَجَ الطريقُ صار نَهْجاً وفي حديث العباس لم يَمُتْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى تَرَكَكُم على طريقٍ ناهِجةٍ أَي واضحةٍ بَيِّنَةٍ "[2].

المعنى الثاني: الاقتداء والمتابعة: يقال فلان يستنهج طريق فلان، أي يسلك مسلكه ويقتدي بفعله [3].

المعنى الثالث: تتابع النَفَس وكثرة الحركة: يقال فلان تعب حتى نهج أي تتابع النفس منه مع تعب وإرهاق، أو النهج بمعنى الربو وتواتر النفس أو انقطاعه من شدة الحركة [4].

المعنى الرابع: البِلى والخلق: أي بلاء الثوب، بان فيه أثر البِلَى ولما ينشق [5]، دلالة على قدمه.

المعنى الخامس: الخطة المرسومة: يقال منهاج المدرسة، منهاج التعليم ونحوهما، وهو معنى مستحدث[6].

يستخلص مما سبق أن المنهج يدور معناه اللغوي حول الطريق المستقيم الواضح الذي يوصل للهدف والغاية، وهنا تظهر علاقة واضحة جلية بين المعنى اللغوي للمنهج، وبين طبيعة البحث المنهجي، والباحث، فالباحث صاحب هدف واضح يتبع خلال بحثه طريقًا منهجيًا واضحًا متتابعًا عن طريق خطة مرسومة يضعها لنفسه مراعياً أنها ستكون موطنًا للاقتداء بها ومتابعتها من الآخرين.

المنهج اصطلاحاً:

من الجدير بالذكر أن المعنى الاصطلاحي يناسب المعنى اللغوي، مع وجود تفاوت قليل في مدلولاته، ولعل ذلك ناشئ من اختلاف أنظار المعرفين واتجاهاتهم المختلفة نتيجة اختلاف متطلبات موضوعاتهم وترتيب أفكارهم، فهناك جملة من هذه التعريفات، وخلاصتها:

---

(1) انظر: كتاب العين، الفراهيدي، ج392/3، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2 /957.

(2) لسان العرب، ابن منظور،ج4545/6، مختار الصحاح، محمد أبو بكر الرازي، ج 688/1، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري الفارابي، ج346/1.

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج383/2.

(4) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس بن زكريا، ج361/5، غريب الحديث، الخطابي، ج639/1 .

(5) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج825/1.

(6) انظر: المعجم الوسيط، ج957/2.

التعريف الأول: " فنّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة، حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حين نكون بها عارفين"[1].

التعريف الثاني: "الأداة التي يستخدمها الباحث للوصول إلى غرضه أو غايته واكتشاف الحقيقة أو الوصول إلى المعرفة"[2].

ومن خلال استقراء التعريفات السابقة نجد أنها تمتاز بالعموم، حيث إن واضعيها لم يحددوا طبيعة الطريقة التي يسلكها الباحث في دراسته، ولم تذكر الغاية العلمية المرجوة منه، لذلك يمكن الخلوص إلى تعريف للمنهج يتناسب مع طبيعة الدراسة بحيث يتخذ من الكتاب والسنة أصولًا يعتمد عليها وهو بمثابة التعريف المختار:

المنهج الشرعي: الطريق المنضبط بضوابط الشرع الذي يتبعه الباحث من أجل استخلاص العقائد الصحيحة وبسطها، وإسقاط الخاطئ وإبطاله عند معتقديه، بواسطة الاستدلال الذهني، أو الحسي، أو كليهما معاً، من أجل تحقيق مراد الله تعالى.

المنهجية "methodology" اصطلاحًا:

التعريف الأول: "هي العلم الذي يبحث في طبيعة المنهج، وأسسه، وأدواته، وقواعده، ويسمى علم مناهج البحث "[3].

التعريف الثاني: "هي العلم الذي يدرس كيفية بناء المناهج واختيارها وتشغيلها وتعديلها ونقضها وإعادة بنائها، يبحث في كلياتها ومسلماتها وأطرها العامة، فهي الواصلة ما بين النموذج المعرفي والمناهج التي تمثل الوسائل والطرق التي تستخدم للوصول إلى الحقيقة"[4].

ومما سبق يتضح أن المنهج والمنهجية أحدهما يمثل إطاراً للآخر، فالمنهجية أعم من المنهج، لذلك تتطلب المنهجية من الباحث معرفة المنهج العلمي العام[5] الذي يناسب بحثه،

(1) مناهج البحث العلمي، بدوي، ص4.

(2) أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، فضل الله، ص14.

(3) المرجع السابق، ص14.

(4) القضايا المنهجية في العلوم الإسلامية و الاجتماعية، عروة وآخرون، ص8.

(5) المنهج العام: أي ما تصلح بعض جزئياته للبحث في أكثر من حقل كالمنهج النقلي والمنهج العقلي والمنهج التجريبي وغيرها وقد تتداخل فيشترك أكثر من منهج في دراسة مسألة ما إذا كانت المسألة ذات جوانب متعددة ومختلفة كما في المنهج التكاملي والمنهج المقارن. أصول البحث، الفضلي، ص 52- 66.

وكذلك المنهج العلمي الخاص[1]، وذلك لكي يكون لديه الملكة، والقدرة على التنظيم من خلال هذين المنهجين للوصول لنتائج سليمة.

ب. الفرق بين المنهج والمنهجية:

- المنهج غالباً حكم أو وصف لاحق لخطوات عمل معين، وأما المنهجية فهي معايير فكرية وقوالب موضوعية توضع لتحديد آليات العمل المعرفي قبل الشروع فيه وأثنائه ، كما يمكن أن تحاكم المناهج، وتقيسها بنظرة شمولية.

- كل علم له منهج يختص به حسب الدراسة، فللغة منهجها، وللتاريخ منهجه، وكذلك للرياضيات، الأدب، بينما المنهجية على العموم واحدة.

- أنَّ المنهج له وعليه، أي معرض للنقد والتقويم، واختيار المناسب للدراسة لاتباعه، في حين أن المنهجية هي معايير وتقنيات يجب الالتزام بها، لأنها توفر على الباحث الجهد والوقت وتوصله بطريقة علمية صحيحة للهدف المنشود

- أنَّ المنهج عرضة للتطور والتعديل من وقت لآخر لأنه مرتبط بطرق الاستدلال والاستنتاج، في حين أن المنهجية هي جملة قواعد ثابتة على العموم[2]

ويمكن الخلوص مما سبق إلى أن المنهجية والمنهج حقيقتان متمايزتان، فالمنهج جزء لا يتجزأ من المنهجية، حيث إن المنهج قد يلحظ سلوك مجتمع أو طائفة أو مفكر خاص، وذلك بتتبع خطوات معينة توصل إلى معرفة، فمثلاً يقال منهج أرسطو أي أسلوب بحث معين يتخذه أرسطو، أو يقال منهج المتكلمين أي مذهب معين خاص بهم.

أما المنهجية فلا تتلبس بالخصوصيات، لأن وظيفتها البحث في الوسائل، والوسائل العامة تقل فيها عناصر الخصوصية، فالمنهجية إذا تمازجت مع نموذج معرفي معين خرجت عن كونها منهجية عامة وإنما صارت منهجاً خاصاً بما امتزجت فيه واصطبغت به، أي إذا تم دمج المنهجية دون النموذج المعرفي الخاص بها تصبح منهجية مغايرة لذاتها وتتحول إلى نسيج آخر، فالمنهجية تُلحظ مجردة عن النموذج المعرفي إذ إنها تعم كل العمليات المعرفية التي

(1) المنهج الخاص : مجموعة من القواعد وضعت لتستخدم في حقل خاص من حقول المعرفة، أو علم خاص من العلوم، وتعددت الحقول المعرفية وأنواع العلوم، كمنهج أصول الفقه الإمامي، ومنهج الفقه الإمامي. أصول البحث، عبد الهادي الفضلي، ص67.

(2) انظر: مقال بعنوان: في أصول البحث ومناهجه: آليات وتأصيل، جبر، (موقع إلكتروني).

تؤدي للوصول الى اطمئنان النفس بحقيقة أو أمر ما، بخلاف المنهج الذي يلحظ متلبساً بنموذج معرفي معين ينسج على منواله [1].

2. دور المنهجية في دراسات الفكر الإسلامي عند المسلمين والمستشرقين:

الفكر المنهجي هو فكر بشري ناتج تتفاوت فيه قدرات العلماء والمفكرين والباحثين، وتتنوع إبداعاتهم، إلا أنه معرض للخطأ والصواب، لكن ذلك لا يقلل من أهميته وضرورته، والفكر الإسلامي في مقوماته، وأُسُسه له طابعه المتميز، فهو فكر له قيمه، ومقوماته الحية الإيجابية، لذلك تتسم منهجية المسلمين في دراسة الفكر الإسلامي وخاصة الحقائق الشرعية بالمرونة، والتطور مراعية التغيرات المعرفية التي يمر بها، ذلك لأنها منهجية قائمة على الثوابت الإسلامية التي تضبط التطورات الحيوية، وتحكم قوانين التطور فلا تتركها على إطلاقها، فلا ينفلت زمامها كما وقع في أوروبا عندما أفلتت من عروة العقيدة، ويمكن تقسيم المراحل التي مرت بها منهجية المسلمين في دراسة الفكر الإسلامي حسب تعلقها على النحو الآتي:

أ. مراحل تطور منهجية دراسة الفكر الإسلامي عند المسلمين:

المرحلة الأولى: التأصيل الفكري.

بدأت هذه المرحلة من العهد النبوي حتى فتنة مقتل عثمان ﷺ في العقد الرابع الهجري، وفيها تتميز المنهجية المعرفية الإسلامية بالبساطة واليسر، مع مراعاة الدقة في التثبت والتحصيل للمعرفة، حيث كانت المنهجية المعتمدة في هذه الفترة مرتكزة على مصادر التلقي للقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة في الاستدلال لفهم الأصول الاعتقادية.

المرحلة الثانية: الانفتاح الفكري.

بدأت هذه المرحلة في منتصف القرن الأول مع ظهور الفرق ولا زالت مستمرة إلى وقتنا الحاضر، وفي هذه المرحلة تطورت المعارف الفكرية عند المسلمين، وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية، حيث دخل إلى الدين الإسلامي خليط كبير من الناس كانوا يدينون بأديان مختلفة، وكل دين له فكره المؤثر في شخصيتهم وعلى الآخرين، فشجع هذا الانفتاح على الدنيا بعض المسلمين إلى الترف الفكري بدراسة الوافدات الفكرية كالفلسفة، وعلم الكلام، وكذلك الهجوم العقدي المتواصل على الأمة الإسلامية الذي يشتد في بعض الأزمنة، ويضعف في بعضها الآخر، كان من لوازمه تطور المنهجية المتبعة في التثبت من الحقائق الشرعية ببيان الحق،

---

(1) انظر: القضايا المنهجية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، عروة وآخرون، ص8.

وتقرير التوحيد، وكذلك في تحصيل المعرفة الإنسانية، وذلك لصيانتها من الانحرافات، والتغيرات، فاختلاط المعارف الداخلية مع المعارف الوافدة على الفكر الإسلامي، أدى إلى ظهور تشوهات عقدية لدى بعض المسلمين، فظهرت الفرق المنحرفة، لذلك كان لابد من استحداث منهجيات معرفية جديدة تتعامل معها، وتعالج هذه الانحرافات فنتج عن ذلك نضج معرفي في الطرق العقلية، وتطور للمناهج الاستدلالية الأصولية [1].

وبقياس ذلك على الاستشراق كفكر وافد على المسلمين، وُجد أنه يخرج من نفس البوتقة، فكان لابد من التعامل معه بمنهجية مستحدثة تناسب هذا الفكر، تبين ما له وما عليه.

ب. مراحل تطور منهجية دراسة الفكر الإسلامي عند المستشرقين:

وبتتبع **الفكر الاستشراقي** ومراحل تطوره، وعلاقته بالمسلمين والإسلام، وُجد أنه مر بمرحلين :

المرحلة الأولى: مرحلة الجدل الغوغائي.

تبدأ هذه المرحلة من نشأة الاستشراق، وقد اختلف الباحثون في تحديد بدايته، لكن الرأي الغالب أن بدايته كانت في القرن الثاني الهجري[2]، حيث كان الفكر الاستشراقي محصورًا في أوروبا نفسها، موجهًا لأفرادها، جل هدفه تصوير الإسلام بالمظهر المنفر، والافتراء على المسلمين بأبشع الافتراءات، وذلك خوفاً من انتشاره وهيمنته على أوروبا، فقد اتسمت هذه المرحلة في مجملها بالعداء للإسلام، وسيادة الاتجاه اللاهوتي المتطرف في جدله وعدائه للإسلام، ثم تطور وأصبح محاولات لتنفير المسلمين من الإسلام، من خلال الطعن بالقرآن الكريم، والسنة النبوية بكل ما أوتوا من قوة الجدل والمادة ، ويقول (أنور الجندي): "ولا ريب أن الاستشراق في المجال العقدي يعمل على هدم الإسلام والرسول ﷺ والقرآن، وفي المجال السياسي يعمل على هدم الأمة، واللغة العربية، والحضارة، والتاريخ "[3].

وُجد أن هذه المرحلة عبارة عن صراع ديني وأيديولوجي[4] بين العالمَين الأوروبي المسيحي والشرق الإسلامي، لكنها كانت في نطاق محدود بين بعض الرهبان وعلماء الأمة،

---

(1) انظر: منهج ابن تيمية في الرد على الأشاعرة، الجدي، ص99-101.

(2) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج687/2.

(3) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، الجندي، ص91-93.

(4) أيديولوجيا: هو علم الأفكار، يختص بدراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وأصولها، وعلاقاتها بالعلامات التي تعبّر عنها. معجم اللغة العربية، عمر، ج143/1.

محورها العقائد النصرانية والإسلامية، وقد كان ينتصر علماء الأمة بالحجة والدليل المقنعين، ويفسدون ما يتذرع به الرهبان من الحجج الواهية، لذلك يُلحظ أن المسلمين لم يكن لهم دراية كبيرة بالفكر الاستشراقي على نحو يؤثر على أفكارهم، وآرائهم[1].

المرحلة الثانية: مرحلة التأطير والتقنين.

بدأت هذه المرحلة في القرن الخامس مع الغزو الاستعماري للدول الإسلامية[2]، مصطحباً معه الفكر الاستشراقي، فانتقل من أوروبا إلى المسلمين، وقد أوجد له مكاناً وقبولاً لدى المسلمين، من خلال استخدام أساليب ملتوية ظاهرها الصحة والموضوعية في دراسة بعض القضايا العربية وخاصة الإسلامية، والبعد عن أسلوب الهجوم المتبع بالمرحلة السابقة لكسب الثقة لدى القارئ المسلم وخداعه، فيُؤمَن بذلك مكرهم، كذلك حاولوا الدخول في الموضوعات من باب التقدير والمدح، ثم بعد ذلك إثارة الشبهات الخفية التي تلتبس على عامة من الناس[3]، ولكن تنبه إليها كثير من الباحثين اليقظين، فأشاروا إلى خطورة الاستشراق وحذروا من الانخداع به، في هذه الفترة ظهر الصراع الفكري بين علماء الأمة وبعض المستشرقين أمثال (جولدتسهير Goldziher)، (مكسيم رودنسون Rodinson,M) وغيرهم.

وقد اجتهد علماء المسلمين في الرد على شبهات المستشرقين بالبراهين الساطعة، والأدلة القوية، وحذروا المسلمين من خطر الثقافات، والأفكار الاستشراقية عندما وجدوا كثير من المسلمين قد انبهروا بهذا الفكر، وتأثروا به، ونقلوه إلى جموع المسلمين[4].

المرحلة الثالثة: مرحلة النضج والاكتمال.

في هذه المرحلة اتضحت الرؤى والأهداف، ونضجت الغايات، وأُتيحت الوسائل العلمية والعملية، وأصبحت اتجاهًا واضح المعالم في المجتمع الغربي، حيث يسعى المستشرقون في هذه المرحلة إلى إحياء القوميات الجاهلية القديمة في العالم الإسلامي، وإحياء معارفها لسلخ المسلمين من دينهم، ومن ذلك بعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا، والآشورية في العراق، والفارسية في إيران، والقومية الطورانية في تركيا، أمَّا الجزيرة العربية فلقد بحثوا في آثار

---

(1) انظر: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، فؤاد، ص21.

(2) انظر: مجلة دراسات استشراقية، الاستشراق تاريخه ومراحله، زماني، ص189-190.

(3) انظر: الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين، حمدان، ص13، وشبهات التغريب، الجندي، ص92.

(4) انظر: الفكر الاستشراقي بعد الحرب العالمية الثانية، الدسوقي، ص17-23، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، فؤاد، ص22.

السابقين، وأسموا دراساتهم التي لا تخلو من التشويه والدس "التاريخ الحضاري للعرب قبل الإسلام"، وذلك ليطفئوا نور الإسلام، وأنَّ الإسلام ليس وحده هو الذي قدم الحضارة الإنسانية، وليقطعوا صلة الأمة الإسلامية بماضيها الحقيقي الذي بدأ بظهور الإسلام[1].

وبناءً على ما سبق، يتضح أن الاستشراق ماضيه مثل حاضره، الاختلاف بالمسميات والمصطلحات فقط، لا يخرج عن كونه مؤسسة غربية قائمة على دراسة الشرق بشتى جوانبه، مع التركيز على الجزء الإسلامي منه بمنظور غربي قائم على التفوق العرقي والثقافي بهدف سيطرة الغرب على الشرق، وتشويه الإسلام بحضارته وتراثه في الشرق والغرب، بشتى الطرق والوسائل.

ثانياً: نُبذة تعريفية عن الاستشراق.

الاستشراق تيار علمي موجه، فيه من الحق والباطل ما لا يمكن تجاهله، أو رفضه، بالتالي لا مناص من تسليط الضوء بإيجاز على مفهوم الاستشراق، والوقوف على أبرز معالمه، وأهدافه، ووسائله، وأصناف المستشرقين.

1. الاستشراق لغةً واصطلاحاً:

لقد تضمنت معاجم اللغة والكتب التخصصية في الاستشراق عددًا من المعاني اللغوية والاصطلاحية للاستشراق ولبيان ذلك سيكون العرض على النحو التالي:

أ- الاستشراق لغةً:

تدور المعاني اللغوية لهذه اللفظة حول معنى مشترك الدلالة وهي طلوع الشمس، وإضاءتها، وتعود لفظة الاستشراق في أصلها اللغوي إلى الجذر الثلاثي (الشين، الراء، القاف)، ولتجلية الغموض عن معنى الاستشراق، سيتم عرضها على النحو الآتي:

- **معاجم اللغة العربية:**

المعنى الأول: طلوع الشمس: شرقت الشمس أي طلعت، ويقال لكل شيء طلع من المشرق، أشرق القوم أي صاروا في وقت الشروق، قال تعالى: ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ**﴾ الحجر: 73 [2]، أيام التشريق سميت بذلك لأن الهدي لا ينحر إلا بعد الشروق[3].

---

(1) مقال بعنوان: الاستشراق الجديد، زين العابدين (موقع إلكتروني).

(2) انظر: العين، الفراهيدي، (ج39/5)، المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (ج480/1).

(3) انظر: تاج العروس، الزبيدي، (ج502/25).

المعنى الثاني: الإضاءة: أشَرقت الشمس إشراقاً أي أضاءت [1].

المعنى الثالث: الجمال وإشراق الوجه[2]: يؤخذ من التشريق أي تلألأ وجهه.

المعنى الرابع: الجهة: أي جهة المشرق أو المغرب قال تعالى: ﴿**يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِين**﴾ الزخرف: 38، وفي الحديث {فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، ولَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا}[3]، أي توجهوا جهة الشرق أو الغرب[4].

- **معاجم اللغة الانجليزية:**

أصل الاستشراق في الإنجليزية (ORIENT)، أي الشرق، و(Orientalism) تعني الاستشراق في معاجم اللغة الإنجليزية، وأبرز المعاني اللغوية التي ذكرت تحتها: منحة أو تعلم أو دراسة في الموضوعات أو اللغات الآسيوية [5] .

ومن خلال ما سبق يتضح أن الاستشراق له معاني لغوية تعني جهة الشرق بما تشمله من شروق الشمس، وانتشار نورها، والأماكن الموجودة جهة شروقها.

ب- الاستشراق اصطلاحاً:

تعددت تعريفات ومفاهيم الاستشراق باختلاف الباحثين في هذا المجال، وسيتم إيراد نماذج معينة من هذه التعريفات :

التعريف الأول: "بأنه أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي (أنطولوجي[6]) ومعرفي (أبستمولوجي[7]) بين غرب قادر على معرفة نفسه، وشرق عاجز عن معرفة ذاته، وقابل لمعرفة الغرب لها"[8].

---

(1) انظر: غريب الحديث، البغدادي، (ج264/3).

(2) انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (ج897/1).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ باب قبلة أهل المدينة، 88/1، حديث رقم394، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الطهارة/ باب الاستطابة، 224/1، حديث رقم264.

(4) انظر: المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، ج480/1.

(5) see: Merriam Dictionary, (website).

(6) الأنطولوجياygolotnO : هو علم يبحث في الموجود في ذاته مستقلًا عن أحواله وظواهره. المعجم الفلسفي، صليبا، ج560/2.

(7) الأبستمولوجياygolometsipE : هي نظرية أو فلسفة المعرفة، وتعني دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها، دراسة انتقادية توصل الى ابراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية. المعجم الفلسفي، صليبا، ج33/1.

(8) انظر: الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء، سعيد، ص38-39، والاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، سعيد، ص31-32.

التعريف الثاني: "بأنه دراسات أكاديمية يقوم بها غير المسلمين من غير العرب سواء من الشرق أو الغرب للإسلام عقيدة، وشريعة، ولغة، وحضارة، بقصد التشكيك في هذا الدين القويم، وإبعاد الناس عنه "[1].

التعريف الثالث: هو "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال معين كالأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي"[2].

التعريف الرابع: هو علم الشرق، يختص بدراسة الشرقيين ولغاتهم، وحضارتهم، وأديانهم، وكل ما يتعلق بهم[3].

من خلال ما سبق يمكن القول بأن للاستشراق ثلاثة معاني، معنى جغرافي أي العالم الذي يقع جهة الشرق في الجهة المقابلة للغرب الأوروبي، ومعنى أيديولوجي أي نظرة الإنسان الغربي للشرقي، بصفته إنسانًا يحمل إرثًا ثقافيًا حضاريًا قيمًا، ومعنى عرقي من منطلق الإحساس بالتفوق العرقي والحضاري على الإنسان الشرقي.

ج- موقف المستشرقين من مصطلح الاستشراق:

بداية الاستشراق كانت لدراسة الإسلام، واللغة العربية فقط، ثم تطورت الدراسات بعد ذلك لتشمل ما يتعلق بالشرق من حضارات الصين والهند وغيرهما، وتُقدم هذه الدراسات للمبشرين، بغية تحقيق أهداف التبشير، وتشويه صورة الإسلام، وللدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار [4]، بجانب تحقيق أهداف جانبية علمية وتجارية، وترتب على ذلك أن أصبحت كلمة مستشرق ذات دلالة سلبية لدى كثير من المثقفين، مما أدى إلى استياء المستشرقين من هذا المصطلح، وهنا يلاحظ التطور المعرفي لديهم حيث قاموا بصياغة مفاهيم ومصطلحات جديدة لمخاطبة المسلمين، وخاصة في ظل وجود طبقة واعية من المثقفين الغيورين على دينهم، بعد انكشاف الأهداف الخفية للاستشراق، أرادوا أن يجملوا صورتهم فخلال المؤتمر (التاسع والعشرين) للمستشرقين الذي عقد في باريس 1973م صدر قرار بالاستغناء رسمياً عن مصطلح "مستشرق" حيث قال المستشرق الصهيوني البريطاني الأمريكي (برنارد

---

(1) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، فؤاد، ص18 .

(2) الاستشراق في السيرة النبوية، الأمين، ص16.

(3)See: International Encyclopedia of the Social & Behavioral Sciences, pp 10976-10978.

(4) انظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، السباعي، ص19-20، والاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، زقزوق، ص 18.

لويس[1](Bernard Lewis): "فلنلق بمصطلح مستشرق في مزبلة التَّاريخ"، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا)، مع العلم بأنهم لم يتخلوا عن منهجهم الاستشراقي؛ بل تستروا خلف المسميات الجديدة مع بقاء النشاط الاستشراقي، لذلك سواء اختاروا أن يتركوا التسمية، أم لا، يجب أن لا نغفل عن استمرار اهتمامهم بدراسة الشرق، والإسلام خاصة، والكتابة حول قضايا أمتنا، وعقد المؤتمرات والندوات، ونشر الكتب والدوريات حول العالم الإسلامي[2]، فقد قيل بأنه بلغ عدد ما ألفوه عن الشرق خلال القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين: ستين ألف كتاب[3].

ومما سبق يتضح أن الاستشراق وإن تعددت مسمياته، وصبغت بأصباغ جذابة، لازال يشن هجمات بين الحين والآخر، وإن خفت حدتها بسبب وعي المسلمين وخاصة الوعي الديني، وتنبههم للوسائل التي يستخدمها المستشرقون للطعن في الدين، ومحاولة هدم الإسلام.

2. السياق التاريخي لنشأة الاستشراق :

تباينت آراء مؤرخي ودارسي الاستشراق في تحديد بداية زمنية محددة لظهوره ونشأته[4]، لأنه لم يبدأ بصورة منظمة أو بتخطيط سابق؛ بل كان في البداية جهوداً فردية وعفويّة، لذا صعب على الباحثين تحديد التاريخ بدقة، فبعضهم أرجعه إلى:

أ- صدر الإسلام نتيجة احتكاك المسلمين بأهل الكتاب، سواء كان الاحتكاك نتيجة الالتقاء بالوفود النصرانية أو اليهودية، أو الالتقاء بالمعارك الحربية [5].

ب- بعد الفتوحات الإسلامية لمصر والشام[6].

---

(1) برنارد لويس Bernard Lewis:(1916-1956م) مستشرق انجليزي، درس الدراسات الشرقية بلندن، عضو في كثير من الجمعيات والجامعات التي تعنى بالدراسات الشرقية، كتب عن الإسلام والبلدان الإسلامية خاصة بلاد الشام من مؤلفاته: أصول الإسماعيليين والإسماعيلية، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص561.

(2) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، الشحود، ج25/61-62.

(3) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية، ج2/693.

(4) انظر: المرجع السابق، ج1/ 132.

(5) انظر: الاستشراق تاريخه ومراحله، زماني، ص186-187.

(6) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، ج25/61-64، والاستشراق، مطبقاتي، ص8.

ج- أنه نشأ في الأندلس، في ظل الدولة الإسلامية، في أوج ازدهارها العلمي حيث ذهب الرهبان إلى مدارسها، ونهلوا من علمها، وترجموا معاني القرآن والكتب الإسلامية إلى لغاتهم [1].

د- أنه ولد مع الحروب الصليبية بسبب الاحتكاك الديني والسياسي بين المسلمين والنصارى[2]، ومما يدلل على ذلك صيحة فليب بعد هزيمته في الحروب الصليبية: "لنبدأ حرب الكلمة، فهي وحدها القادرة على تمكننا من هزيمة المسلمين"[3]

هـ- بينما يرجعه كثيرون إلى القرن الثاني الهجري في عهد الخلافة الأموية، وأنه نشط بالشام على يد الراهب (يوحنا الدمشقي) الذي ألف كتابين "إرشاد النصارى في جدل المسلمين" و"حياة محمد"[4].

ومن الجدير بالذكر أن بداية الاستشراق كانت ذات باعث ديني بهدف خدمة الاستعمار، ونشر المسيحية، لذلك نجد أن بداية التأريخ للاستشراق عند الغرب بشكل رسمي بصدور قرار (مجمع فينا) الكنسي عام 1312م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية [5]، ويكاد أن يكون هناك إجماع بأن الاستشراق بات رسمياً في القرن الثالث عشر في عهد الإصلاح الديني [6].

ومما سبق يتضح أن الاستشراق كان في بدايته محاولات ومجهودات فردية لبعض المستشرقين، ويترجح لدي أنها ترجع إلى صدر الإسلام مع بداية الاحتكاك بأهل الكتاب، وذلك لارتباطه بالتحالفات بين أهل الكتاب والمشركين سعياً لردة المسلمين عن دينهم، واتباع ما هم عليه، قال تعالى:﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ البقرة: 120، ثم تتابعت مراحله بعد ذلك ما بين نشاط وركود حسب العلاقة بينهم، إلى أن أصبح رسميًا بقرار مجمع فيينا.

---

(1) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ج122/1.

(2) انظر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، فوزي، ص30، والاستشراق وتغريب العقل التاريخي، عريبي، ص135-136.

(3) موضوعية فليب حتى في كتابه تاريخ العرب المطول، أبو خليل، ص5.

(4) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، ج2 /687.

(5) انظر: المرجع السابق، ص687، والاستشراق، مطبقاني، ج8/1.

(6) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، زقزوق، ص25، والفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، البهي، ص429.

3. أهداف الاستشراق :

تداخلت أهداف الاستشراق ودوافعه لتصبح شيئاً واحداً، حيث إن الأهداف التي حققها ولا يزال يسعى الاستشراق إلى تحقيقها، دافعها الأساسي أن رجال الدين علموا أن للإسلام قوة دافعة للدخول فيه، ودليل ذلك تزايد عدد المسلمين في العالم بشكل أسرع من أتباع الديانات الأخرى، فقد توقعت دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية أن عدد المسلمين سيقارب بحلول 2050م عدد المسيحيين في العالم، في حين أنه في عام 2010م كان عدد المسلمين (مليارًا وستمائة مليون) نسمة، مقارنة مع (مليارين وسبعة عشر مليون) مسيحي، ومن توقعات الدراسة أن أعلى نسبة تحول عن الدين توجد بين المسيحيين، حيث يتحول (مائة وست ملايين) شخص عن الديانة المسيحية بين عامي 2010-2050 م، مقابل تحول (أربعون) مليوناً للمسيحية، في حين سينضم ثلاثة ملايين للدين الإسلامي[1].

لذلك يُلحظ الهجمة المستمرة على الإسلام من قبل الديانات الأخرى وخاصة النصرانية واليهودية، حيث يحتل الهدف الديني القائم على تشويه الإسلام القمة، ويعترف بذلك كثير من المبشرين، منهم المبشر (جاردنر[2] Gardner W.R.W.) يقول: "إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا"، وكذلك يقول (لورانس براون[3]Lawrence Brown): "إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً"[4]، أما الأهداف الأخرى الاستعمارية، الاقتصادية، نشر الثقافة الأوربية، التعرف على الحضارة الإسلامية، كلها تساند وتعاضد الهدف الديني.

سيتم تناول أهداف المستشرقين بشيء من الإيجاز:

---

(1) انظر: الجزيرة نت، دراسة أمريكية: الإسلام الأسرع انتشاراً بالعالم، (موقع إلكتروني).

(2) جاردنر Alan Gardner: آثاره في العالم الإسلامي: " الجهاد"، و"الغزالي الصوفي"، و "الحركة الأحمدية. المستشرقون، العقيقي، ص499.

(3) لورانس براون Lawrence Brown: (1940-2018م) كاتب أمريكي، تخرج في جامعة كورنيل، كليَّة براون الطبّيَّة، وكان وزيراً دينيًا، لديه دكتوراه في اللاَّهوت، وفلسفة الدّين، كانت بؤرة تركيزه نحو الدّراسات الدينية، والتي أثمرت اعتناقه الإسلام باعتباره دين الله الحقّ في نيسان/ أبريل 1994م، من مؤلفاته في الدين المقارن كتاب "الوصيَّة الأولى والنّهائية"، انظر: أعلام وشخصيات، براون (موقع إلكتروني).

(4) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، محمود، ص138.

أ. **الهدف الديني التنصيري :**

من المعلوم أن الكنيسة كانت تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الإسلامي، خاصة بعد فشل الحروب الصليبية، وفشل مخططاتهم في تنصير المسلمين، فانتهجت منهجاً آخر لمحاولة ايقافه وهو الاستشراق وذلك يتضح من خلال:

- قيام (بطرس[1] Petrus Le Venerable) بتشكيل جماعة من المترجمين لترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، ودراسته ونقده، لمحاربة المسلمين من خلاله على مستوى العقيدة [2]ولزعزعة عقيدة المسلمين، وتشكيكهم في الإسلام، وخلق فجوة بين المسلمين وأصولهم، فيسهل القضاء على الإسلام.
- قررت الكنيسة إنشاء عددًا من المؤسسات في البلاد العربية لخدمة الاستشراق ظاهرياً وخدمة الاستعمار، والتبشير الكاثوليكي باطنياً[3].
- إقبال المستشرقين على دراسة اللغة العربية، وتعلم آدابها ليسهل عليهم قراءة العلوم الإسلامية، ومعرفة مبادئ الإسلام، لوضع الخطط والتصورات المناسبة لتشكيك المسلمين في دينهم، وتشويه صورته لتسهيل عمليات التبشير[4].
- التَّنظير لكيفية تنصير مسلمين، مثل ما قام به المستشرق المُنصِّر القس (صموئيل زويمر[5] .Zewemer,S) بإعداد الأبحاث، وتدريب العاملين في صفوف المسلمين لتعزيز قضية تنصير المسلمين، حيث إنه صرح في أحد مؤتمرات التنصير بقوله: "لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل، أو ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من

---

(1) بطرس Petrus Le Venerable: (1094-1156م) مستشرق فرنسي، ملقب بالمحترم، راهب لاهوتي، أول من دعا وساهم في ترجمة القرآن للغة اللاتينية، له كتابان الأول يتحدث عن الكتاب المقدس بعهديه، والثاني عن النبوة في النصرانية والإسلام. انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص110-111.

(2) انظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، محمد، ص31.

(3) الاستشراق في السيرة النبوية، النعيم، ص19-21.

(4) انظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، محمد، ص32.

(5) صموئيل زويمر .Zewemer,S: (1867-1952م)، هولندي الجنسية، من أشهر الشخصيات البارزة في التنصير، فقد اشتهر بأنه منصر أكثر من أنه مستشرق، كان يجيد اللغة الإنجليزية والعربية بالإضافة إلى الهولندية، كان محترفاً بالإسلاميات، محباً للقراءة، من كتبه:" يسوع في إحياء الغزالي" و"بلاد العرب منذ الإسلام"، انظر: المستشرقون، العقيقي، 1005.

المسلمين إلى المسيحية، ولكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم، فعندما تذبذب مسلماً وتجعل الإسلام يخسره تُعتبر ناجحاً، أيها المبشر المسيحي يكفي تذبذبه ولو لم يصبح مسلمًا"[1].

وكذلك المستشرق البريطاني (وليم موير[2] William Muir) ، مؤلف كتاب (شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية) فهو كتاب تنصيري في المقام الأول.

- إعلان البابا في المجمع المسكوني الثاني الذي عقد عام 1965م خطته لتنصير العالم، واقتلاع الإسلام مع قدوم الألفية الثالثة بحيث يتم استقبالها بلا إسلام، ومن الأدلة على ذلك حملات التنصير المكثفة التي شهدتها إندونيسيا، ووجود بعض المدارس التنصيرية في بعض دول الخليج العربي[3].
- العمل على إحياء الفرق المنحرفة في تاريخ المسلمين وفي مقدمتهم الفرق الباطنية [4]مثل القرامطة[5]، والإسماعيلية [6]وغيرهم، كذلك الثناء على بعض الفرق ودعمها

---

(1) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، محمود، ص138.

(2) وليم مويرMuir,Sir,William: (1819-1905م) مستشرق اسكتلندي، من كتبه: "سيرة النبي والتاريخ الإسلامي" و"حوليات الخلافة، مصدرها، صعودها، سقوطها"، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص492، والأعلام، الزركلي، ج124/8.

(3) لعل كتاب " الغزو التبشيري النصراني في الكويت" لأحمد النجدي الدوسري يكشف أبعاد هذا المخطط، وكذلك النشاط التنصيري المكثف في الجنوب السوداني لإيجاد دولة مسيحية سودانية تمهيداً لاقتلاع الإسلام من السودان.

(4) الباطنية: مصطلح يطلق على الفرق التي تزعم أن لظواهر القرآن بواطن فيأولون الشريعة تأويلاً باطنياً يتوافق مع معتقداتهم، ويتخذوا من ذلك ستاراً وغطاء لخداع المسلمين مع ابطانهم للكفر منهم القرامطة، النصيرية، الدروز، الإسماعيلية، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني 292/1 .

(5) القرامطة: حركة باطنية تنسب إلى حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط، حركة سرية، ظاهرها التشيع، وحقيقتها الإلحاد والإباحية، يقولون بالتناسخ والحلول والرجعة، انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص266-267.

(6) الإسماعيلية: فرقة من غلاة الباطنية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع، وحقيقتها هدم الإسلام، من فرقها القرامطة، الدروز، يقولون بالتقية والتناسخ ووجوب وجود إمام معصوم، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني،ج191/1-194، والموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ج386/1-387.

كالبهائية [1] والقاديانية[2]، فنجد أن الاستعمار البريطاني قد أشاد بالقاديانية -كما زعم- من خلال إعلانهم أنها جاءت بآراء حرة مستقلة ووصفها بالعقلانية والاستنارة والتجديد ليخدع بها بعض المسلمين، وليشوه تعاليم الإسلام، وللأسف هناك أقلية من المسلمين تأثرت بفكر هذه الفرق المنحرفة واعتنقت عقائدها.

ويمكن إجمال ما سبق أن كثيرًا من المستشرقين، هم رجال دين أمثال (هروجينه[3] Snouck Hurgronje)، (لامنس هنري Henri Lammens)، متعصبون لدينهم، يهدفون إلى تشويه سُمعة الإسلام في نفوس رُواد ثقافتهم من المسلمين، لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي وطمس الحضارة الإسلامية وخاصة ما يرتبط بالدين الإسلامي، وهذا الهدف لم يزل باقياً بقاء الإسلام، وأهل الكتاب.

ب. الهدف الاستعماري :

تهدف الدول الاستعمارية إلى السيطرة على بلاد المسلمين عن طريق سلب خيراتها، وفرض عاداتها ولغاتها على المسلمين، وذلك لطمس حضارة الدول المُسْتعمرة، لذلك نجد أن المُستعمر قد عزز موقف الاستشراق من خلال:

- تجنيد عدد من المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه في البلاد المُسْتعمرة

---

(1) البهائية: فرقة ضالة كافرة، نابعة من المذهب الشيعي الشيخي، وهم أتباع المرزا حسين علي المازندراني، الملقب بالبهاء، (1817-1892م)، قام في أول أمره بخلافة الباب ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوة والرسالة ثم الربوبية والألوهية، يقولون بالتناسخ، والحلول، ينكرون معجزات الأنبياء والملائكة والجن والجنة والنار، من أهم كتبهم "الأقدس"، انظر: تبسيط العقائد الإسلامية، أيوب، ج1/ 307، والموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ج1/410-412.

(2) القاديانية: أو (الأحمدية)، مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني، (1839-1908م)، كان ينتمي لأسرة اشتهرت بخيانة الوطن والدين، لذلك نشأ غلام أحمد وفياً للاستعمار الانجليزي، من معتقداتهم: ادعاء القادياني النبوة، والقول بالحلول والتناسخ، ومن مؤلفات القادياني: "ضميمة الوحي"، "براهين أحمدية". انظر: القاديانية دراسات وتحليل، ظهير، ص1-5، وفرق معاصرة تنسب للإسلام، عواجي، ص747-829.

(3) سنوك هُرْخرونيه Snouck Hurgronje: (1857م – 1936م) مستشرق هولندي، درس اللاهوت، وباحث في ثقافة ولغات الشعوب الشرقية، حصل على الدكتوراه من جامعة لايدن في عام 1880م عنوانها "موسم الحج في مكة" عمل مستشار في شؤون الشعوب في الحكومة الاستعمارية في إندونيسيا. انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص353 .

- توثيق العلاقة بين الاستعمار والاستشراق، ويلاحظ ذلك من خلال تتبع سيرة العديد من المستشرقين فنجد أن العديد منهم عمل بوزارات المستعمرات الخارجية والحربية أمثال: (هروجينهSnouck Hurgronje)،(جوينبول[1]Theodor Juynbaoll,)، (ماسينيون[2]Massignon,L.) وغيرهم كثير، كما أن عدد من السياسيين يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم السياسية الخاصة بالبلاد المُسْتعمرة[3].
- سعى بعض المستشرقين لإيجاد(النظرية العرقية) ليبرروا الاستعمار، ووصفوا العقلية العربية بأنَّها عقلية ذرية غير قادرة على التجميع والقيادة، وممن قال بهذا القول المستشرق البريطاني (هاملتون جيب[4] Hamilton Gibb).
- تمويل الحكومات للعديد من مراكز الدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأوربية، إما تمويلًا كليًا أو جزئيًا، مثل تمويل الحكومة الأمريكية لمراكزها الاستشراقية [5].

وخلاصة القول أن الهدف الاستعماري لا يزال قائماً وإن انتهى الاستعمار، فتاريخ الاستشراق المعاصر يظهر فيه بوضوح ارتباط دراسات المستشرقين للإسلام والمسلمين بالاستعمار وخدمة الحكومات، والتنصير باستخدام وسائل خفية ومعلنة تهدف للسيطرة على الفكر الإسلامي واستعباده بتغيير منهجه وسلخه عن دينه، وهناك من يساعدهم من أبناء

---

(1) تيودور جوينبول ,Theodor Juynbaoll:(1866–1948م) مستشرق هولندي، درس القانون واللغة العربية على يدي دي خويه، اهتم بعلم الحديث والفقه، رسالته الدكتوراه بعنوان " القواعد العامة لمذهب الشافعي في الرهن"، مع بحث عن نشأته وتأثيره في الهند الهولندية "، انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص635.

(2) ماسنيون .Massignon,L: (1883–1962م) مستشرق فرنسي، اشترك بمؤتمر المستشرقين سنة 1905م، تتلمذ على يد على جولدزيهر، عين بالمعهد الفرنسي للآثار بالقاهرة، تنكر بالزي الأزهري ليتمكن من سماع الدروس فيه، حصل على الدكتوراه برسالة عن آلام الحلاج 1922م من السربون، كتب عن التصوف الإسلامي، والشيعة والباطنية، من كتبه "تاريخ المصطلحات الفلسفية بالعربية " و " تاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا " انظر المستشرقون، للعقيقي، ص287–289. انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص529–534.

(3) انظر: مقال بعنوان: تلخيص كتاب رؤية إسلامية للاستشراق، غراب، (موقع إلكتروني).

(4) السير هاملتون جب .Gibb,SirHamilton,A.R: (1895–1971م) يعتبر من أكبر مستشرقي انجلترا، ولد بالإسكندرية، كان مدير مركز دراسات الشرق في هارفارد، هو محرر الطبعة الإنجليزية للدائرة، من أهم كتبه " المدخل إلى تاريخ الأدب العربي "، و"الاتجاهات الحديثة في الإسلام"، المستشرقون، العقيقي ص552–553، انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص174–175.

(5) الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مطبقاني، ص36.

جلدتنا، ممن فتنوا بالحضارة الغربية، ولكن لن يرضوا عن المسلمين مهما حاولوا إرضاءهم بشتى السبل والتنازلات إلا باتباع ملتهم، كما قال الله عز وجل في ذلك: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ البقرة: 120.

ج. الهدف العلمي :

لا تُنكر جهود المستشرقين في خدمة بعض المناحي التراثية، وتحقيقها ونشرها وفهرستها-بغض النظر عن أهدافهم- وما إلى ذلك حيث أصبح الكثير من الباحثين لا يستطيع الاستغناء عن بعض جهودهم العلمية في أبحاثهم ومكتباتهم، ومن ذلك الكتب والمعاجم والموسوعات التي أخرجوها، وحققوها، وكانت نافعة للمسلمين، مثل:

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الذي أخرجه مجموعة من المستشرقين وعلى رأسهم (فنسك[1] Wensinck,A.J).
- مفتاح كنوز السنة، (لفنسك)، ترجمه للعربية محمد فؤاد عبد الباقي[2].
- كشف المخطوطات، وحفظها، وفهرستها، والعناية بها حيث يوجد عشرات الآلاف من المخطوطات الإسلامية في مكتبات أوروبا[3].

وعلى الرغم من أن تلك الكتب النافعة وهذه المجهودات كانت تقترب من صفة النزاهة والحياد إلاَّ أنه في النهاية اضمحلت هذه الجهود مقابل الأهداف السيئة والكتب المتأولة، والمتجنية التي تركت المصداقية والحيادية والنزاهة العلمية، فها هو (مونتجومري وات[4] Montgomery,Watt) يقول :" إذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير

---

(1) فنسك .Wensinck,A.J : (1882-1939م) آرند جان فنسك مستشرق هولندي، من أكثر المستشرقين إنتاجاً وكذلك كتابة بالدائرة، تخصص بالحديث النبوي ألف كتاب "مفتاح كنوز السنة" ،ترجمه للعربية محمد فؤاد عبد الباقي، من كتبه" موقف الرسول من يهود المدينة" وهي رسالته في الدكتوراه". انظر: الاعلام، الزركلي،ج288/1-289، والمستشرقون، العقيقي، ص667-668

(2) ألف المستشرق فنسك هذين الكتابين لتسهيل الرجوع للأحاديث النبوية، لخدمة أهدافهم الخاصة، لا لخدمة الإسلام، وهذا واضح من خلال تتبع سيرة المؤلف.

(3) المخطوطات الإسلامية وصلت للغرب إما عن طريق الرحالة الباحثين، أو عن طريق شرائها، أو عن طريق سرقتها من خلال استعمار البلاد .

(4) مونتجومري وات Montgomery,Watt: مستشرق انجليزي معاصر، عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبرة، من كتبه " محمد في مكة ""محمد النبي ورجل الدولة"، اتهم فيها النبيﷺ بالشهوانية والغدر حاشاه عن ذلك، له مقالات منها: "الجدل الديني "، "الإسلام والجماعة الموحدة"، حرر بالطبعة الثانية للدائرة مادة لصحابة رسول الله، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص554.

معقولة، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية البحتة "[1]، وكلام مونتجومري وات أيضاً موجه إليه، حيث إنه يجب إعادة النظر في آرائه وآراء أمثاله فلا تزال كتاباتهم مخالفة للحقائق التاريخية، وغير مقبولة للمسلمين ومن ذلك دعواه بأن الإسلام مستقى من الأديان السابقة كاليهودية والنصرانية وغيرهم[2].

ويقول (برنارد لويسBernard Lewis): " لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين، ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث العلمية "[3].

خلاصة القول أن هناك فريقًا من المستشرقين لايزال حاقدًا على الإسلام والمسلمين، ويظهر تعصبهم من خلال منهجهم في الكتابة رغم ادعائهم الموضوعية والحياد، وقد ساعد على انتشار منهجهم وخاصة المنهج المادي شعور المسلمين بضعفهم، وتأخرهم فنسبوا كل الإيجابيات للغرب، ونهلوا من علومهم ما هب ودب، وكذلك دفاع كتاب ومحدثين عنهم وعن مناهجهم وقيمتها العلمية والحضارية بدون استثناء.

بالمقابل هناك شريحة لا بأس بها من الجيل الجديد من الباحثين الأوروبيين المختصين بتاريخ الشرق عموماً، أو الإسلام خصوصاً، والذين يرفضون أن يطلقوا على أنفسهم تعبير " المستشرقين " اتسمت دراساتهم بقربها من الحقيقة، والتزامها المنهج العلمي المتجرد قدر الإمكان إذا ما قرنت بالفئة ذات المنهج المتزمت [4]،هؤلاء أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها مثل (هادريان ريلاند[5]Hardrian roland)،

---

(1) محمد ﷺ في مكة، المستشرق الإنجليزي، مونتجمري، ص41.

(2) انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص235.

(3) مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، القاسم، ص42.

(4) انظر: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، فوزي، ص27 .

(5) هادريان ريلاند Hardrian roland: ت1718م أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا، له كتاب الديانة المحمدية في جزأين باللغة اللاتينية 1705م، لكن الكنيسة في أوروبا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها، انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج2/688-689.

(يوهان ج. رايسكه[1]J.J.reiske)، وهناك من أدى به البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، ومن هؤلاء: مثل موريس بوكاي [2]، عبد الكريم جرمانوس[3].

د. **الهدف الاقتصادي والتجاري :**

من الأهداف التي كان لها الأثر في حركة الاستشراق وتزايد نشاطها، الهدف التجاري الذي سعى من خلاله المستشرقون إلى:

- إقامة علاقات تجارية بين الدول الأوربية والشرق لتنشيط تجارتهم، وترويج بضائعهم في أسواقه.
- البحث عن مواد خام لصناعاتها، وشرائها بأثمان بخسة.
- الحرص على فتح أسواق تجارية لصناعتهم في الشرق، مع قتل النشاط الصناعي والتجاري في الشرق حتى يبقى متخلفاً، وشاعراً بالنقص، والحاجة لهم ومنهزماً نفسياً أمام تقدمهم مما يسهل خضوعهم وانقيادهم لهم.

لذلك لزمهم التعرف على الشرق وطبيعته وجغرافية بلاده، وعادات شعوبه ومعتقداتهم، وتوظيف هذه المعرفة بالشرق فيما يخدم الهدف الاقتصادي، وقد أشار الدكتور محمد البهي إلى الهدف الاقتصادي للاستشراق بقوله: " ويبدو أن فريقاً من الناس دخلوا الاستشراق من باب البحث عن الرزق، عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، أو دخلوه هاربين عندما قعدت بهم إمكانياتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء في العلوم الأخرى، أو دخلوه تخلصاً من مسئولياتهم الدينية المباشرة في مجتمعاتهم المسيحية، أقبل هؤلاء على الاستشراق تبرئة لذمتهم

---

(1) يوهان ج. رايسكه J.J.reiske: (1716 – 1774م)، مستشرق اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام، وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا، انظر: الموسوعة الميسرة للأديان والأحزاب والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج2/688-699

(2) موريس بوكاي: صاحب كتاب" دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" أثبت فيه موافقة القرآن للحقائق العلمية انظر: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص134.

(3) عبد الكريم جرمانوسGermanuse.J: (1885-1979م) مستشرق مجري، أشهر إسلامه اسمه الأصلي (جيولا)، كان عضواً في المجمع اللغوي في القاهرة أحب الإسلام واللغة العربية وخدمهما حيث ألف أكثر من مئة وخمسين كتابًا عن الإسلام منها "الله أكبر" ،" الحركات الحديثة في الإسلام". انظر: المستشرقون، العقيقي، ص109-113.

الدينية أمام إخوانهم في الدين، وتغطية لعجزهم الفكري، وأخيراً بحثاً عن لقمة العيش، إذ إن التنافس في هذا المجال أقل من غيره من أبواب الرزق[1]"

وظهر أيضاً فريق من الباحثين اهتم بالدراسات الاستشراقية يُعْنَى بنشر الكتب والمؤلفات التي تدور حول التراث الإسلامي على وجه التربح المادي، حيث يقل انتشار هذه الدراسات في أسواق أوروبا وآسيا، فيستفيدون من نشرها تحصيل الثروات حيث يكون ذلك تجارة رابحة لهم وللناشرين الذين ينشرون كتاباتهم [2].

وخلاصة القول في الأهداف الاستشراقية أنها أهداف تتسم بالمرونة، وأنها قابلة للتعديل والتغيير، بحسب طبيعة المعركة التي تخاض ضد المسلمين، فتارة نجدها حرباً استعمارية، وتارة جهودًا تبشيرية تنصيرية مستغلة للأوضاع الاقتصادية المتدهورة في بعض بلاد المسلمين ومستغلة عوزهم بنشر الدين النصراني باعتبار أنه الدين الإنساني المنقذ، وأخرى محاصرات اقتصادية لمن يخالف أوامرهم، وأحياناً تدخلات بشؤون البلاد المسلمة كهيئات إنسانية حقوقية، أو وضع أتباعهم بمراكز مرموقة في الدول التي يريدونها ليكونوا لهم يداً تكفيهم ما يودون عمله دون مواجهة أو منافرة من المسلمين.

وممَّا ينبغي التوقف عنده والتأكيد عليه أنَّ نشاط المستشرقين والخبراء الأمريكيين بشؤون الشرق الأوسط يشكل جزءًا رئيساً من نظام التخطيط للعمل الإسرائيلي والأمريكي في المنطقة العربية، وهذا يبين بوضوح أنَّ الاستشراق اليوم يقوم على مخطط تحدده المصالح الأمريكية والصهيونية في الشرق العربي الأوسط، كما لعب الاستشراق الأوربي من قبل، والاستعمار الإنجليزي دَورًا مُهِمًّا في خدمة الأهداف الصهيونية بإنشاء صندوق اكتشاف فلسطين، وإعلاء شأن اليهود مع التقليل من شأن العرب المسلمين، والذي سهَّل للصهيونية تحقيق أهدافها من خلال الاستشراق وجود أكثر من أربعين يهودي في المدارس الاستشراقية الأوربية والأمريكية، ومن أكبر مستشرقيها مثل: جولد زيهر، وشاخت، وكارل بروكلمان، ولويس ماسينون، ومكسيم ردونسون، ومرجليوث، وبرنارد لويس[3].

---

(1) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، البهي، ص430-431.

(2) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص128، والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، الندوي، ص188.

(3) انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، الشحود، ج24/309-310.

4. **وسائل المستشرقين :**

حرص المستشرقون على تحقيق أهدافهم وغاياتهم، فلم يتركوا وسيلة، لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها ومن أهم هذه الوسائل:

أ- التدريس الجامعي، فلا تكاد تخلو جامعة أوربية أو أمريكية من معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية؛ بل أحياناً يوجد في الجامعة أكثر من معهد للاستشراق [1].

ب- جمع المخطوطات وفهرستها، وقد كان عملهم هذا بناءً على إدراكهم لقيمة هذه المخطوطات لما تحمله من تراث غني في شتى المجالات والعلوم، ومما يدل على ذلك القيام بفهرسته فهرسة علمية دقيقة [2]،ومن أمثلة ذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومفتاح كنوز السنة.

ج- تحقيق عدد من الكتب التراثية بصورة انتقائية تخدم أهدافهم، ونشرها، حيث زخرت المكتبات العربية، والأوربية بالعديد من أمهات الكتب المحققة على أيدي المستشرقين في العديد من المجالات، في السير والتاريخ، وعلوم القرآن، والملل والنحل، والنحو، والتفسير، وكذلك قاموا بتأليف كتب في اللغة، والشريعة، والتصوف، والفلسفة، والتاريخ وغير ذلك، وترجمة عدد كبير منها إلى اللغات الأوربية [3]–مع ذلك لا يمكن إنكار جهدهم فقد تصدوا للتراث بشجاعة، وتحملوا مشاق البحث بصبر–، ومن الجدير بالذكر أن كثيرًا من الكتب تم الاستيلاء عليها إبان الاستعمار، فأصبح إحياؤها يتم على النحو الذي يريده المستشرق، فلو دُقِق بالكتب التي حققوها وترجموها أو تم تأليفها نجد أن كثيرًا منها يبرز الكفر والضلال ويظهر ذلك جلياً من اهتمامهم بكتب الباطنية، والفلاسفة [4]، والحلولية [5]، والفرق المنحرفة كالمعتزلة [6] وغلاة

---

(1) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، زقزوق، ص59.

(2) انظر: مجلة المنهل : مقال بعنوان: دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، الصقار، ص156، ومفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، القاسم، ص39.

(3) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية المعاصرة، زقزوق، ص59، والاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، النبهان، ص38–39.

(4) اهتم المستشرق ماكدونالد بعلم الكلام والفلسفة، من كتبه "علم الكلام بالإسلام"، وأيضاً اهتم بمؤلفات ابن سينا وترجمتها منها "رسائل في النفس"، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص1001.

(5) الحلولية: هم من يؤمنون بعقيدة الحلول، وهو حلول الله ﷻ في مخلوقاته، حلول اللاهوت في الناسوت، وهي عقيدة كفرية صوفية باطنية، مأخوذة من المذاهب والفلسفات والوثنيات الهندية والبوذية والنصرانية وغيرها، ومن القائلين بوحدة الحلول الحلاج، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج2/140–141، وقد اهتم المستشرق ماسينيون بكتب الحلاج وترجمتها إلى الفرنسية، انظر: الأعلام، الزركلي، ج5/247.

(6) المعتزلة: يدعون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، هي فرقة ظهرت في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري لاختلافه معه في حكم مرتكب الكبيرة، انظر: الفصل، ابن حزم،146 –153، والملل والنحل، الشهرستاني، ج1/49–52، وقد اهتم المستشرق (السير وليم ناسوليز) بتحقيق كتاب الكشاف للزمخشري .

الصوفية [1]، ولا ننكر أنهم حققوا كتباً قيمة مثل كتاب (الطبقات) لابن سعد[2]، و(الخراج) لأبي يوسف [3]، و(تاريخ الرسل والملوك للطبري) [4]وغيرهم.

د- عقد المؤتمرات للحد من انتشار الإسلام ومحاربته مثل مؤتمر أكسفورد (1929)، مؤتمر مكسيكو (1976)حيث يُلقى في هذه المؤتمرات المئات من البحوث والندوات والمحاضرات، ويطبع في النهاية الكتب الجامعة لهذه البحوث والندوات والمحاضرات في كل مؤتمر[5]، وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم عن الإسلام وتاريخه، وشعوبه مثل المجلة الآسيوية في باريس (1787)، مجلة العالم الإسلامي التي يصدرها الأمريكيون وهي من أخطر المجلات مؤسسها هو صموئيل زويمر (1911)حيث إن طابعها تنصيري [6].

هـ- تصنيف الموسوعات، ومن أهمها موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، فقد أصدرها المستشرقون بعدة لغات، ولا يزالون يجددوا طباعتها ويضيفون إليها كل جديد يسيء للإسلام، وكذلك كتبوا في الدوائر الأوربية في الموضوعات المتعلقة بالإسلام مثل دائرة المعارف الإيطالية لتشويه صورة الإسلام عند الغربيين بقصد إبعادهم عن الدخول فيه[7]، وأيضاً الأطلس الجغرافي التاريخي للشرقين الأدنى والأوسط، الذي تناول المواضع الجغرافية والتاريخية، ويشمل بالإضافة إلى ذلك مواضع لا يتم تناولها بمثل ذلك من الأطالس مثل: الفتن السياسية، والمدارس الفقهية، وأماكن العبادة، توزيع السكان [8].

---

(1) غلاة الصوفية: هم جماعة لهم طرق بدعية في العبادة والتنسك ما شرعها الله في صلواتهم، وأذكارهم وفي خلواتهم، من عقائدهم: وحدة الوجود، والحلول، والحقيقة المحمدية، منهم الحلاج، وابن فارض، وابن عربي وقد اهتم المستشرقون بتحقيق كتبهم مثل تحقيق (نيكلسون) كتاب "التصوف في الإسلام"، انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، البهي، ص454، وتحقيق (شبرنجر) اصطلاحات الصوفية للسمرقندي.

(2) حققه مجموعة من المستشرقين ومنهم (بروكلمان)، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص779.

(3) أخرجه وحققه المستشرق(فانيان)، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص237.

(4) حققه المستشرق (دي خويه) في ثمانية آلاف صفحة، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص665-666.

(5) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، ج693/2، والمستشرقون، العقيقي، ص1106 -1107.

(6) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، السباعي، ص38-39، انظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، الخطيب، ص208.

(7) كتب في دائرة المعارف الإسلامية والإيطالية(ليفي دلافيدا)انظر: المستشرقين، العقيقي، ص391.

(8) انظر: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، حسنة، ص29.

ويمكن الخلوص مما سبق أن المستشرقين يبذلون قصارى جهدهم سواء مادياً، أو معنوياً في سبيل تحقيق أهدافهم وغاياتهم الاستشراقية من تشكيك في الدين الإسلامي وتشريعاته، وافتراء على الحضارة العربية الإسلامية، مستخدمين شتى الوسائل، وعلى فترات طويلة دون أن يصيبهم كلل، أو ملل، فإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على ما يمثله الشرق من خطر على الحضارة الغربية، وخاصة الدين الإسلامي.

ثالثاً: نُبذة تعريفية عن دائرة المعارف الإسلامية.

تعد دائرة المعارف الإسلامية من أكبر الدراسات الاستشراقية، وأعظمها خطورة، فقد استمر العمل فيها قرابة عشرين سنة من(1913–1938م) قبل ظهورها، ويعد مصدر الخطر الكبير فيها تحريف المستشرقين للنصوص الدينية، وتأويلها لتشويه صورة الإسلام وزعزعته، ونظراً لأهمية الموسوعة للمستشرقين فقد جندوا أنفسهم، وأقلامهم في سبيل أن تكون هذه الدائرة منارة، وحجة علمية، ومرجعًا هامًّا لكثير من الدارسين والمثقفين، فهي خلاصة الفكر الاستشراقي.

1. ماهية دائرة المعارف الإسلامية:

سيتم الحديث عن دائرة المعارف الإسلامية من خلال عدة نقاط:

أ. تعريفها:

دائرة المعارف الإسلامية: "Encyclopedia of Islam"هي عبارة عن موسوعة أكاديمية من المقالات والبحوث المتعلقة بالحضارة الإسلامية كتبت بأقلام أساطين المستشرقين، جمعوا فيها أكثر دراساتهم عن الإسلام والمسلمين، فكتبوا فيها عن الحضارة الإسلامية من الناحية الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والعلمية، والجغرافية، وأيضاً تحدثوا فيها عن العصر السابق للإسلام[1].

ب. اللغة التي كتب بها:

كتبت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية.

ج. دواعي كتابتها:

تم التفكير بكتابتها عندما أدرك المستشرقون خلال مؤتمراتهم مدى حاجتهم لدائرة

---

(1) انظر: مقال بعنوان : دائرة المعارف الإسلامية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة (موقع إلكتروني).

معارف لأعلام العرب والإسلام، حيث طرح المستشرق (روبرتسون سميث[1] Smith W.R.) فكرة إنشاء الدائرة في مؤتمر المستشرقين التاسع الذي عقد في لندن 1892م، ومات روبرتسون ولم تتحقق الفكرة.

اهتم بعده المستشرق اليهودي المجري (جولدزيهر[2] Goldziher) بالفكرة وفي المؤتمر الحادي عشر الذي عقد في باريس 1897م، قدم تقريراً حول الأعمال التحضيرية لدائرة المعارف الإسلامية، وبعد دراسته أوصوا باعتماده، ونصه " قرر مؤتمر المستشرقين الحادي عشر المجتمع في باريس تكوين لجنة دائمة مهمتها القيام بالمساعي الضرورية لكي يتأكد نجاح خطة تحرير دائرة المعارف الإسلامية، ولا سيما إحراز انخراط الحكومات، والمؤسسات العلمية في المشروع، وللحصول على مساعداتهم المالية كذلك"[3].

في عام 1899م عقد المؤتمر الثاني عشر للمستشرقين في روما، حيث قدم فيه المستشرق جولدزيهر تقريرًا حول الخطة الدائرة التي تمت الموافقة عليها في مؤتمر باريس وطالب الحضور ببذل الجهود وطلب المساعدة من الأصدقاء حتى يتم تحقيق المشروع[4].

وتوالت بعد ذلك مؤتمرات المستشرقين الدولية، وكان من أهم ما يناقش فيها موضوع الدائرة، فقد تابعوا بكل اهتمام مراحل نشأتها، ومما اتفق عليه في تلك المؤتمرات أن تتم طباعة الدائرة بثلاث لغات أوربية، الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، وهي لغات أكبر دول استعمارية في الوطن العربي.

---

(1) روبرتسون سميث Smith W.R.: (1846–1894م) مستشرق انجليزي وقس كنيسة اسكتلندا، عالم بالعهد القديم وأستاذ بالإلهيات، عرف بذكائه دخل الجامعة وعمره 15 سنة، من محرري الموسوعة البريطانية، من مؤلفاته كتاب " دين الساميين"، المستشرقون، العقيقي، ص489.

(2) جولدزيهر Goldziher: (1850–1921م) مستشرق يهودي مجري، من أعلام المستشرقين، درس العربية على أيدى مشايخ الأزهر ولاسيما الشيخ محمد عبده، اشتهر بتحقيقه في تاريخ الإسلام والعلوم الإسلامية والفرق الإسلامية خاصة الباطنية، ومن أشهر كتبه " العقيدة والشريعة في الإسلام " "تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي "، شكك بأبي هريرة وقد أخذ عن عامة المستشرقين ذلك، واتهم النبي بالتعصب مع أهل الكتاب، انظر: اتهام النبي، ص666، وأبو هريرة، ص580، المرجع السابق، ج3/40–42

(3) انظر: القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية، الحميد، ص5.

(4) انظر : المرجع السابق ص5.

د. القائمون على إصداراها:

اشترك عدد كبير من المستشرقين في تحرير الطبعة الدائرة، واستعانوا بالمؤسسات والمجامع لتقوم بالإنفاق عليها، وقامت مطبعة(ليدنleiden) بإصدارها، وتولت دار (بريلBrill) الهولندية نشرها.

كانت بداية تأليفها (1906م)، وقد كان من أوائل من ساهم تحريرها (هوتسماM.Th.Houtsma[1]) و(فنسنكA.J.Wensinck) من هولندا، (آرنولدT.Arnold[2]) و(جبH.Gibb) من بريطانيا، و(باسيهR.Basset [3]) و(ليفي برفنسيالL.Provencal[4]) من فرنسا، و(هارتمانR.Hartmann [5]) و(شادةA.Chaada[6]) من ألمانيا واستمر العمل بها حتى عام (1938م) حيث أنتج أربعة مجلدات كبيرة وملحق.

---

(1) هوتسماM.Th.Houtsma: (1851–1943م) مستشرق هولندي، درس العربية، رسالته الدكتوراه بعنوان "االمزار وأثره في الشعوب السامية "، كلف بالمشاركة في دائرة المعارف الإسلامية، ساهم فيها بنشر تفسير الطبري، وفهرس مخطوطات كتاب الفهرست ابن النديم . انظر: المستشرقون العقيقي، ص669، وموسوعة المستشرقين، بدوي، ص428–429.

(2) آرنولدT.Arnold : (1864–1930م) مستشرق انجليزي، هو أول من جلس على كرسي للدراسات العربية في لندن، كان معجباً بالإسلام، منصفاً له، من كتبه "الدعوة إلى الإسلام"، نشر باب ذكر المعتزلة من "كتاب المنية والأمل"، انظر: المرجع السابق، ص504–505.

(3) باسيه رينيهR.Basset : (1855–1924م) مستشرق فرنسي، يتقن العربية، من محرري دائرة المعارف الإسلامية، من أعماله: " صلوت المسلمين في الصين"، و"الشعر العربي قبل الإسلام"، انظر: المرجع نفسه، ص223–224.

(4) ليفي بروفنسيالL.Provencal : (1894–1956م) ولد بالجزائر، اهتم بالتاريخ ودراسة الآثار والنقوش، رسالة الدكتوراه بعنوان "مؤرخو الشرفاء " وتتمتها " نصوص الأوارغة العربية "، اهتم كثيراً بالمخطوطات، كان مديراً للطبعة الفرنسية لدائرة المعارف الإسلامية، من كتبه التي حققها "الجامع الصحيح " لأبي عبد الله البخاري، " نسب قريش " لعبد الله بن الزبير، انظر: المرجع نفسه، ص275–276.

(5) هارتمانR.Hartmann : (1851–1919م) مستشرق ألماني، متقن للغة العربية، أحد محرري دائرة المعارف، لقب بعميد الدراسات الإسلامية في ألمانيا، من كتبه: "ديوان الأدب لأبي إبراهيم الفارابي"، "خمسة خطباء بالإسلام" "الشرق الإسلامي"، انظر: المرجع نفسه، ص725–726

(6) شادة A.Chaada: (1883–1952م) مستشرق ألماني، عرف بكتابته عن بعض الأدباء المعاصرين، من كتبه "الشريعة الإسلامية"، و" الجزء الأول من ديوان أبي نواس"، انظر: المرجع نفسه، ص775.

وقد كُلف هوتسما برئاسة تحرير الطبعة الأولى، فتولى تحرير المجلد الأول فقط، ثم أشرف فنسك على تحرير باقي المجلدات والملحق [1].

هـ. اصدارات الموسوعة :

- الإصدار الأول: (1913-1938م)

في عام 1913 م صدر المجلد الأول منها، وفي عام 1927م صدر المجلد الثاني، وفي عالم 1936م صدر المجلد الثالث، وفي عام 1937م صدر المجلد الرابع، وفي عام 1938 م صدر الجزء التكميلي للدائرة، وكان مجموع صفحاتها بطبعتها الإنجليزية (4960) صفحة، وفي الوقت نفسه صدرت باللغة الفرنسية، والألمانية حسب اتفاق التأسيس [2].

- الإصدار الثاني: (1954-1977م) دائرة المعارف الإسلامية الجديدة.

بعد الحرب العالمية الثانية عام 1945م، أصيب نشاط لجنة الدائرة بعض الاضطراب بسبب القضاء على بعض أعضائها في الحرب، ثم استأنفت نشاطها، ففكر المستشرقون بإصدار جديد للطبعة، وذلك لاستدراك ما فاتهم بالطبعة الأولى، وإضافة ما جد من معلومات ففي المؤتمر الحادي والعشرين للمستشرقين الذي عقد في باريس 1948م قدموا مشروعاً بذلك، وتم الموافقة عليه، وتكفل بالمبادرة إلى تنفيذ هذا المشروع المجمع العلمي الملكي الهولندي بالتعاون مع مندوبين من مجامع أخرى [3]،

وقد أشرف عليها كرامرز [4]، وجب، وليفي بروفنسال، ونشرت طبعة جديدة منقحة.

فقد أصدر المجلد الأول 1960م وبلغ عدد صفحاته 1359 صفحة، وأصدر المجلد الثاني 1965م وبلغ عدد صفحاته1146صفحة، ثم توالى إصدار باقي المجلدات، فلاحظ الفرق بالصفحات بين الإصدار الأول والإصدار الثاني فهذا يبين ضخامة العمل، وكثرة المواد التي تم إضافتها للدائرة، ومما يجدر الإشارة إليه أن مواد الطبعة الثانية بعضها مأخوذ من الطبعة

---

(1) انظر: مقال بعنوان: دائرة المعارف الإسلامية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، المستشرقون، العقيقي، ص1107-1108.

(2) انظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، رودي بارت، ص47.

(3) انظر: موجز دائرة المعارف الإسلامية، المقدمة، المقدمة ص12.

(4) كرامرز Kramers,J.H.: مستشرق هولندي، عُين بعد فنسك على كرسي العربية في جامعة ليدن، من كتبه" فن التاريخ عند الأتراك العثمانيين" و"علم الاجتماع الإسلامي"، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص670-671.

الأولى بنصه دون تعديل، وبعضها تم تعديله وتنقيحه، وقاموا بحذف مواد قديمة بالكلية، وأضافوا مواد جديدة كل الجدة، وقد نشرت الطبعة الثانية باللغتين الإنجليزية، والفرنسية فقط[1].

- الإصدار الثالث تم البدء فيه عام (2007م) ويرافقه نسخة الكترونية[2].

ومما سبق عرضه من حقائق متصلة بدائرة المعارف يتبين التالي:

- تم إخراج هذه الدائرة على يد جهابذة المستشرقين، فهي خلاصة جهودهم، وتمتاز بأنها كبيرة الحجم، متنوعة العلوم والمعارف.
- تميزت تلك الدائرة بأنها عمل جماعي دولي عقدت له المؤتمرات، واجتمع كثير من المستشرقين من أجله من شتى دول أوروبا.
- تتميز باستمرارية إخراجها، فيتم كل مدة إخراجها وإضافة ما جد من معارف على أيدي المعاصرين الجدد من المستشرقين.
- كما أنها تمتاز بتعدد لغاتها حيث إنها أخرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك، فهي كما نوهنا خلاصة الفكر الاستشراقى، فلا يستغني عنها أي شخص مهتم بالاستشراق.

لذلك يتردد داخلنا تساؤل لم كل هذا الاهتمام بالعرب ؟، وخاصة الإسلام والمسلمين، لماذا تدفع كل هذه المبالغ الضخمة وتعقد المؤتمرات الدولية للاستمرار بإنتاج هذه الدائرة وتطويرها، وإضافة كل جديد إليها؟ هذا يشكك أي واعٍ بأهداف كُتابها، فمن خلال كتاباتهم يتبين أن هناك أهدافًا خاصة لكل مؤلف فيها وراء هذه الكتابات، وخاصة فيمن كتب عن عقائد المسلمين، أما أهدافهم العامة فيمكن إجمالها بمحاولتهم صد الغرب عن الإسلام بكل الوسائل وأهمها تشويه الإسلام وتنفيرهم منه، كذلك السعي وراء ارتداد المسلمين عن الإسلام وتنصيرهم، أو على الأقل تشكيكهم في دينهم بزرع الشبهات، وأخيراً تزويد المبشرين والمستعمرين بمعلومات مغلوطة عن الإسلام لخدمة هذه الأهداف.

---

(1) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الشاذلي بويحيى، ص230، 1966م.

(2) انظر: مقال بعنوان : دائرة المعارف الإسلامية، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

2. **بيان موقف المختصين من دائرة المعارف الإسلامية:**

اختلفت وجهات النظر المتعلقة بدائرة المعارف الإسلامية، فانقسموا في مواقفهم إلى ثلاث فرق، وهي على النحو الآتي:

أ- فريق مدح الدائرة:

ومن أبرز من تصدر هذا الفريق:

- **نجيب العقيقي** حيث قال: "وقد تحققت الغاية من دائرة المعارف الإسلامية من إحاطة الناس حق الإحاطة بأحوال ملايين المسلمين واطلاعهم على تاريخهم وجغرافيتهم ودينهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وتراجم المشهورين من رجالهم، بطريقة علمية خالصة، فجاءت أمتع كتاب عنهم في الغرب، وأقرب إلى الحقائق والتمحيص والاستنباط، والإحاطة في كل ما ألفه الغربيون في هذا الشأن "[1].

ب- فريق ذم الدائرة:

ومن أولئك الذين رفضوا دائرة المعارف الإسلامية لما فيها من معايب ونقائص:

- **محمد رشيد رضا**[2] حيث قال: "إن في هذه الدائرة عيوباً علمية وتاريخية، أهمها: أنها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها، بل لأجل بيان آرائهم وأهوائهم والإعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتفرقة "[3].
- **أنور الجندي** حيث قال: "وضعت دائرة المعارف باللغات الأوربية في دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير، بهدف أساسي هو أن تكون مادة في أيدي الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار إلى عالم الإسلام والعروبة، ولذلك فهي تنضج بالحقد والتعصب والشكوك والاضطراب، وقد كتبها جهابذة التبشير والاستشراق وحملوها كل خصوماتهم وأحقادهم "[4]
- (ستيفن همفري Stephen Hamphreys) أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كاليفورنيا حيث قال: "دائرة المعارف الإسلامية مؤلفة بالكامل من قبل باحثين أوربيين وهي لا تعبر

---

(1) المستشرقون، العقيقي، ص1108.

(2) محمد رشيد رضا: (1865-1935م) بغدادي الأصل، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الديني، تتلمذ على يد محمد عبده، من كتبه "تفسير القرآن ولم يكمله، الوحي المحمدي، شبهات النصارى وحجج الإسلام، انظر: الأعلام، الزركلي، ج126/2.

(3) سموم الاستشراق والمستشرقين، أنور الجندي، ص19.

(4) المرجع السابق، ص17-18.

إلا عن النظرة والمفهوم الأوروبي للحضارة الإسلامية، وتناقض هذه المفاهيم وتختلف عن ما يؤمن به المسلمون أنفسهم، بل تتناقض مع المراجع الإسلامية كالأزهر "[1].

ج- فريق توسط بين المدح والذم:

ظهر فريق ثالث توسط في موقفه بين المادحين والذامين، ومن أشهرهم:

- **أبو الحسن الندوي** حيث قال: "إن دائرة المعارف الإسلامية التي ألفها المستشرقون – ولوكان فيها لبعض المسلمين إسهام ضئيل وصدرت منها طبعات متعددة – تعد أكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية، وأثمن ذخيرة، وتعتبرها بعض الدول الإسلامية اليوم أساسًا للمعلومات الإسلامية، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها وفصها، وكان من المتوقع المأمول منها أن تضع موسوعات إسلامية أصيلة بقلم الباحثين المسلمين أصحاب الاختصاص في الموضوعات الإسلامية"[2].
- **محمود حمدي زقزوق** حيث قال: "على الرغم مما لنا نحن المسلمون على هذه الدائرة من مآخذ فإنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين"[3].

من خلال استعراض أقوال المتخصصين في دائرة المعارف الإسلامية يمكن القول أن كُتّاب الدائرة فريقان، فريق أخلص في سرد الحقائق والتاريخ، وحاول التزام الموضوعية والدقة في الأداء والمنهج، وهذا الفريق لا يمكن إنكار فضله، وفريق آخر تعمد الدس والتشويش، والبحث عن مواضع الضعف في الشريعة الإسلامية وحضارتها وتاريخها بتقصي الهنات والهفوات لأجل تحقيق غاية دينية أو سياسية.

3. موضوعات دائرة المعارف الإسلامية:

تنوعت موضوعات الدائرة واشتملت على: الشرع، الجغرافيا، التاريخ الإسلامي، الفرق، الصحابة، علم الكلام، الفلسفة، السيرة، العلماء، الشعراء، الأطباء، العصر الجاهلي، العلوم، الجزيرة العربية، الفقه والفقهاء، الشريعة الإسلامية، اللغة العربية، العقيدة، التصوف، التراجم، الأنظمة، الفتن بين الصحابة، حيوانات ونباتات، المذاهب، الحضارات، العملات الإسلامية، الرياضيات، الأدب، المؤرخون، النجوم، والفلك الحصون، والأبراج.

---

(1) انظر: مقال بعنوان: دائرة المعارف الإسلامية، انتقادات، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ومفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية، القاسم، ص76.

(2) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص19.

(3) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، زقزوق، ص70.

الفصل الأول:
منهجية المستشرقين التصنيفية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال الدائرة الإسلامية.

الفصل الأول:

منهجية المستشرقين التصنيفية في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال الدائرة الإسلامية.

عند النظر إلى حقول المعرفة الإسلامية المعاصرة، سنجد أن هناك إسهامات للمستشرقين في مجالات عدة كالدراسات والتحقيق والنشر والفهرسة قد فشا الاعتماد عليها، منها دائرة المعارف الإسلامية، حتى عدها كثير من الباحثين من المصادر الموثوقة التي تستمد منها المعلومات عن تراث المسلمين، فاقتبس منها الباحثون واستشهدوا بآراء المستشرقين، وبنوا عليها أحكامًا مهمة، لهذا وجب دراسة الجانب المنهجي العلمي في اقتباسات واستشهادات وتوثيق المستشرقين في الدائرة.

المبحث الأول:

منهجية المستشرقين في نقل وتوثيق مسائل العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

لا يمكن إنكار جهود المستشرقين في دراسة التراث الإسلامي، وإن اختلفت أهدافهم من وراء ذلك، إلا أن هذه الجهود تحتاج إلى مزيد من التمحيص والدراسة المتأنية، وذلك للتأكد من صحة وجدية ما أورده المستشرقون من المعلومات خاصة فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، وهذا سيكون على النحو الآتي:

المطلب الأول: غموض نسبة الأخبار إلى أصحابها.

إن معالم المنهجية الصحيحة تقوم على عزو الأقوال إلى قائليها، وهي من أساسيات المنهج العلمي المتعارف عليه، هذا هو سمت العلماء الموضوعيين المنصفين، الذين يحفظون الحقوق لأصحابها، قال سفيان الثوري (ت: 161هـ) رحمه الله: "إنّ نسبة الفائدة إلى مفيدها من الصدق في العلم، وشكره، وأن السكوت عن ذلك من الكذب في العلم، وكفره"[1]، وقال الأصمعي (ت: 216هـ): "مِن حقِّ مَنْ يقبسك علماً أن ترويه عنه" [2]، وكانوا يعتبرون ذلك باباً لتحصيل بركة العلم [3].

وبالنظر إلى الأقوال والأفكار التي ساقها المستشرقون في الدائرة في مواطن الاستدلال

---

(1) كشف الخفاء، الجراحي، ج1/ 253.

(2) معجم الأدباء، الحموي، ج24/1.

(3) انظر: جامع بيان العلم، النمري، ج922/2.

يُلحظ أن كثيرًا من هذه الأقوال تتسم بالغموض في نسبتها إلى أصحابها؛ لاستخدامهم أسلوب الإجمال في سرد الأقوال دون بيان قائليها، ومن أمثلة ذلك في الدائرة:

أولاً: اتهام العلماء الثقات بنصرة أهل البدع والضلال.

لم يألُ المستشرقون جهداً في النيل من الإسلام وأهله، كالتشكيك في العلماء الثقات، لنزع الثقة منهم، وهذا على النحو التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارديه[1] L.Gardet) عند عرضه لمادة (الله ﷻ) في الدائرة؛ قوله: "وحدة الوجود: وقد قيض لها أن تسيطر على التصوف المتأخر منذ (ابن عربي) وقد فطن (ابن تيمية) إلى أثر (ابن سينا) في ذلك (وتنقصه)، وكان تفطنه لذلك بنية التعديل والتكملة لا الرفض، ويمكن للمرء أن يقول إن الغزالي في كتيباته التي ألفها بآخرة، الغزالي الذى أشرب الفلسفة بل مذهب الإسماعيلية، هو رائد هذه الفرقة"[2]، وبهذه الدعوى يظهر محاولة المستشرق (كارديه) تزيف الحقائق، من خلال الطعن والغمز بابن تيمية بادعاء قبوله جزئيًا لانحرافات (ابن سينا)، واتهام الغزالي بانتمائه للمذهب الإسماعيلي.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (كارديه) العديد من الاتهامات الباطلة في حق ابن تيمية والغزالي، ومنها ما يلي:

أ. ادعاء أن ابن تيمية[3]حاول التعديل من أثر ابن سينا في التصوف.

- عرض أهل العلم مذهب ابن سينا[4] حيث إنه كان ينتمي للطائفة الإسماعيلية[5]، فقد كان ذا أفكار فلسفية إلحادية، كُفِر ببعضها، وحكم بضلاله، وقد أقر ابن سينا بأن أباه وأخاه

---

(1) المستشرق كارديه L.Gardet: (1905–1986م) مستشرق فرنسي، اهتم بدراسة الفلسفة والدين والتصوف، اشترك في معظم المؤتمرات الاستشراقية، من كتبه " العقل والإيمان في الإسلام"، " نبذة عن التصوف الإسلامي". انظر: المستشرقون، العقيقي، ج3/280–281.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، كارديه L.Gardet، مادة اللهﷻ، ج4/1124.

(3) تم البدء بالرد على الطعن بابن تيمية ثم الغزالي اتباعاً لورود ذلك بالنص.

(4) ابن سينا: الحسين بن عبد الله بن سينا، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، من كتبه عند المسلمين بالإلحاد، فقد قال عنه ابن قيم الجوزية: (كان ابن سينا – كما أخبر عن نفسه – هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين، انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصبيعة، ص437–459). وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج17/531–537، والأعلام، الزركلي، ج2/241–242.

(5) انظر: الشيخ الرئيس ابن سينا أحوال النفس رسالة في النفس وبقائها ومعادها، تحقيق: أحمد الأهواني، ص8.

كانا ملحدين[1]من أتباع الحاكم العبيدي[2]، وأنه كان يسمعهما يذكران العقل والنفس، وهذا ما شجعه على مدارسة الفلسفة[3]، وقد كفره وكفر أفكاره جمع من العلماء منهم الغزالي [4]، وابن تيمية[5]، لقوله بعدة عقائد فاسدة منها: قِدم العالم، وعدم علم الله تعالى بالجزئيات، وإنكاره البعث الجسماني [6].

- لقد وُجد بعض من المقالات لابن سينا تكلم فيها عن الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع، لم يسبقه أحد إليها من سلفه ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم، أخذها عن الملاحدة[7].

ب. ادعاء أن الغزالي فيلسوف، ورائد المذهب الإسماعيلي.

- موقف الغزالي من الفلسفة أورده المستشرق هنا بشيء من الغموض، ملقياً التهم جزافاً له، في حين أن الغزالي قد ألف كتابين لمهاجمة الفلسفة والفلاسفة وهما "مقاصد الفلاسفة"، و" تهافت الفلاسفة" أبان فيهما آراء الفلاسفة وكلامهم، وأوضح الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة أسباب موقفه منهم صريحاً[8].
- أما اتهامه للغزالي بأنه رائد الإسماعيلية، فيكفي أن نذكر أن الغزالي ألف كتاباً عنوانه "فضائح الباطنية" [9] ذكر فيه كثيرًا من عقائدهم الفاسدة المخالفة للإسلام، فكيف يؤلف كتابًا ينقد فيه فكرهم ويكون منهم كما يدعي المستشرق.

---

(1) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية،ج1/ 183.

(2) الحاكم العبيدي: منصور بن نزار بن معد، لقبه الحاكم بأمر الله (375-410هـ)، من فرقة الباطنية، ادّعى الألوهية، ويعتبره الدروز الإله، انظر: الأعلام، الزركلي، ج619/2.

(3) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص143.

(4) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، ص307-308، إحياء علوم الدين، الغزالي، ج307/1-308

(5) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص101-104.

(6) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي ص124، 177، و282، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ج97/1.

(7) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص141-142.

(8) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، 96، والمنقذ من الضلال، الغزالي، ص126-127، 143-144.

(9) انظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ص16-20.

3. النقد المنهجي:

تظهر مخالفة المستشرق (كارديهL.Gardet) للمنهج العلمي في عرض الحقائق، وذلك بتزييفها، والطعن والغمز في الغزالي، وابن تيمية. وأهم مخالفاته المنهجية، هي:

- الانتقاص من علماء المسلمين، والغموض فيما ينسبه إليهم، وعدم التحقق مما يخبر عنهم قبل إيراده، كالانتقاص من ابن تيمية وغموض قوله فيما نسبه إليه، ويرجع ذلك لأن ابن تيمية كان سيفاً مسلولاً على المبتدعة من الفلاسفة، وغلاة الصوفية وغيرهم[1]، فاستغل المستشرقون أقوال الخصوم، ووجدوا فيها مرتعاً للطعن فيه، لكن هناك من ناقضهم منهم، حيث جاء في شهادة المستشرق(جولد زيهرGoldziher) في حق ابن تيمية قوله: " في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ظهر في سوريا فقيه جريء...، هو تقي الدين ابن تيمية...، ثم هب لمناهضة البدع التي عملت على تحوير المعالم الأصيلة للإسلام وتعديلها...، وكافح ابن تيمية الصوفية ومبادئها الحلولية، كما استنكر تقديس النبي والأولياء، وأنكر الحج إلى قبر النبي" [2].
- التحيز لطور معرفي من أطوار بعض الشخصيات والاقتصار عليها، ومن ذلك التحيز للغزالي في فترة معينة، فكان من الموضوعية أن يتكلم عن الغزالي بإنصاف، ولا ينسب إليه أقوالًا زائفة أو يلقي عليه تهمًا باطلة كانتسابه للإسماعيلية.

ومن خلال ما سبق يتضح مجانبة المستشرقين للإنصاف والموضوعية في التعامل مع أهل العلم من الشخصيات الإسلامية، واستغلالهم لأخطاء بعضهم، وتحويرها بغموض للترويج للعقائد الفاسدة، وقد بين علماء المسلمين المنهجية الصحيحة في التعامل مع أخطاء الآخرين، منهم ابن رجب حيث قال: "والمنصف من اغتفر خطأ المرء في كثير صوابه" [3].

ثانياً: التلبيس في عرض مصطلح التوحيد عند المسلمين.

ظهر بشكل واضح سمة التلبيس في عرض الحقائق الشرعية في منهج المستشرقين وخاصة في موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، وهو على النحو التالي:

---

(1) انظر: الشهادة الزكية، الكرمي، ص53، والرد الوافر، تقريظ ابن حجر، ص14.

(2) العقيدة والشريعة في الإسلام، أجناس جولدن تسيهر (جولد زيهر)، ص264.

(3) القواعد في الفقه، الحنبلي، ص3.

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق (ماكدونالد[1] D.B.Macdonald) في مادة (توحيد)، قوله: " أن التوحيد هو إما ظاهر وإما باطن: من معانيه: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ومن معانيه: أنه واحد في ذاته، ومن معانيه: أن الله هو الموجود الحقيقي وكل ما سواه وجوده ظل وجود الحق، وقد يتوسع في ذلك إلى القول بالحلول؛ أي أن الله هو الكل، ثم إن التوحيد يتوسل[2] إليه بالعلم، أو بالمعرفة والمشاهدة، والعلم والمشاهدة، تفكر أو نظر فلسفي، والخلاصة أن التوحيد هو القول بأن لا إله إلا الله"[3]، هنا يظهر تلاعب ماكدونالد في بيان حقيقة التوحيد، بحيث أدخل فيه ما ليس منه، وأخرج معانيه الأصيلة السامية منه.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

أورد المستشرق في النص السابق العديد من معاني التوحيد المخالفة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، منها التوحيد عند الباطنية، والصوفية، والفلاسفة، وسيتم بيان المغالطات التي وقع فيها المستشرق على النحو الآتي:

أ. ادعاء أن التوحيد نوعان ظاهر وباطن.

من المعلوم أن التوحيد ينقسم إلى معانٍ علمية، وإلى حقائق عملية تطبيقية متمثلة في العبادات، ولا انفصال بينهما ليتم وضع أداة التمييز (إما)، وإنما يترتب الأول على الثاني، فالتوحيد علم وعمل، كما أنه لم يرد عن السلف أشباه هذا التقسيم، ربما لم يفرق المستشرق بين حقائق التوحيد العلمية، وتطبيقات الإيمان العملية بسبب عجمة الفهم عنده، مما جعله يقع في التيه، وتلبيس بالمعلومات، وقد رد ابن تيمية على مثل هذا المعنى الفاسد بالعديد من كتبه موضحاً أنه لا يمكن الفصل بين الباطن والظاهر، فما يظهر من الأقوال والأعمال العلانية هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله[4].

---

(1) ماكدونالد D.B.Macdonald: (1863–1943م)، مستشرق أمريكي، بريطاني المولد والنشأة، مبشر مسيحي، من أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامي، واهتم بدراسة ألف ليلة وليلة، من أهم مؤلفاته: "تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام" و" أوجه الإسلام". انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص538، والأعلام، الزركلي، ج330/2.

(2) يتوصل: الأصل في الدائرة يتوسل وهي غير مناسبة للسياق في النص.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، مادة التوحيد، ماكدونالد D.B.Macdonald، ج8 /2388.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج334/7.

ب.الدمج بين المعاني الصحيحة والفاسدة للتوحيد.

في النص السابق يُلحظ أن المستشرق (ماكدونالد D.B.Macdonald) خلط المعاني الصحيحة بأخرى فاسدة في بيان معنى التوحيد، فقد ذكر:

معنى صحيحًا للتوحيد وهو توحيد الألوهية فقط، ولم يبين أن توحيد الله تعالى عند أهل السنة والجماعة بقوم على ثلاثة أصول وهي:

- توحيد الربوبية: وهو إفراده سبحانه بالخلق والملك والتدبير، أي الاعتقاد الجازم بأن لا خالق ولا مالك ولا مُدبر في الكون إلا اللهُ ﷻ، وهو متضمن من قوله تعالى:﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾مريم:65 [1].
- توحيد الألوهية: وهو إفرادَ العبد ربَّه بالعبادة، والعبادة كما عرَّفها ابن تيمية هي: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[2].
- توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله تعالى بأسمائه التي سمّى بها نفسه وصفاته التي وصف بها ذاته في كتابه والتي أخبر بها رسوله سواء كان نفياً أو إثباتاً، وهو مُتضمن في: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ الشورى 11 أي هل تعلم له شبيهاً ومثيلاً في أسمائه وصفاته[3].

ذكر أن من معاني التوحيد الحلول[4]، والحلول فكر دخيل على العقائد الإسلامية، وقد تأثر بهذه الفكرة الوافدة من النصارى، بعض الباطنية مثل الدروز، الذين يقولون بحلول الله تعالى في شخص الحاكم بأمر الله، والنصيرية الذين يدعون حلول الله تعالى في علي بن أبي طالب رضي الله عنه [5]، وغلاة الشيعة الذين يزعمون حلول الله تعالى في جعفر الصادق[6]، ومن غلاة الصوفية ابن عربي، والمبتدع الحلاج صاحب المقولة الشهيرة عنه: "أنا الحق"[7].

---

(1) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج283/5.

(2) انظر: العبودية، ابن تيمية، ج44/1، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج3/ 105.

(3) انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ج1/7-8.

(4) الحلول: هو القول بحلول الله تعالى في البشر، أو في غيره من المخلوقات، انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص241-242.

(5) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج3/ 185-186-.

(6) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، الحاشية ج10/1، ص492.

(7) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ج241/1-249، مجموع الرسائل، ابن تيمية، ج1/ 68، 181، عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، ج12/ 298.

وقد استدل على أن الحلول فكر وافد لا علاقة له بالفكر الإسلامي، بما ذكره السهيلي[1] أن النصارى لا يقولون بأن عيسى نبي، بل هو أقنوم من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بعيسى الناسوت واتحد به [2]، وقد بين السلف ومنهم ابن حجر أن الحلول في المواضع عرض يفنى، وبالتالي هو حادث، والله ﷻ منزه عن الحوادث [3]، وقد أطنب ابن تيمية في الرد على القائلين بالحلول موضحاً أن حقيقة التوحيد عندهم أن الرب هو العبد، والحكم بكفر من قال ذلك وقتله إن لم يتب [4].

ج.اعتماد وسائل فاسدة لتحقيق التوحيد.

ذكر المستشرق (ماكدونالد D.B.Macdonald) أن التوحيد يتوصل إليه بالعلم أو بالمعرفة والمشاهدة فمقصوده هنا توحيد الصوفية هو مشاهدة الوحدانية بطريق الكشف بواسطة نور الحق، وأعلى من ذلك ألا يرى في الوجود إلا واحداً فلا يرى نفسه، أي لا يبقى له أثر إلا مجرد التصديق القلبي بأن ذلك حق[5]، فقد أوضح ابن تيمية أن عددًا من أهل التصوف المنتسبين إلى المعرفة والتحقيق والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد، وذلك بغياب العارف بموجوده عن وجوده، وبمشهوده عن شهوده، والدخول في فناء توحيد الربوبية، وهذا هو التوحيد الذي أقر به المشركون، ومن المعلوم أن الرجل لا يصبح بهذا التوحيد مسلماً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله[6].

وممن اعتبر أن هذا هو التوحيد المطلوب غلاة الصوفية، مشابهين النصارى في أقوالهم وأفعالهم، أمثال ابن عربي [7]، والتلمساني حيث كان يقول: "ثبت عندنا في الكشف"[8]، ومنهم من يقول حدثني قلبي عن ربي، حيث يروجون أن من يريد العلم اللدني عليه ترك العقل

---

(1) السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعميّ السهيليّ،(508- 581 هـ)، حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، من كتبه: "الروض الأنف" في شرح السيرة النبويّة لابن هشام، "نتائج الفكر". انظر: الأعلام، الزركلي، ج313/3، معجم المؤلفين، كحالة، ج147/5.

(2) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، ج194/4

(3) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج385/13.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج435/2-444، 130، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ج107/1.

(5) إحياء علوم الدين، الغزالي. ج245/4-246.

(6) انظر: الرسالة التدمرية، ابن تيمية، ج110/2، ومجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج203/13-204.

(7) انظر: الصفدية، ابن تيمية، ج266/1.

(8) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج186/3-189.

والنقل[1]، حتى يحصل لهم التحقيق والتجلي [2]، وهذا مناقض لتوحيد أهل السنة والجماعة، لأن فيه ادعاء الاطلاع على الغيب، حتى إن بعضهم ادعى مشاهدة الله تعالى وتكليمه له [3]، وآخر ادعى أنه مثل النبي ﷺ، أو أفضل منه[4]، والقول بالكشف باطل لأن التحاكم إلى الكشف غير منضبط فقد جعلوه ميزاناً يوزن به الكتاب والسنة، كما أنه يزهد القائلين به عن العلم الشرعي[5]، قال الغزالي: " من الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يستغني عن مدد الأنبياء" [6]، كما أن في الكشف عزلًا للرسول ﷺ واستغناء عنه، وتنقصه، وأقوال غلاة الصوفية وادعاءاتهم أشر من أقوال الكافرين بالرسول ﷺ [7].

د. تحقيق التوحيد بالأقوال:

أنه نظر فلسفي، يقصد به التوحيد عند الفلاسفة، حيث عبر ابن سينا عن معنى التوحيد بأنه الإقرار والاعتقاد بأن الله واحد لا ضد له ولا ند، ولا شريك له في النوع، وأنه واحد بسيط مجرد من علائق الزمان والمكان، والوضع والتغير، لا يتكثر ولا يتجزأ، ولا يتبعض، وأنه وحده واجب الوجود بذاته، لا يشاركه في مرتبة وجوده وجود[8]، وأيضاً عرف ابن رشد[9] الواحد بأنه" هو الذي لا يتجزأ إما في الكمية، وإما في الصورة[10]، والكيفية[11]"، فهذه العبارات

---

(1) انظر: النبوات، ابن تيمية، ج282/1.

(2) المرجع السابق، ج309/4.

(3) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج20/1-23، ج18/3-20.

(4) انظر: الرد على الشاذلي في حزبه وما صنفه في آداب الطريق، ج23/1.

(5) انظر: تلبيس إبليس، أبو الفرج الجوزي، ص287-288.

(6) مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، الغزالي، ص170-171.

(7) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج340/5.

(8) انظر: تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، الرسالة الخامسة، ابن سينا، ص121.

(9) ابن رشد الحفيد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، (520-559هـ)، من أعلام عصره، ضرب به المثل بالكمال ووفرة العلم والتواضع، من تصانيفه: "بداية المجتهد" في الفقه، " الكليات" بالطب، "مختصر المستصفى" في الأصول، ثم بعد ذلك اشتغل بالفلسفة، شرح "أرجوزة ابن سينا" في الطب، و"تلخيص ما بعد الطبيعة" لأرسطو، ومن كتبه "تهافت التهافت"، ومات محبوساً في داره لأنه رفعت عنه أقوال رديئة. انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون 257/2-259، سير أعلام النبلاء، الذهبي،307/21-309.

(10) الصورة: عبارة عن أحد جزئي الجسم وهو حال في الجزء الآخر منه. انظر: التعريفات، الجرجاني، ج136/1، والمعجم الفلسفي، صليبا، ج742/1-743.

(11) انظر: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، الآمدي، ص109.

المجملة، المشتبهة، حقيقتها وغايتها إنكار ماهية الرب وإنكار صفاته الثبوتية، وأنه لا سمع له، ولا بصر، ولا قدرة ولا حياة، ولا إرادة ولا كلام ولا وجه، ولا يدين، وقالوا: لأنه لو كان كذلك لكان مركباً، وكان جسماً مؤلفاً، ولم يكن واحداً من كل وجه، فجعلوه من جنس الجوهر الفرد[1]، فهم يريدون بأقوالهم هذه نفي صفات الله، بل تعطيل وجوده، كما أن كل كلمة في تعريفهم تحتاج إلى تعريف[2].

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق ماكدونالد بعض المخالفات المنهجية من أبرزها:

أ. التلفيق في إيراد الحقائق الشرعية، والخروج عن مقاصدها، دون إسنادها لأهل العلم من المسلمين، فقد أورد ماكدونالد عدة تعريفات للتوحيد عن غلاة الصوفية كابن عربي والتلمساني، والفلاسفة كابن سينا، دون أن يذكر أسماء من تبنى هذه التعريفات.

ب. الدمج بين المتناقضات في مسألة واحدة، حيث قام بالجمع بين مدارس متعددة ومختلفة في بيان حقيقة التوحيد.

ج. التلبيس في بيان معنى التوحيد الصحيح، حيث صرح بأن التوحيد مجرد أقوال، ولم يتطرق لأثر التوحيد أي أعمال الإيمان كالعبادات، بينما قول السلف إجماعاً[3] يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر، فالباطن قول القلب وعمله، والظاهر قول اللسان وعمل الجوارح، من أدلة ذلك، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ الأحقاف 13، طلب الرسول ﷺ من معاذ رضي الله عنه عندما أرسله لليمن، دعوة أهل الكتاب إلى الشهادة، فإن شهدوا، أتبع ذلك بالصلاة والزكاة، وغير ذلك من أعمال الجوارح[4].

---

(1) الجوهر: هو الموجود لا في موضوع، والجوهر الفرد: هو الذي يسمونه الجزء الذي لا يتجزأ، لا بالقوة ولا بالفعل. انظر: المبين، الآمدي، ص109-110، والمعجم الفلسفي، صليبا، ج424/1.

(2) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية،ج449/1-452، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج 516/6-517، مدارج السالكين، ابن القيم، ج415/3.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج505/7-506.

(4) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب قوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾ التوبة5، 14/1، حديث رقم 25، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، 51/1، حديث رقم 20.

ثالثاً: استخدام ألفاظ مجملة ومتعارضة في توصيف الله تعالى.

انتهج المستشرق "وات" في توصيف الذات الإلهية منهجًا يقوم على التلبيس، في كونه مجملًا ومتعارضًا في آن واحد عند عرضه للأفكار المطروحة، وبيانه على النحو التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (مونتجومري وات Montgomery Watt) في مادة (العقيدة) في وصف الذات الإلهية، قوله:

" اللَّه (جل جلاله) يختلف عن المخلوقات فهو لا يشبه أحداً منها ولا يشبهه أحد منهم، وهو ليس جسدًا أو مادة ولا حدثاً لمادة، ولا يحده شيء، وهو موجود في كل مكان" [(1)].

وهذا النص يظهر حالة الإجمال في توصيف الله تعالى، مع التعارض بين مذهبين من مذاهب الفرق الإسلامية في الفكر الإسلامي، حيث استخدم (واتMontgomery Watt) طريقة الأشاعرة تارة في النفي التفصيلي، وتارة أخرى استخدم طريقة الجهمية وبعض المعتزلة في التصريح بأن الله في كل مكان.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

حاول المستشرق وصف الذات الإلهية مستخدماً طرق عدة مذاهب، مما أوقعه في عدد من المغالطات، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

أ. تعريف الذات الإلهية بطريقة النفي التفصيلي.

استخدام طريقة النفي التفصيلي عن ذات الله سبحانه وتعالى، وهذا مما خالف فيه طائفة الأشاعرة، والمعتزلة [(2)] النهج القرآني حيث إن الإثبات التفصيلي والنفي المجمل جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الشورى 11، فأرادوا بالنفي التفصيلي تنزيه الله عن مشابهة الخلق فخالفوا بذلك نهج أهل السنة والجماعة.

خالف (واتMontgomery Watt) منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الكلمات المجملة التي أوردها، حيث أقروا قاعدة مهمة في تفسير الآية السابقة لابد منها، وهي أن الألفاظ التي لم يأت في الكتاب والسنة نفيها ولا إثباتها، فإنه يمتنع إطلاقها على الله تعالى

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، مادة عقيدة، مونتجومري وات Montgomery Watt، ج7350/23.

(2) انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ج 130/1، 155.

لفظاً، وأما معناها فيُستفصل من قائلها، فإن أراد به معنى صحيحاً فلا يمتنع قبوله، وأما إن أراد معنى باطلاً يُنزه الله ﷻ عنه ويرد هذا اللفظ، وهذا ما قرره علماء أهل السنة والجماعة ومنهم ابن تيمية حيث وضح أن ألفاظ الجسمية والتجسيم لم ترد في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام أحد من السلف لا نفياً ولا إثباتاً، فكيف يحل أن يقال: مذهب السلف نفي التجسيم أو إثباته بلا ذكر لذلك اللفظ ولا لمعناه عنهم، لذلك يجب على العبد التأدب مع الله ورسوله وسلف الأمة، فلا ينفي عن الله تعالى إلا ما نفاه عن نفسه، ولا يثبت له إلا ما أثبته لنفسه، أما ما لم يرد به نفي ولا إثبات مما يحتمل حقّاً وباطلاً، فإن الواجب السكوت عنه، فلا ينفى ولا يثبت لفظه، وأما معناه فيسأل عنه، فإن أريد به حق قبل، وإن أريد به باطل رد، وكذلك يقال بلفظ الحد والجهة وغيره من الألفاظ المجملة [1].

ب. دعوى وجود الله تعالى في كل مكان.

ذكر (وات Montgomery Watt) في النص السابق أن الله موجود في كل مكان، وقوله هذا مخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأجمع عليه الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام من أن الله تعالى استوى على عرشه استواءً يليق بعظمته وجلاله، وعرشه فوق السموات، بائن من خلقه، قال تعالى: ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ المجادلة:7، أي معهم بعلمه في كل مكان لا يخفى عليه شيء [2]، والقول بأن الله تعالى بذاته معنا في كل مكان كفر صريح، وكان للإمام أحمد دورًا بارزًا في محاججة المخالفين المقرين بأن الله كان ولا مكان، وأنه لا يكون في مكان دون مكان، مبيناً أن ذلك لا يخلو أن يكون:

- خلق المكان في نفسه، فيدخل الجن والقذر وغيره في نفسه، وهذا كفر
- أو خلقه خارجاً عنه ثم دخل فيه، وهذا كفر، لأنه يعني أنه دخل في كل مكان قذر وخبيث.
- أو خلقه خارجاً عنه ولم يدخل فيه، بل علا عليه سبحانه وتعالى، فهو فوق جميع مخلوقاته، بائن عنهم، وهذا ما رجحه الإمام أحمد وهو قول أهل السنة [3].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج152/4، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، ص31-33.

(2) انظر: مختلف تأويل الحديث، الدينوري، ج394/1.

(3) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل، ص40.

- وأيضًا ذكر الباقلاني بأنه لو كان في كل مكان لكان يزيد وينقص بزيادة الأمكنة ونقصانها، وهذا مخالف لما دلت عليه النصوص، وما أجمع عليه السلف[1]، قال الله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ الملك16، وقال الله تعالى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الأعلى1، ومن السنة النبوية حديث معاوية بن الحكم السلمي في قصة ضربه لجاريته وفيه.. فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟، قال: ادعها، فدعوتها، فقال لها أين الله ؟ قالت: في السماء، قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة"[2]، وقد حكى الإجماع العديد من الأئمة منهم الأوزاعي[3]، وقتيبة بن سعيد [4]، حيث ذكروا أن الأمم كلها- عربيها وعجميها- إن تركت على فطرتها لقالت: إن الله في السماء [5].

- قال المتكلم ابن فورك الأشعري (604هـ) ما نصه": اعلم أن الثلجي [6] كان يذهب مذهب النجار في القول بأن الله في كل مكان وهو مذهب المعتزلة، وهذا التأويل عندنا منكر من أجل أنه لا يجوز أن يقال إن الله تعالى في مكان أو في كل مكان"، قال الحافظ أبو بكر البيهقي الشافعي الأشعري (458هـ) ما نصه": وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله سبحانه وتعالى بذاته في كل مكان، وهو معكم أينما كنتم إنما أراد به بعلمه لا بذاته"[7].

وخُلاصة القول أن من أراد بقوله: إن الله في كل مكان نفي علوه على عرشه، وأنه بذاته في الأمكنة فقوله باطل بل هو كفر بالله تعالى، لما فيه من إثبات الحلول والامتزاج بالمخلوقات.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق:

---

(1) انظر: الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية، ج511/1.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، 381/1، حديث رقم 537.

(3) مختصر العلو للعلي العظيم، الذهبي، ج137/1.

(4) المرجع السابق، ج187/1.

(5) انظر: مختلف تأويل الحديث، الدينوري، ج395/1.

(6) الثلجي: محمد بن شجاع ابن الثلجي البغدادي الحنفي، الملقب ابن الثلجي، (181-266هـ) فقيه، بحر من بحور العلم، صاحب تعبد وتهجد وتلاوة، مات ساجداً. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج379/12.

(7) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي، ج114/1.

أ. الجمع بين المتعارضات، فقد جمع (وات Montgomery Watt) بين أقوال الأشاعرة التي تصف الذات الإلهية باستخدام النفي التفصيلي، والجهمية وبعض المعتزلة الذين يصفونها بأنها في كل مكان.

ب. ذكر آراء دون أن ينسبها إلى أصحابها، حيث أورد مجموعة من الآراء دون الفصل بينها، مخالفاً بذلك الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى أصحابها.

ج. استخدم ألفاظًا محتملة لمعانٍ فاسدة بهدف العدول عن مراد الله، ومنها القول بأن الله ليس بجسم ولا يحده شيء، فهذه الألفاظ إن أريد بها الشيء المتصف بالصفات القائمة به من الحياة والعلم والقدرة، والنزول، والوجه، واليد، والساق ونحو ذلك مما وصف الله به نفسه، فنفي الجسم والحد بهذا المعنى باطل لأن الله تعالى له ذات حقيقية، متصفة بصفات الكمال على الوجه الذي يليق بجلاله، مخالفة لذوات المخلوقات، وإن تشابهت المسميات.

ومما سبق يُلحظ أن بعض المستشرقين خالفوا المضامين العقدية الصحيحة، وذلك بالخلط بين المعاني، ليخرجوا العقيدة بشكل مشوه بهدف تنفير الناس منها، وإيقاع الاضطراب في العقول، فوقعوا في خطأين متلازمين في المضمون، وفي المنهج، وهذا ما بينته الباحثة واستدلت عليه في الأسطر السابقة.

المطلب الثاني: إغفال ذكر مصادر النقل والتوثيق.

يُعد ذكر مصادر النقل والتوثيق عند كتابة البحوث؛ والمقالات العلمية من أهم أسس؛ ومقومات البحث العلمي، ودليل هام على شفافية؛ ومصداقية الباحث؛ وبتتبع مقالات وكتابات بعض المستشرقين خلال دائرة المعارف الإسلامية؛ لُوحظ إغفالهم توثيق عدد من الاقتباسات سواء كانت اقتباسات نصية، أو بالمعنى، وهذا ما سيتم دراسته من خلال عرض النماذج الآتية:

أولاً: نصرة آراء الفرق المخالفة في قضايا العقيدة.

دأب المستشرقون على نشر التراث المعرفي الجدلي؛ في الفكر الإسلامي، وأضحى ملمحًا مميزًا لكتاباتهم؛ بل إنهم حرصوا على نشر ضلالات ومخالفات الفرق المخالفة؛ وبثها على أنها مذهب أهل السنة والجماعة؛ وأحياناً على أنها مجرد خلاف شكلي، وبيانه من كلام المستشرق وات Watt على النحو الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (مونتجمري وات W.Mantgamery Watt) في مادة (عقيدة)، المبادئ الأساسية للإسلام، بقوله: "يسمح اللَّه (جل جلاله) لأشخاص معينين، ولاسيما محمد ﷺ بأن يشفعوا للآخرين في يوم القيامة، وسوف يجيء محمد ﷺ شفيعاً أيضاً لمن أخطأوا من أمته، وقد أنكر المعتزلة ذلك على أسس قرآنية؛ ولكنه رأي لقى قبولاً عاماً في النهاية"[1]، وهذا الموقف يبين تبني المستشرق (واتMontgomery Watt) موقف المعتزلة، وترويجه على أنه المذهب الصحيح وله كثير من الأنصار ، فالنص يظهر موقف فرقة المعتزلة من الشفاعة، ومحاولة المستشرق تزييف الحقائق؛ ببيان أن موقفهم لقي القبول عند المسلمين.

2. النقد العلمي للمضمون:

يُلحظ أن المستشرق أورد إنكار المعتزلة شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وكذلك شفاعة بعض الأشخاص الذين أذن الله تعالى لهم، وذكر أن هذا هو الرأي العام الذي انتهت إليه المسألة، وفي هذا مغالطة للحقيقة؛ ومجافاة للصواب، والرد عليه في الأوجه الآتية:

أ. إنكار المعتزلة شفاعة النبي ﷺ، وبعض الأشخاص لأصحاب الكبائر على أسس قرآنية.

فقد أثبتت المعتزلة أصل الشفاعة، وأكد القاضي عبد الجبار أنه لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة[2]، أما الشفاعات الأخرى لم يقروا جميع أنواعها، فقد أثبتوا بعضها؛ فقد ذكر ابن بطال[3] أن بعض المعتزلة أقر بوقوع الشفاعة ولكنهم قيدوها بصاحب الكبيرة الذي تاب منها؛ وبصاحب الصغيرة الذي مات مصرًا عليها[4]، وأنكروا بعضها منها الشفاعة لأهل الكبائر، وكذلك ابن حزم بيّن اختلاف الناس في الشفاعة فذكر أن المعتزلة والخوارج أنكروها، ونفوا خروج أحد من النار بعد دخولها[5]، ويؤكد شارح الطحاوية إنكار المعتزلة والخوارج شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر[6].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، العقيدة، مونتجمرى وات W.Mantgamery Watt، ج7352/23.

(2) انظر: شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار، ص688-689.

(3) ابن بطال: علي بن خلف بن بطال القرطبي، عالم بالحديث، له شرح البخاري، يعد من كبار المالكية، (ت: 449هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج48/18، وشذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج283/3.

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج11/ 428.

(5) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج53/4.

(6) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ج204/1.

ب. عدم فهم المعتزلة نصوص القرآن الكريم.

نفي المعتزلة للشفاعة قائم على الأخذ بظواهر بعض النصوص القرآنية، دون التعمق بمقاصدها ومعانيها، ومن المعلوم أن أقسام نصوص الشفاعة وردت في القرآن الكريم كما يلي:

- نصوص ترجع الشفاعة لله، كقوله تعالى:﴿ **قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ الزمر44.

- نصوص تثبتها بقيود وتشترط لها شروطاً، وهي إيمان الشافع والمشفوع له، ورضا الله عنهما، وإذنه بالشفاعة، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ **يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾ الزمر109، ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا**﴾ مريم87، وهي شفاعة أهل التوحيد [1].

- نصوص تنفي انتفاع الكافرين بالشفاعة، كقوله تعالى:﴿ **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ المدثر 48، وقوله تعالى:﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ البقرة 48 [2]، وهذه من الآيات التي استدل بها المعتزلة لإنكار الشفاعة، حيث التبس عليهم مقاصد الآيات ومعانيها، فظنوا أن هذه الآيات تنفي الشفاعة للعصاة الفساق والظالمين من أهل التوحيد، بناءً على ذلك ذكر القاضي عبد الجبار أن الشفاعة عندهم فقط للتائبين من المؤمنين[3]، كما أن إقرارهم الشفاعة لأهل الكبائر يعني نقض أصلين عندهم وهم العدل؛ والوعد والوعيد[4]، في حين بيّن النبي ﷺ بالعديد من الأحاديث أن الله ﷻ خصه بالشفاعة لأهل الكبائر؛ {شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي}[5] ؛ وهو حديث متواتر إسناده صحيح[6]، وكذلك خص بعض الصالحين والمؤمنين بالشفاعة، قال رسول ﷺ {شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، فَلَمْ

---

(1) انظر: العقيدة الاسلامية، الميداني ص661-663.

(2) انظر: جامع أحكام القرآن، القرطبي، ج88/19، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج273/8.

(3) انظر: شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار، ص689.

(4) العقيدة الإسلامية، الكبيسي، ص299.

(5) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب شرح السنة/ باب الشفاعة، 236/4، حديث رقم 4739، صحيح، ومسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، 439/20، حديث رقم 13222.

(6) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، التميمي، 211/1.

يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [(1)].

- أما قول المستشرق (واتWatt) أن قول المعتزلة لقى قبولاً، فهذا مجانب للصواب؛ فقد لقى هذا القول صداماً عند أهل السنة والجماعة، وقد ردوا عليهم وبينوا مغالطاتهم[(2)].

3. النقد المنهجي:

ومما سبق يتبين أن المستشرق (وات Watt) خالف المضامين العلمية في سرد الحقائق، وأيضاً الطرق المنهجية في العرض، وهذا يتضح فيما يلي:

أ. مخالفة المنهج العلمي بعدم الرجوع للمصادر الأصيلة في الاستدلال؛ التي تناولت موضوع الشفاعة؛ وآراء الفرق فيها، حيث إن هناك تبايناً في الآراء، لا يمكن أن يغفل عنه باحث علمي، وكذلك يؤخذ عليه عدم ذكره المصدر الذي نقل عنه هذا القول.

ب. تعمّد تزييف الحقائق، باعتماد منهجية مبتورة، حيث أورد معلومات شرعية دون تقييدها بمصدر أو بيان درجتها العلمية، ومدى القبول الحقيقي لها، لتحقيق غاية يسعى إليها المستشرقون، وهي تشويه العقائد الإسلامية ومنها عقيدة الشفاعة، ونصرة آراء الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة بإظهارها؛ وتبنيها؛ والإعلاء من شأنها.

ثانياً: التشكيك في القرآن الكريم والوحي.

سعى المستشرقون للتشكيك في مصادر التشريع الإسلامي؛ خاصة القرآن الكريم؛ لما له من دور في تثبيت دعائم الدين؛ حيث إنه المصدر المرجعي في التشريع؛ والمعرفة، والأخلاق، وفي النصوص التالية يظهر جلياً في كلام المستشرق (ولش Welch) تشكيكه في مصدرية القرآن الكريم:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (أ.ت.ولش[(3)] A.T.Welch) في مادة القرآن الكريم، في فقرة محمد والقرآن الكريم، بقوله: " بصرف النظر عن المتكلم جبريل المتلقي، أو المخاطب محمد ﷺ؛ لكن

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب معرفة طريق الرؤية، 167/1، حديث رقم183.

(2) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص229، واقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ج358/2-364.

(3) ألفورد.ت.ولش A.T.Welch: أستاذ دراسات أديان، حصل على الماجستير في لغة الكتاب المقدس، وعلى الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية، شارك مونتجمري وات في مقالة القرآن في دائرة المعارف الإسلامية، وله العديد من الأبحاث منها: الله والمخلوقات الماورائية، نشوء العقيدة القرآنية في التوحيد. انظر: المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ألفورد ولش، (موقع إلكتروني).

تحليل النص القرآني يظهر لنا أن المسألة أكثر تعقيداً من ذلك، إذ لا توجد إشارة قط إلى مصدر الوحى أو صيغة المتكلم في السور والآيات التي يظهر أنها أقدم ما نزل من القرآن الكريم، ففي بعض الآيات ليست هناك أدنى إشارة إلى أن هناك رسالة من اللّه سبحانه وتعالى، انظر على سبيل المثال الآيات من 1 إلى 10 من سورة الشمس[1] وكذلك القارعة والتكاثر والعصر " [2] ؛ وقال أيضاً: "وفى بعض الآيات الأخرى يبدو وكأن محمداً ﷺ هو المتحدث، كما في سورة التكوير آية 15 – 21 وسورة الانشقاق (آية 16 – 19)، وفى المرحلة المدنية الباكرة نجد في الآية 97 من سورة البقرة ما يشير إلى أن جبريل (عليه السلام) هو الموكول إليه الوحى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3]، وفي موضع آخر قال: " ومن غير المستبعد أن يكون محمد ﷺ في بعض الأحيان يكتب بنفسه ما يوحى عليه من القرآن الكريم"[4]، ومن خلال هذه النصوص يتضح محاولة المستشرق (ولش Welch) إنكار المصدر الإلهي لبعض آيات القرآن الكريم، ونسبتها تارة للنبي ﷺ، وأخرى إلى جبريل عليه السلام، وأيضًا زعمه كتابة النبي ﷺ للقرآن.

2. النقد العلمي للمضمون:

يُلحظ أن المستشرق في النص يحاول أن يوهم أن بعض سور القرآن الكريم من عند النبي ﷺ ؛ أي أنه هو من قام بتأليفها وكتابتها؛ تشكيكاً في أميته، وطعناً في الوحي، وذلك من خلال نفي نزوله في العهد المكي، وإثبات نزوله في العهد المدني، وفي ذلك عدد من المغالطات، منها :

أ. التشكيك في مصدرية القرآن الكريم.

- إن القرآن الكريم لو كان من تأليف رسول الله ﷺ، لكان قد نسبه إلى نفسه، وادعى الألوهية فضلاً على النبوة، ولكان كل ما قاله يعد قرآنًا؛ ولم يكن هناك ما يسمى بالسنة أو بالحديث الشريف، ومن ناحية اللغة والفصاحة فهناك تمايز واضح يعلمه كل أساطين وفطاحل اللغة بين القرآن الكريم والحديث الشريف، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ**

---

(1) ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ولش A.T.Welch، القرآن الكريم، ج26/8166-8167.

(3) المرجع السابق، ج26/ 8167.

(4) المرجع نفسه، ج26/8168.

اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء82، وأيضاً تحديه للجميع بأن يأتوا بمثله، قال تعالى:﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة23.

- وكذلك لو كان من تأليفه لكان أسرع بالرد على من افترى عليه وحاججه من أعدائه، بل كان ينتظر أن ينزل عليه الوحي، ومن أمثلة ذلك حادثة الإفك وانتظاره لشهر حتى نزل الوحي لتبرئة السيدة عائشة، كذلك كيف تفسر الآيات التي عاتب الله بها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في أكثر من موضع؟ كما في قوله تعالى:﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ عبس1-4.

ب. الطعن في مصداقية النبي ﷺ.

سيعجز أي مستشرق أن يفسر بصورة مرضية لماذا كان محمد ﷺ في الفترة المكية مستعدًّا لتحمل جميع صنوف الحرمان؟ ولا يستطيع أيضًا أن يعلل فوزه باحترام الرجال الذين يتصفون بالفطنة والأخلاق المستقيمة والفطرة السليمة ؛ كذلك لا يمكنه أن يفسر نجاح النبي ﷺ في تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالًا ليس لهم هم إلا نصرة هذا الدين.

3. النقد المنهجي:

يتضح مما سبق مخالفة المستشرق للمنهج العلمي، ومن ذلك:

أ. افتقار المعرفة فيما بتعلق بعلم المكي والمدني(1)؛ والوقوف على مناسبات النزول؛ وقد نال هذا العلم من الدراسة والشرح والبيان الحظ الوفير عند المسلمين(2).

ب. إغفال ذكر مصادر المعلومات التي اعتمد عليها في مقاله، بل أورد في نهاية مقاله بعضًا من المصادر بصورة عامة.

ج. استخدام أسلوب التشكيك في أهم مصادر العقيدة وهو القرآن الكريم، ويظهر هذا من خلال أقواله: " بغض النظر عن المتكلم"؛ "وفي بعض الآيات الأخرى يبدو وكأن محمدًاﷺ هو

(1) هو اصطلاح أطلقه العلماء ليميزوا بين الآيات والسور التي نزلت في المرحلة المكية للدعوة الإسلامية ، وبين ما نزل في المرحلة المدنية ، فاشتهر بين أكثر أهل العلم هذا التقسيم.

(2) لمزيد من التفصيل انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ص36، والبرهان، الزركشي، ج187/1، والزيادة والإحسان في علوم القرآن، الحنفي، ص219.

المتحدث"؛ " ومن غير المستبعد أن يكون محمدﷺ في بعض الأحيان يكتب بنفسه ما يوحى عليه من القرآن الكريم" وكل ذلك لإثارة الشبهات وتشويه العقيدة.

د. الالتزام بالموضوعية التكاملية في التعامل مع النص؛ وذلك بالنظر للآيات ككل؛ وليس بصورة اجتزائية؛ فقد اختار المستشرق الآيات التي تتناسب مع تصورات مسبقة لديه.

ويظهر مما سبق أن مقصد المستشرق (ولش Welch) الطعن بالقرآن الكريم، وبمحمد ﷺ ليس إلا، وذلك بإيراده أفكارًا موهومة دون دليل، وعرضها على أنها حقائق، ولم يكلف نفسه عناء نسبة الأخبار لأصحابها؛ أو التوثيق لما عرضه.

ثالثاً: اتهام الملائكة بالاشتغال بالسحر:

قرن الله ﷻ الإيمان بالملائكة بالإيمان به في كثير من الآيات؛ قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**﴾ البقرة 285، وأيضاً أوضحت الآيات أنهم معصومون، خاضعون لله، يفعلون ما يؤمرون به، ﴿ **لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ التحريم6، ومع ذلك لم تسلم الملائكة في دائرة المعارف الإسلامية من الطعن واللمز من قبل المستشرقين، وخاصة جبريل عليه السلام.

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق كاراده فو[1] Carrra de vaux في مادة جبرائيل، بقوله: " ولجبريل شأن هام في إعداد التعاويذ والتمائم، فاسمه يكتب كثيراً على هوامش المربعات السحرية مع أسماء الملائكة الكبار الآخرين: ميكائيل وعزرائيل وإسرافيل"[2]، يُلاحظ في هذا النص اتهام المستشرق كاراده فوCarrra de vaux الواضح لجبريل عليه السلام، وميكال، وإسرافيل بالاشتغال بالسحر والشعوذة، طاعناً في عصمتهم؛ خاصة جبرائيل، موهماً القارئ بأن الشعوذة والسحر جزء من العقيدة الإسلامية الصحيحة.

2. نقد المضمون:

---

(1) كاراده فوCarrra de vaux: (1867-1953م) مستشرق فرنسي، درس العربية ودرسها بالمعهد الكاثوليكي في فرنسا، كتب عن السحر والتمائم مشوهاً الإسلام، أنكر الإسراء، اعتنى بالفلسفة ومن كتبه" مفكرو الإسلام" و"عقيدة الإسلام"، كتب عن ابن سينا، والسهروردي، وابن الفارض. انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص462-463، والمستشرقون، العقيقي، ص263-264.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، كاراده فوCarrra de vaux، مادة جبرائيل، ج9/ 2653.

أورد المستشرق (كاراده فوCarrra de vaux) أن جبريل له دور كبير؛ ومهم في إعداد التمائم- موهماً اشتراكه في إعدادها-، لذلك يتم كتابة اسمه مع ميكال وعزرائيل وإسرافيل على هذه التمائم، دون أن يوضح مصدر هذا القول أو توثيقه، ويُرد على أقواله بما يلي:

أ. خلط المستشرق (كارا ده فوCarrra de vaux) بين ما يفعله الجهلة من المسلمين؛ وبين ما شرعه الإسلام.

فما ذنب جبريل عليه السلام؛ وغيره من الملائكة إن استعان بأسمائهم السحرة، والكهان لصنع التمائم، والتعاويذ، قال تعالى:﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الزمر7. بين الله ﷻ والرسول ﷺ فضل الملائكة، خاصة جبريل عليه السلام على النحو التالي:

- أفضل الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وأفضلهم جبريل عليه السلام، قالﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة97-98، فجبريل عليه السلام شرفه الله عز وجل بذكره وذم معاديه، وقد وضح سبحانه أن سبب هذا التشريف والفضل هو وساطته بين الله ورسوله[1]، ودليل فضلهم من السنة النبوية أن الرسول ﷺ كان يذكرهم في دعائه عند افتتاح صلاته في قيام الليل قائلاً: {اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض}[2].
- بيّن ابن القيم أن سبب تفضيل هؤلاء الملائكة الثلاثة هو كمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، فهناك العديد من الملائكة غيرهم، ولم يذكر إلا هؤلاء بأسمائهم فجبريل صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات وأخرجتهم من قبورهم.[3]

---

(1) انظر: تفسير ابن عباس، ج14/1، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج36/2.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين/ باب الدعاء في صلاة الليل، 534/1، حديث رقم 770.

(3) انظر: زاد المعاد، ابن القيم، ج36/1.

ب. الاستعانة بما ورد في الإسرائيليات وكأنها مسلمات.

بين أهل العلم منهم الألباني؛ وابن كثير وابن عثيمين[1]، وغيرهم أن القرآن الكريم، والسنة النبوية لم تطلقا على ملك الموت: عزرائيل بل غاية الأمر وروده في بعض الآثار الإسرائيلية، وعلى هذا ينبغي أن يُتعامل مع الاسم كما يتعامل مع الإسرائيليات فلا ننفي ولا نثبت اسم عزرائيل، ونسميه بما سماه الله تعالى به (ملك الموت) قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ السجدة11، إلا أن ابن تيمية أورد اسم أن (ملك الموت) يطلق عليه (عزرائيل) في كتابه (مجموع الفتاوى)[2].

3. النقد المنهجي:

ومن أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق ما يلي:

أ. تصويب منهجيات استدلالية دون مستند علمي صحيح، ومن ذلك اعتبار أفعال بعض الجهلة من المسلمين مسلمات في الشريعة الإسلامية.

ب. عدم النزاهة والموضوعية عند دراسة الغيب وعرض الحقائق العقدية التي كان يجب عليهم الاعتماد في دراستها على مصادر التشريع الأساسية عند المسلمين.

ج. إصدار الأحكام الزائفة، ومن ذلك اتهام الملائكة؛ خاصة جبريل عليه السلام زوراً وبهتاناً بأن له دور في إعداد التمائم..

د. ذكر معانٍ مجتزئة في الكتابة، وذلك بإغفال ذكر حقيقة الأشياء كالتمائم والتعاويذ التي أوردها في الإسلام.

وخلاصة ما سبق أن المستشرق أورد في حق جبريل عليه السلام وميكائيل، وإسرافيل كلاماً غير صحيح لا سند له، ولا مصدر، بل اعتمد على ما رآه من أفعال الجهلة المنحرفين فكرياً من السحرة والكهان.

---

(1) انظر: تخريج العقيدة الطحاوية، الحاشية، الألباني، ج1/ 71، والبداية والنهاية، ابن كثير، ج49/1، وشرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين،ج1/ 60.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج259/4.

المطلب الثالث: ترك التنبيه عند نقل النصوص بالمعنى.

المنهجية المعتمدة في نقل النصوص عند أهل العلم إما النقل الحرفي للنص وهو ما يسمى بالاقتباس، أي إيراد النص كما أثبته قائله، وإما النقل بالمعنى، وهو إيراد النص بألفاظ خاصة بالناقل مع المحافظة على فكرة صاحب النص، وذلك بهدف توضيح النص وتيسير فهمه، أو اختصاره.

من الإشكاليات الواضحة التي وقع بها المستشرقون: إيرادهم لكثير من النُقولات بالمعنى، ومن أمثلة ذلك في دائرة المعارف الإسلامية ما يلي:

أولاً: ترويج الشبهات بالخلط بين مذهب أهل السنة وغيرهم.

اهتم المستشرقون بنشر الشبهات التي راجت بين الفرق المختلفة من المسلمين؛ وبثها بين المسلمين على أنها مجرد خلافات شكلية؛ أو بترك الشبهة بدون توجيهها للرأي الصائب الذي بينه أهل السنة والجماعة، في محاولات لتشويش القارئ، وهذا ما سيتم بيانه من كلام المستشرق (وات Montgomery Watt) على النحو التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (مونتجمري وات Montgomery Watt) في مادة(عقيدة)، قوله: تحت عنوان(المبادئ الأساسية للإسلام): "وقد جمعنا هذا التقرير المختصر التالي من كتابات الكثيرين (وخصوصاً كتابات البغدادي والغزالي ونجم الدين النسفي)، بالرغم من أننا لم نستخدم عباراتهم"[(1)]، بتتبع التقرير يُلحظ أن المستشرق "وات Watt" قد أورد العديد من الشبه التي هي في الأصل محل اختلاف بين المسلمين، حيث ساق أقوال الأشعرية والمعتزلة فيها دون أن يورد الرأي الراجح رأي السلف فيها، وأحياناً ترك المسألة على إطلاقها دون مناقشة أو ترجيح، ومما أورده شبهة خلق القرآن، وشبهة خلق أفعال العباد، ويتضح ذلك في قوله: " وقد برز جدل من سؤال يدور حول هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟، وخرج الجهمية والمعتزلة برأي اختصوا به وعارضهم آخرون معارضة شديدة حتى لقد أطلق عليهم لفظ (المعطلين)، فالقرآن هو كلام اللّه الخالد غير المخلوق، وهذا الكلام الخالد تردده ألسن الناس ويكتبونه في المصاحف ويعونه في قلوبهم، ومع ذلك فهو يتميز عما يجسده من ماديات"[(2)]، وأيضاً قوله: " أفعال الإنسان يخلقها

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، عقيدة، مونتجمري وات Montgomery Watt، ج7349/23.

(2) المرجع السابق، ج7351/23

اللّه، ولكنها مع ذلك تعزى كلية للإنسان ويحاول أصحاب الرأي المعتدل أن يجدوا طريقاً وسطاً بين الجبر، وبين الإرادة الحرة المطلقة أي الاختيار، وقد دفع قول المعتزلة بأن عدل اللّه افترض سلفا أن بنى البشر يمكن أن يعاقبوا أو يكافئوا بشكل سليم على أفعالهم، ويقول الأشعرية إنه بالرغم من أن الفعل انطلق من قدرة في الإنسان فإن هذه القدرة هي التي أوجدها اللّه (جل جلاله) وخلقها في لحظة وقوع الفعل لهذا الغرض بالذات وليس لغيره، ولكن المعتزلة من جهة أخرى قالوا إن القدرة وجدت أو خلقت قبل الفعل وهى قادرة على أن تفعل الفعل أو نقيضه" (1).

2. **النقد العلمي للمضمون:**

تعرض المستشرق (واتMontgomery Watt) لمسألة خلق القرآن على طريقة المستشرقين السلبية، والتي فيها تضيع معالم الحق في عرض المسألة، وخلط الحابل بالنابل فقد أورد المسألة بشكل يتسم بالغموض، ثم ذكر أن الجهمية والمعتزلة اختصوا برأي في المسألة، وعارضهم آخرون، ومن خلال النص السابق:

أ. **الغموض في إيراد مسألة خلق القرآن.**

يُلاحظ أن (واتMontgomery Watt) اقتص الآراء اقتصاصاً، فلم يورد رأي الجهمية والمعتزلة، ولم يذكر المعارضين وسبب معارضتهم، رغم أنه في بداية مقاله بين أنه يتحدث عن المبادئ الأساسية للإسلام، فهذه المبادئ لابد أن تكون واضحة جلية للقارئ، ولتوضيح ما أبهمه المستشرق في مسألة خلق القرآن:

- أصل القول بخلق القرآن ليس استدلالاً من الكتاب والسنة، وإنما استدلالاتهم العقلية هي التي اضطرتهم إلى نفي الصفات عن الله تعالى، وذلك حين نفوا الصفات لله تعالى بحجة تنزيه الله عن مشابهة خلقه، بقولهم إن الصفات لا تقوم إلا في المخلوقات والحوادث، وتوصلوا إلى هذه القاعدة عبر سلسلةٍ من المغالطات التي يسمونها (دليل حدوث العالم)، ومن خلال هذه القاعدة حرفوا وأولوا كل دلالة في القرآن والسنة الصحيحة تخالف هذا المفهوم.
- وقد ذكر ابن تيمية أن الإمام أحمد وغيره من أهل السنة احتجوا على الجهمية القائلون بأن القرآن مخلوق مستندين على ادعائهم بحديث النبيﷺ: { اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ

(1) دائرة المعارف الإسلامية، عقيدة، مونتجمري وات Montgomery Watt، ج23/ 7351.

طَيْرٍ صَوَافَّ}[1]، و{ يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ} [2]ونحو ذلك من الأدلة، بأن وصف الله نفسه بالمجيء والإتيان لا يُعد دليلًا على أن القرآن مخلوق بالاتفاق، أما تأويل المعتزلة للآيات بأن المراد مجيء أمره، فَلِمَ لا يُأول بأنه مجيء ثوابه!، حيث أن الثواب مخلوق، وقد ذكر هذا المعنى غير واحد ، وفسروا المراد من "تجيء البقرة وآل عمران" أي: ثوابهما، ليردوا بذلك على الجهمية الذين احتجوا بمجيء القرآن وإتيانه على أنه مخلوق[3].

ب. **الغموض في إيراد مسألة خلق أفعال العباد.**

أورد المستشرق قول المعتزلة، وقول الأشاعرة دون أن يبين المغالطات في كلا القولين، بل اقتص من أقوالهم ما يلبس على القارئ، ويوهمه بصحة أقوالهم، بل قال أيضاً: إن هناك رأيًا معتدلًا يحاول أن يجمع بينهم، فهل مقصده رأي أهل السنة والجماعة؟[4]، فكان لا بد من توضيح لهذه المسألة بشكل مبسط:

فقد اتفق المعتزلة (أهل العدل) على أن العباد خالقون لأفعالهم فهي حادثة من جهتهم؛ وأن الله أقدرهم عليها، ولا فاعل لها سواهم، ومنهم من بين أنها أفعال اضطرارية؛ كفعل النار للإحراق؛ والثلج للتبريد؛ وهي إنما نسبت إلى فاعليها مجازاً لظهورها منهم، وأن العباد ليس لهم إلا الإرادة، وقد خالف هذا القول ضرار بن عمرو، وحفص الفرد، ووافقوا أهل السنة والجماعة في هذه المسألة[5].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب قراءة القرآن وسورة البقرة، 553/1، حديث رقم 804، وسنن الترمذي، الترمذي، أبواب فضائل القرآن/ باب ما جاء في سورة آل عمران، 10/5، حديث رقم 2883.

(2) مسند أحمد، ابن حنبل، مسند الأنصار، باب حديث بريدة الأسلمي، ج76/38، حديث رقم22976، أسناده حسن، سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الأدب/ باب ثواب القرآن، 1242/2، حديث رقم 3781، إسناده صحيح.

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج8/ 408، والرد على الزنادقة والجهمية، الإمام أحمد، ص42-43، والإبانة الكبرى، ابن بطة، ج476/5.

(4) انظر لمزيد من البيان لموقف أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ج68/2، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص33-34.

(5) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج32/3.

أما الأشعرية فقد وافقوا أهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية والاضطرارية فقالوا: إنها مخلوقة لله تعالى، مقدورة له، ولكنهم خالفوا أهل السنة في مسألة هل العبد فاعل لفعله حقيقة أو لا؟ فالأشعرية نسبوا فعل الإنسان الاختياري إليه كسباً لا خلقاً، وهذا صحيح، ولكنهم اضطربوا في هذا الكسب الذي أثبتوه للعبد واختلفت عباراتهم فيه، وهذا يتضح من قول شارح أم البراهين أنه بين أن الكسب مقارنة القدرة الحادثة للفعل من غير تأثير[1]، فزعموا بقولهم بالكسب أنهم يثبتون للعبد اختياراً أحدثه الله على يديه، لكن الفاعل الحقيقي هو الله[2]، كما قالوا بعدم تأثير قدرة العبد الحادثة في الفعل فراراً من قول المعتزلة وتحقيقاً تاماً لوحدانية الأفعال فلا مؤثر إلا الله وحده، ولا يوجد تأثير للأسباب في مسبباتها.

أما السلف فيتفقون على أن أفعال العباد خلق الله تعالى، وكسب من العباد بمنزلة الأسباب للمسببات، فالعباد لهم قدرة ومشيئة وإرادة، لكنها داخلة تحت قدرة الله ﷻ ومشيئته وإرادته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ التكوير28[3]، كما أن جميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة، والله تعالى خالقها، وهي كلها بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره"[4]، قال تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ البقرة286.

3. النقد المنهجي:

اتبع المستشرق غيره من المستشرقين في عد الأشعرية هي مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا مخالف للمنهج العلمي لأن الأشعرية فرقة من الفرق الإسلامية، وهم من أهل السنة والجماعة، وليست فرقة أهل السنة والجماعة وحدهم.

أ. التلبيس في عرض الآراء؛ حيث يجمع ما بين أقوال البغدادي، والغزالي، ونجم الدين النسفي، وكلهم عندهم مخالفات في بعض المسائل العقدية مثل مسألة خلق أفعال العباد، حيث إن البغدادي أشعري المذهب، والغزالي أشعري شافعي المذهب، والنسفي ماتريدي

---

(1) شرح أم البراهين، السنوسي، ص51-52.

(2) انظر: الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو الطيب الباقلاني، ص144، والتبصير في الدين، الإسفراييني، ص116.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج8/ 389، ص406

(4) انظر: شرح الفقه الأكبر، المنسوب لأبي حنيفة، شرح ملا على القاري، ص48-50.

المذهب، كما ذكر أنه استخدم عباراته في التعبير عن أقوالهم، فربما لم يجد تفسير أقوالهم لعجمته، وعدم معرفته بأسرار اللغة العربية؛ وأدبياتها.

ب. عرض مسائل الخلاف دون الترجيح بطريقة علمية منهجية؛ وذلك بترك متابعة الدليل؛ ومن ذلك عرضه لآراء المعتزلة؛ والأشعرية في المسائل الخلافية؛ دون ترجيح الرأي الصواب، وأحياناً نصرتهم، ومدحهم، مع العلم أن الأشعرية كان لها صولات وجولات ضد المعتزلة، وأحياناً تجانب الصواب لأجل مخالفتها.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المستشرقين يستغلون الخلافات بين الفرق في بعض المسائل العقدية، وذلك بتفسير هذه الخلافات بألفاظهم حسب فهمهم للنصوص، فكان ذلك مُدخل للتشكيك في بعض الحقائق، والتلبيس فيها.

ثانياً: تفسير الآيات حسب فهم المستشرق وهواه.

خالف المستشرقون المنهجية العلمية في تأويل آيات القرآن الكريم؛ وذلك لجهلهم بعلوم القرآن الكريم؛ وأساليبه البلاغية، وأيضاً لاعتمادهم على ما كتبه أسلافهم، وأيضاً التعصب والحقد والكراهية للإسلام والمسلمين، ويتضح ذلك من خلال بعض النصوص التالية التي أوردها فنسكWensinck في مقاله:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (فنسك A.J.Wensinck) في مادة (إبراهيم) عليه السلام عن سنوك هرجروني [1] Snouck Hurgronje قوله: " إن إبراهيم في أقدم ما نزل من الوحى (الذاريات آية 24 وما بعدها، الحجر، آية 5 وما بعدها؛ الصافات، آية 81 وما بعدها؛ الأنعام، آية 74 وما بعدها؛ هود، آية 72 وما بعدها؛ مريم، آية 42 وما بعدها، الأنبياء، آية 52 وما بعدها؛ العنكبوت، آية 15 وما بعدها) هو رسول من الله أنذر قومه كما تنذر الرسل، ولم تُذكر لإسماعيل صلة به، والى جانب هذا يشار إلى أن الله لم يرسل من قبل إلى العرب نذيرًا (السجدة 2، سبأ 43، يس 5) [2] ولم يُذكر قط أن إبراهيم هو واضع البيت؛ ولا أنه أول

---

(1) سنوك هرجروني Snouck Hurgronje: (1857-1936م) مستشرق هولندي؛ درس اللاهوت؛ وتخصص بقسم اللغات السامية؛ يجيد العربية؛ أعلن إسلامه لكي يتمكن من الدخول مكة لتحقيق أهدافه؛ ولكن انكشف أمره؛ أطروحة الدكتوراه له بعنوان " الاحتفالات أو المراسم المكية"، من كتبه " صفحات في تاريخ مكة". انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، سنوك هرخرونيه.

(2) تنويه أرقام الآيات هي حسب المصحف العثماني السجدة 3، سبأ44، يس6.

المسلمين، أما السور المدنية أما السور المدنية فالأمر فيها على غير ذلك، فإبراهيم يُدعى حنيفاً مسلمًا، وهُوَ واضع ملة إبراهيم [(1)]"، ومما سبق يتضح تبني المستشرق (فنسك Wensinck) لتفسير (سنوك Snouck) لبعض آيات القرآن الكريم؛ حسب فهمه القاصر دون أن ينبه للمعني الحقيقي للآيات كما وردت في كتب التفسير المعتمدة.

2. النقد العلمي للمضمون:

لم يدخر المستشرقون جهداً في الطعن بالأنبياء، ومن ذلك اتهام إبراهيم عليه السلام بأنه يهودي، ومحاولة قطع الصلة بين إسماعيل عليه السلام ومحمد ﷺ، وغير ذلك من المغالطات حيث يتم الرد عليها بما يلي:

أ. **نفي العلاقة بين إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام.**

- بالرجوع إلى بعض الآيات التي استدل بها ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾الذاريات24، ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾الأنعام 74، تبين أنه لا علاقة بين الآيات، وادعائه أنها تنفي العلاقة بينه وبين إسماعيل عليهما السلام ادعاء غير منطقي، كما يلحظ أن المستشرق قد أورد معاني الآيات لإثبات ادعائه، فلو رجع إلى التفسير الصحيح لهذه الآيات لما وقع في هذه المغالطة.

- كذلك استدلاله ببعض الآيات لإثبات أن الله لم يرسل رسلًا للعرب قبل محمد من عهد إبراهيم، والآيات التي استدل بها هي: قوله تعالى: ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ السجدة3، ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ** ﴾ سبأ43، ﴿ **لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ** ﴾ يس 6، هنا يُلحظ أن المستشرق استدل بالآيات، وترك نقل تفسيرها، موهماً بتفسير مخالف لتفسير علماء التفسير، حيث إن المستشرق أراد عدم وجود أي رسول بين إبراهيم عليه السلام، وبين محمد ﷺ، في حين أن كتب التفسير توضح أن من معاني الآيات هو أهل الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد ﷺ، وهذا قول ابن عباس ومقاتل، واختلف العلماء في الفترة التي كانت بينهم ولم يرسل فيها رسول[(2)].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، فنسكA.J.Wensinck، مادة إبراهيم، ج77/1.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج85/14، ج121/6.

ب. خدمة هدفه بإسقاطه سورة إبراهيم من الأدلة التي أوردها.

- تخطى المستشرق سورة إبراهيم التي توضح الصلة بين إسماعيل والعرب وهي سورة مكية، فمن غير المعقول أن لا تمر عليه هذه السورة،﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم 35، ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون﴾ إبراهيم 37.
- محاولة المستشرق إثبات أن هناك هدفًا لدى النبي محمد ﷺ من وراء عدم ذكر الصلة بين إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام في العهد المكي، ثم ذكرها في العهد المدني وهو ربط نفسه باليهود لكي يستطيع العودة لمكة والسيطرة عليها، وهذا جرأة في الحكم من غير دليل، فيرد عليه بأن الآيات كانت تنزل حسب المناسبات والمواقف التطبيقية لها، كما أن النبي ﷺ لم يكن يسعى لربط نفسه بيهودية إبراهيم، فهدف النبي ﷺ أسمى من هذه الأمور الدنيوية، كما أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، يقول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران67-68.

3. النقد المنهجي:

ومما سبق يُلحظ مخالفة المستشرق (فنسك Wensinck) للمنهجية العلمية ويتضح ذلك كما يلي:

أ. الاعتماد على أقوال مستشرق آخر كمصدر أساسي في بحثه؛ دون عناء التثبت مما نقله عنه، بالرجوع للمراجع والمصادر الأصيلة للتأكد مما نقله، ودون التنبيه على أن تفسير الآيات بالمعنى خالف فيه سنوك Snouck ما ورد في كتب التفسير.

ب. عدم استقراء جميع النصوص، واستخدام المنهج الانتقائي في اختيار الأدلة التي تناسب ادعاءاتهم، وتلائم النتائج التي قرروها مسبقاً، وكذلك استخدام المنهج الإسقاطي، وذلك بإسقاط الآيات المكية التي توضح العلاقة بين إبراهيم وإسماعيل، وذلك لنفي الحقائق الواقعة التي لا يمكن لأذهانهم تصورها.

ج. افتقار المعرفة بعلوم القرآن؛ منها علم المكي والمدني لا يعطي الحق لبعض المستشرقين منهم (فنسك Wensinck) و(سنوك Snouck) الحق بالتألى على القرآن الكريم، بل كان لابد لهما أن يرجعا للكتب الخاصة بذلك حتى لا يفسرا الآيات بما يناسب هواهما.

ثالثاً: تفسير أسماء الله الحسني بما يناسب أهواء المستشرقين.

من المعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية؛ متضمنة الكمال المطلق لله؛ لذلك لابد من انتهاج منهج القرآن؛ والسنة؛ والسلف الصالح في فهمها؛ وبيان معانيها؛ وآثارهم، وقد خالف المستشرق (ماكدونالد Macdonald)هذه المنهجية؛ وفسرها دون تبصُر؛ وتفهُم دقيق لها، وبيانه على النحو التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد D.B. Macdonald) في مادة (الله جل جلاله)، قوله:

"وقد عرّف محمد ﷺ الله بأنه الملك، المنتقم الغيور وأنه سيحاسب الناس من غير شك ويعاقبهم في اليوم الآخر"[1]، وفي موضع آخر يقول: "الصمد (سورة الإخلاص، الآية الثانية) ويقابلها في اليونانية "أباكس ليكومينون "، ولم يكن المفسرون المتقدمون يعرفون أصل هذه الكلمة ومعناها الصحيح على وجه التحقيق؛ انظر الطبري، جـ 30، ص 196)[2]"، يفسر المستشرق بعض أسماء الله تعالى بخلاف تفسير المفسرين، ويدعي غموض بعضها وعدم معرفة أصل تسميتها.

2. النقد العلمي للمضمون:

أُشكل على المستشرقين تفسير مفردات القرآن الكريم؛ ومنها أسماء الله الحسنى، ويرجع ذلك إلى جهلهم، أو تجاهلهم لمعاني الألفاظ العربية التي وردت في القرآن الكريم، فافترضوا أنها استعيرت من لغات غير العربية؛ أو أنها غامضة؛ أو لا معنى لها وغير ذلك، وكل هذه التلميحات بهدف إنكار الوحي.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالد D.B.Macdonald، الله (جل جلاله)، عقيدة محمد ﷺ في الله، ج1010/4

(2) المرجع السابق، الصمد، ج1012/4

أ. تعريف اسم الله ﷻ بما يخالف حقيقة الاسم.

يُلحظ أن المستشرق أورد تعريفًا للهﷻ، مدعياً أن محمدًا ﷺ قد عرّفه به، ومن المعلوم أن أي تعريف لا بد أن يتم إيراده إما بالنص، أو بالمعنى دون إخلال له، ولكن هنا عرّفه المستشرق حسب فهمه، أو بما يناسب هواه، بالرجوع إلى تعريف الله :

الله لغةً: علم على الذَّات العليَّة الواجبة الوجود ، الجامعة لصفات الألوهيّة ، ولذا لا يجوز أن يتسمَّى به أحد، وسائر الأسماء قد يتسمَّى بها غيرُه، وهو أوّل أسمائه سبحانه وأعظمها[1].

الله اصطلاحًا: علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها[2].

ب. إرجاع لفظ الصمد إلى اللغة اليونانية.

من المغالطات التي وقع فيها المستشرق ارجاع كلمة الصمد لليونانية، كأنه يحاول أن يوهم أن لها معنى باللغة اليونانية، مع فقدانه باللغة العربية، مدعياً أن المفسرين المتقدمين لم يعرفوا أصل هذه الكلمة، ويُرد عليه بما يلي :

- فُسرت لفظة (الصمد): بأنها الذي أُصمدت إليه الأمور، فلا يعتني فيها أَحَدٌ غيرُه، أما لغةً (الصَّمد) السيد في قومه، ليس فوقه أحد، ولا يُقضَى أمر دونه[3]، وكذلك الصمد هو السيد الذي قد انتهى سُؤدُدُه، والله تبارك وتعالى لا نهاية لسؤدُده فهو غير محدود، وخلاصة ذلك أن الصمد هو الله الذي صمد إليه كل شيء، الدائم الباقي، الذي لا يستغنى عنهّ[4].

- أما ادعاؤه عدم معرفة المفسرين لأصل الكلمة فهو ادعاء باطل، وبالرجوع إلى تفسير الطبري الذي استعان به المستشرق وجد أن الطبري أورد تفسيرات للصمد واضحة جلية ومن أقوال الطبري في ذلك: " واختلف أهل التأويل في معنى الصمد، فقال بعضهم: هو الذي ليس بأجوف، ولا يأكل ولا يشرب، ... وقال آخرون: هو الذي لا يخرج منه شيء،... وقال آخرون: هو الذي لم يَلِد ولم يُولَد...، وقال آخرون: قد انتهى سُؤدده،...وقال آخرون: بل هو الباقي الذي لا يفنَى"، ورجح القول الأول لأن معناها يتوافق مع كلام رسول الله ﷺ[5].

---

(1) معجم المعاني، الله، الشبكة العنكبوتية.

(2) التعريفات، الجرجاني، ج34/1.

(3) انظر: العين، الفراهيدي، ج104/7.

(4) انظر: تهذيب اللغة، الهروي، ج106/12

(5)انظر: جامع البيان، الطبري، ج24/ 690-693.

3. النقد المنهجي:

وقع ماكدونالد في عدة مخالفات منهجية منها:

أ. إيراد تعريفات منقوصة؛ حيث أورد المستشرق تعريفًا غير جامع لاسم الله الصمد، ويرتكز على صفات معينة لله سبحانه وتعالى، وكأنه مصطلح انتقائي جزئي، متجاهلاً المنهجية العملية في نقل المصطلحات بألفاظها، وذلك ليتناسب تعريفه مع هدفه الذي يريد تحقيقه.

ب. رد قضايا الدين الإسلامي إلى الحضارات والأديان الأخرى؛ ومن ذلك رد اسم الله الصمد إلى اللغة اليونانية، محاولاً إثبات أن الإسلام خاضع للتطور؛ وأنه إفراز لحضارات سابقة، مستخدماً منهج التأثير والتأثر على نهج غيره من المستشرقين أمثال جولد زيهر، وشاخت[1]، وأيضًا يُعد هذا باباً للولوج منه لتحقيق أهدافهم كإنكار الوحي.

ومما سبق تم الخلوص إلى أن المستشرقين فسروا العديد من الألفاظ، والمصطلحات القرآنية بالمعنى؛ وهذا إما للاختصار، أو لتوضيح النصوص فأوقعهم ذلك في العديد من الأخطاء، التي قد تكون بلا قصد لجهلهم باللغة العربية، وأساليبها؛ وإما لعجمتهم؛ وإما قصداً لكي يستطيعوا إيراد الشبه والمغالطات التي تسهم في تحقيق أهدافهم السلبية من تشويه العقيدة الإسلامية وهو الراجح.

المطلب الرابع: اعتماد المصادر الضعيفة في النقل والتوثيق.

يعد اعتماد المراجع والمصادر الأصيلة في البحوث العلمية من الخطوات المنهجية الهامة، التي تكسب الكتاب أهمية بالغة، وتعزز من مصداقية الكتاب وما يحويه من معلومات، كما أنها تعطي قوة ومتانة للكتاب، وتزيد ثقة القارئ به عند قراءته، أو عندما يريد الاستفادة من المعلومات التي أوردت فيه.

قد ادعى العديد من المستشرقين الالتزام بالمنهج العلمي في كتاباتهم، ولكن بتتبع المنهجية التي اتبعوها في النقل والتوثيق يُلحظ أنهم خالفوا ما ادعوه، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: اعتماد القصص كمصادر للحقائق الدينية.

لا يمكن إنكار أن القرآن الكريم استخدم القصص القرآني في الإخبار عن الوقائع الماضية، وتاريخ الأمم، ويمتاز بإخباره بقصص حقيقية، لا مجال للخيال فيها، بالمقابل يُلحظ

---

(1) انظر: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، السباعي، ص27–28، والعقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر، ص9–14.

أن العديد من مواد دائرة المعارف الإسلامية اعتُمدت فيها القصص الخرافية، المخالفة للواقع، ضعيفة الأسانيد، خاصة في عرض القضايا الغيبية التي لا مجال فيها للخرافة والأساطير، كما يتضح فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارا دي فو B. Carra de Vaux) في مادة (الدجال)، قوله: "شخصية وردت في علم الساعة عند المسلمين ويسمى أيضاً المسيح الكذاب، وتقول القصص العربية إنه يسكن جزيرة من جزائر إمبراطورية المهاراج أو الزابج (جاوة)....، وهذه القصة واسعة الانتشار، نجدها في...، وفي كتاب المسعودي[1]: مروج الذهب، وفي كتاب التنبيه والإشراف[2]، وفي كتاب عجائب الهند [3]، وفي قصة السندباد البحري [4] "[5]، وقوله: " ويقال إن تميماً الداري معاصر النبي ﷺ، قد زار الدجال هناك (مروج الذهب، جـ 4، ص 28)"، وفي موضع آخر يقول: " ويجعله الطبري في تاريخه رجلاً كذي القرنين، جبارًا، وملكاً من ملوك إسرائيل سيحكم العالم كله، ويطبق عليه نبوءات بنى إسرائيل عن المسيح" [6]

---

(1) المسعودي: علي بن الحسين بن علي، من ذرية ابن مسعود، كان إخبارياً، مؤرخًا؛ بحَّارَة؛ وكان معتزلياً، من مصنفاته: "مروج الذهب"؛ "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان" (ت: 345هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج121/12، والأعلام، الزركلي، ج4/ 277، نقد ابن تيمية بعض كتبه وقال إن فيها من الأكاذيب مالا يحصيه إلا الله؛ وقال ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيا معتزلياً، ومنهاج السنة، ابن تيمية، ج84/4، ولسان الميزان، ابن حجر، ج4/ 224-225.

(2) كتاب التنبيه والإشراف: ألفه المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب، ذكر فيه الأفلاك وهيئاتها، والرياح وأفعالها، والأرض وشكلها، وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان، وأطوالها، وذكر البحار؛ وما كان من الكوائن؛ كما ذكر فيه مولد النبي ﷺ؛ ومبعثه وسيرته، وسير الخلفاء الراشدين والخلفاء من بعدهم وغير ذلك. انظر: موقع نداء الإيمان، كتاب التنبيه والإشراف. (موقع إلكتروني).

(3) كتاب عجائب الهند: ألفه برزك بن شهريار، قبطان سفينة؛ ورحالة من أهل خوزستان، (ت: 340هـ)؛ تناول في كتابه الحكايات الضائعة التي كان يرويها تجار البحار في أسفارهم المتعددة. انظر: المكتبة العربية الرقمية، عجائي الهند. (موقع إلكتروني).

(4) حكاية السندباد البحري: من أشهر حكايات ألف ليلة وليلة؛ تروي القصة أن السندباد زار الكثير من الأماكن السحرية في الوطن العربي؛ والتقى بالكثير من الوحوش أثناء إبحاره في سواحل أفريقيا الشرقية وجنوب آسيا، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، السندباد البحري .(موقع إلكتروني).

(5) دائرة المعارف الإسلامية، كارا دي فو B. Carra de Vaux، الدجال، ج4853/15.

(6) المرجع السابق، ج4854/15.

يُلحظ في هذا النص اعتماد المستشرق على بعض الكتب غير التخصصية؛ والقصص، في إخباره عن الدجال، الذي يعد خروجه من علامات الساعة الكبرى في العقيدة الإسلامية، متجاهلاً الصحاح من الكتب التي أوردت حقيقته.

2. نقد المضمون:

لا يعني انتشار القصة، وورودها بالعديد من الكتب أن هذا يعد دليلًا على صحتها، وهذا مما أُلبس فيه على المستشرق (كاراده فوCarrra de vaux)، كما أنه أخطأ في اعتماده على القصص كمصادر للمعلومات، وفيما يلي سيتم إيضاح ما أُشكل فيه على المستشرق:

أ. الاعتماد على ما ورد في القصص للتّعرف على الدجال باعتباره شخصية وهمية.

قد جعل الله ليوم القيامة علامات؛ وأمارات؛ قبل قدومه تدل عليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ محمد 18، من هذه الأمارات خروج الدجال، قال رسول الله ﷺ: {مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ}[1]، فالحديث عن الدجال روي في كتب الصحاح، كما بين الرسول ﷺ صفاته الخلقية بالعديد من الأحاديث الصحيحة منها قوله: {إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ }[2]، وليس كما يحاول أن يوهم المستشرق بأنه شخصية وهمية في قصة من القصص، أو أنه ورد في أثر من الآثار الضعيفة أو الموضوعة.

ب. التشكيك في معاصرة تميم الداري للنبي ﷺ، وأنه زار الدجال.

ومن المعلوم أن تميمًا كان نصرانيًا ثم بايع وأسلم، وحدثه بحديث المسيح الدجال الذي كان موافقاً لما حدث عنه الرسول أصحابه[3]، فكان من باب أولى أن يرجع إلى كتب الصحاح، لا أن يشكك بما ثبت صحته.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب في بقية أحاديث الدجال، ج2266/4، حديث رقم126، ومسند أحمد، ابن حنبل، مسند المدنيين/حديث هشام بن عامر الأنصاري، 185/26، حديث رقم 16253.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى ولتصنع على عيني، 2695/6، حديث رقم6972، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، 154/1، حديث رقم 169.

(3) انظر: صحيح مسلم، مسلم، كتاب أشراط الساعة/ باب قصة الجساسة، 8/ 203، حديث رقم 7573.

ج. دعوى مماثلة الدجال لذي القرنين في حكم العالم آخر الزمان.

يدعي المستشرق أن الطبري وصف الدجال بأنه كذي القرنين، وأنه سيحكم العالم، بالرجوع لتاريخ الطبري وُجد أنه لم يورد إلا أنه المسيح الذي تنتظره اليهود، وأن العرب سوف تقتله[1]، ويرد على المستشرق حقيقة الدجال مخالفة لحقيقة ذي القرنين كما وضحت كتب السنن الصحيحة فالدجال على ملة الكفر، وذي القرنين على ملة الإسلام[2].

3. النقد المنهجي:

من العيوب المنهجية الظاهرة في مقال المستشرق (كاراده فوCarrra de vaux) اعتماده على المصادر غير الموثوقة عند المسلمين، وجعلها المصادر الأساسية في مقاله، ويظهر ذلك من خلال النقاط التالية :

أ. الاعتماد على الكتب غير الموثوقة في دراسة العقيدة الإسلامية؛ وتقرير العقائد الغيبية، كاعتماد المستشرق على كتب القصص مثل كتاب مروج الذهب، وعجائب الهند، وقصص السندباد البحري وغيرها في دارسة موضوع غيبي كالدجال، فكان من باب أولى الرجوع للمصادر الأصيلة القرآن والسنة.

ب. إيراد أدلة وهمية عند دراسة المسائل الغيبية، ومن ذلك استدلال المستشرق من كتاب (تاريخ الرسل والملوك للطبري)، وبالرجوع إلى المصدر لم يتم التوصل لما اقتبسه الكاتب منه[3]، وأيضًا لا يعد هذا كتاب تخصصي ليتم من خلاله دراسة القضايا الغيبية.

ج. التركيز على الأحاديث والروايات الضعيفة في دراسة القضايا الغيبية، فالروايات التي أوردها المستشرق عن الدجال بيّن العلماء ضعف إسنادها [4].

من خلال ما سبق يمكن الخلوص أن المستشرقين يدرسون المسائل الغيبية بطريقة تتسم بعدم الموضوعية، حيث إنهم يركزوا على الكتب غير التخصصية، أو غير الموثوقة خلال دراستهم لهذه المسائل.

---

(1) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج18/1، ج207/3-208.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج45/11-48.

(3) المواضع التي ذكر فيها الدجال في كتاب تاريخ الرسل والملوك هي: ج18/1، ج207/3-208، ج91/4، ج70/6، ج557/11، لم يُذكر فيها ما أورده المستشرق.

(4) انظر: صحيح وضعيف تاريخ الطبري، الطبري، ج1/ 384، ج8/6، ج264,342/8.

ثانياً: اعتمادهم على القصص في تفسير الغيبيات.

الجن عالم غيبي، لا نعرف عنه إلا ما ورد في القرآن الكريم، وما أخبر به الرسول ﷺ، لذلك لا بد من اعتماد هذه المصادر الشرعية عند تناول موضوع الجن، وهنا يُلحظ مخالفة المستشرق " ماكدونالد" لهذه المنهجية العلمية، واعتماده على القصص التي وردت في المصادر الضعيفة عند حديثه عن عالم الجن، ومما ذكره في ذلك:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد D. B. Macdonald) في مادة (جن)، قوله: " واعترف القرآن بوجود الجن اعترافا كاملًا كما هو الحال إلى يومنا هذا، وبذل الجهد للوصول إلى النتائج المترتبة على هذا الاعتراف، فبلغ بها أقصاها، فقد نوقشت الحالة الشرعية للجن من جميع نواحيها ووضعت لها الحدود، كما درس كل ما يمكن أن يكون بين الجن والإنس من علائق كالزواج والملكية، ومن الواضح أن قصص غرام الجن والإنس كانت دائماً مثار اهتمام الناس، ويسوق صاحب الفهرست أسماء ست عشرة قصة من هذه القصص، وهي تذكر في مجموعات الأقاصيص كافة مثل تزيين الأسواق لداود الأنطاكي، وكتاب مصارع العشاق للسرَّاج،.....وهناك تصنيف جيد لكل هذه الموضوعات هو كتاب "آكام المرجان في أحكام الجان" لبدر الدين الشبلي المتوفى عام 769 هـ "[1]، وفي موضع آخر يقول: " وفي ثنايا هذه القصص جميعاً مسائل تتفق ورأى الإسلام في الجن، فنجد مثلًا أن الاعتقاد الشائع عند المصريين هو أن الشخص الذي يقتل يصبح عفريتاً يحوم في المكان الذي قتل فيه (انظر Spoken Arabic of: Willmore Egypt، ص 371، 374) بينما نجد أن المذاهب الإسلامية تنص على أن مرتكب الكبيرة يصير بعد الممات جنًا وذلك في عالم البرزخ (انظر كشاف اصطلاحات الفنون، ج 1، ص 265) [2]، يلحظ أن المستشرق يؤكد على وجود علاقة بين الإنس والجن، مثل الزواج؛ والملكية، تم التوصل لها عن طريق العديد من البحوث والمناقشات، مستدلاً على ذلك بالعديد من كتب القصص مثل كتاب الفهرست؛ تزيين الأسواق؛ مصارع العشاق؛ التي أعدها مراجع أساسية في مقاله لتأكيد قوله؛ وموضحاً أن هذه القصص تحوى كثيرًا من المسائل التي تتفق مع الإسلام.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالد D. B. Macdonald، الجن، ج3231/11.

(2) المرجع السابق، ج3233/11.

2. النقد العلمي للمضمون:

الجن غير مرئي؛ ولا يمكن سماعه؛ فهو من الغيبيات التي لا يتم معرفتها إلا من القرآن الكريم؛ والسنة النبوية الصحيحة، وهنا يتحدث (ماكدونالد Macdonald) عن وجود علاقات بين الإنس والجن منها علاقة تزاوج، وملكية، في حين أن العلاقات التي بينها القرآن؛ والسنة بين الإنس؛ والجن تتضح في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ الأنعام 128، ومن أبرز إيضاحات العلماء لهذه الآية ما يلي:

أ. ما ذكره القرطبي من طبيعة هذا الاستمتاع بين الإنسي والجني، فالإنسي اعتقد بأن الجن قادر على أن يدفع عنه ما يخاف؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن6، وكذلك قبل إغواء الجني له فزنى وشرب الخمر؛ وفعل غير ذلك من المعاصي(1)، أما الجني فقد استمتع بطاعة الإنسي له؛ حيث كانوا يلقون إليهم من الكهانة والسحر والشعوذة، حتى اعتقد الإنسان بأن للجني قدرة خارقة؛ فأخرجه هذا الاعتقاد من دينه، ونشر السحر والفساد بين الناس.

ب. وكذلك ما ذكره ابن تيمية من أن الجن له القدرة على الدخول في بدن الإنسان وصرعه، بقوله: "وجود الجن ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله، واتفاق سلف الأمة، وأئمتها، وكذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ البقرة275"(2)، وسبب دخوله في الإنسي إما لشهوة وعشق، أو بغض ومجازاه بأن يكون الأنسي أذى الجني بماء حار فتسبب بقتل أحدهم، أو أذيته للأنسي كما يؤذي سفهاء الإنس(3) .

ج. وكذلك أوضح أحمد شاكر في تعليقه على مادة جن أن هذه أبحاث خيالية، تجاوز باحثوها حدود البحث، فإن الله ﷻ أخبرنا في القرآن عن وجود الجن، كما أخبر الأنبياء السابقين،

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج84/7.

(2) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج3/ 12.

(3) انظر: النبوات، ابن تيمية، ج837/2، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج82/13، وقاية الإنسان من الجن والشياطين، وحيد بالي، ص66-67.

ونحن لم نرهم، ولا نعلم من أحوالهم إلا ما جاء به الوحى الصادق من القرآن والسنة الصحيحة، ولا نتعدى ما أخبرانا به من الأمور الغيبية[1].

د. وأما بخصوص حكم التزاوج والنكاح بين الجن والإنس فقد اختلف العلماء فيه على ثلاثة أقوال:

- القول الأول: التحريم ، وهو قول الإمام أحمد.

- القول الثاني: الكراهة ، وممن كرهه: الإمام مالك ، وكذا كرهه الحكم بن عتيبة ، وقتادة، والحسن، وعقبة الأصم ، والحجاج بن أرطاة ، وإسحاق بن راهويه – وقد يكون معنى "الكراهة " عند بعضهم: التحريم وهو قول أكثر أهل العلم، وقد ذكر ابن تيمية أن أكثر العلماء كرهوا مناكحة الجن.

- القول الثالث: الإباحة ، وهو قول لبعض الشافعية [2].

3. النقد المنهجي:

المنهجية العلمية تتطلب التحقق من المصادر عند سرد الحقائق، والالتزام بالمصادر الصحيحة، ولا يوجد أصح من القرآن الكريم، وصحيح السنة للتحري عن الأمور الغيبية، وهنا يُلحظ مخالفة المستشرق لهذه المنهجية باستناده على كتب القصص، وآراء العوام لتفسير حقيقة الجن.

أ. التركيز على الكتب غير التخصصية في دراسة العقيدة الإسلامية؛ خاصة المسائل الغيبية، من هذه الكتب :

- كتاب الفهرست، لمؤلفه ابن النديم[3]؛ جمع فيه كل ما صدر من الكتب والمقالات العربية في زمنه وكتب الأديان والفقه والقانون وعن مشاهير الملوك والشعراء والعلماء والمفكرين، يعد كتابه من أفضل كتب التراث العربي؛ وأشملها.

---

(1) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الجن، الحاشية تعليق أحمد شاكر، ج3231/11.

(2) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان، الشبلي، ص64–72

(3) ابن النديم: محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم، وكان معتزلياً متشيعاً، يدل كتابه الفهرست على ذلك، (ت: 438هـ). انظر: الأعلام، الزركلي، ج29/6.

- كتاب تزيين الأسواق؛ لمؤلفه داود بن عمر الأنطاكي؛ المعروف بالأكمه؛ يتحدث في الكتاب عن العشق ونظرياته، ويروي فيه قصص العشاق مثل كثير عزة، وقيس لبني، ومجنون ليلى؛ ت: 1008هـ.
- كتاب (مصارع العشاق)؛ لمؤلفه أبو محمد جعفر السّراج، اعتني في كتابه بالحب والقصص المتعلقة بمن قتلهم العشق.

ب. الاستدلال المُوهم، كالاستدلال بكتاب (آكام المرجان في أحكام الجان) الذي يُعد حجة في هذه المسألة؛ لمؤلفه بدر الدين الشبلي [1]؛ فقد أورد (بدر الدين) معظم ما يتعلق بالجن من أخبارهم؛ وما يتعلق بأحكامهم؛ وآثارهم؛ وعلاقتهم بالإنسان؛ ومنها مسألة زواج الإنسي بالجني[2]، وموقف العلماء منها، كذلك أورد العديد من القصص التي تدل على وجود عالم الجن، تأثيره الملموس على الإنس إلا أن الكتاب يحوى على العديد من الأحاديث الضعيفة[3]، ويحتاج إلى تحقيق.

ج. مغالطة تعميم الحكم دون استثناء، كتعميمه الحكم بأن المذاهب الإسلامية تنص على أن مرتكب الكبيرة يصير جنًا في البرزخ، مستدلًا بكتاب (كشاف اصطلاحات الفنون)[4] دون أن يحدد ماهية المذاهب التي تبنت هذا الحكم.

من خلال ما سبق يلحظ أن المستشرق خالف المنهجية العلمية باعتماده على كتب غير متخصصة لبحث المسائل الشرعية، مثل مسألة علم الجن، وأحكامه.

---

(1) الشبلي: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالله الشبلي (712-769هـ)، قاضي القضاة، من فقهاء الحنفية، من مؤلفاته: " محاسن الوسائل إلى معرفة الأوائل" و" آكام المرجان في أحكام الجان". انظر: الأعلام، الزركلي، ج234/6، تاج التراجم، لابن قطلوبغا، ج263/1.

(2) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان، بدر الدين الشبلي، ص64-72.

(3) انظر: آكام المرجان، الشبلي، من أمثلة ذلك: ص41 حديث {الغيلان هم سحرة الجن} حديث ضعيف، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الألباني، 290/4، حديث رقم 1809، ص47 حديث{اختصم الجن المسلمون، والجن المشركون} فيه كثير بن عبد الله، وقد أجمعوا على ضعفه، وقد حسن الترمذي حديثه، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، 203/1، حديث رقم993، و ص168، حديث {الطاعون وخز إخوانكم من الجن} لا أصل له، السلسلة الضعيفة، الألباني، ج198/1.

(4) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ج586/1.

ثالثاً: الطعن والافتراء على الأنبياء بأدلة ضعيفة أو وهمية.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية مجموعة من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن، مع تحريف كثير منها، ذلك بإيراد المغالطات، التي تطعن بعصمتهم، كما ذكروا عدة قصص وردت في الروايات والأساطير منسوبة ما فيها للأنبياء، وفيما يلي بعض نصوصهم:

1. عرض المضمون:

لم تخل دراسات المستشرقين من الدس؛ والتشويه ؛ والتشكيك في القرآن الكريم؛ والسنة النبوية؛ ومن ذلك التشكيك بسِيَّر الأنبياء عليهم السلام؛ ومنهم نبي الله سليمان ﷺ، ويظهر ذلك في النصوص التي أوردها المستشرق (ووكر J.Walker[1]) في مادة (سليمان بن داود ﷺ)، قوله: " ويعرف في التوراة باسم الملك سلومون Solmon: شخصية فذة في القصص الإسلامية" وقوله: "" ولما توفى داود ورثه سليمان من دون أولاده الآخرين (سورة النمل الآية 16)، وقد أوتى سليمان ﷺ معرفة لغة الطير والحيوان (سورة النمل الآيات 16، 19) وتلك رواية تعتمد على سفر الملوك الأول (1) (الإصحاح الرابع، الآية 33)[2]، وقوله: " وقد مجدت الروايات والقصص المتأخرة كل هذه المسائل التي هي في جوهرها مذكورة كذلك في التوراة"[3]، وقوله: " وكان العالم الطبيعي بأسره خاضعًا كل الخضوع لسلطانه حتى أن الشمس توقفت مرة عن الدوران لتمكينه من أداء صلاة المساء، وحبس الجن الشرار في قماقم من رصاص (سفر زكريا، الإصحاح الخامس الآية 8)"[4]، تبنَّى المستشرق موقف أمثاله من المستشرقين في زعمهم أن الدين الإسلامي مأخوذ من اليهودية، ومن ذلك قصة سليمان ﷺ حيث يدعي ورودها في القرآن كما هي في التوراة، مستندين بأقوالهم على مصادر غير متخصصة، وفيما يلي سيتم بيان ادعاءاتهم الباطلة:

2. النقد العلمي للمضمون:

من خلال تتبع مادة سليمان في دائرة المعارف الإسلامية، يُلحظ أنها لم تسلم من الطعن والافتراء على النبي سليمان ﷺ، متبعين منهجية زنادقة بني إسرائيل في الطعن بالأنبياء، ومن ذلك:

---

(1) ووكر J.Walker: لم أجد له ترجمة.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، سليمان بن داود، ووكر J.Walker، ج19/ 5836.

(3) المرجع السابق، ج19/ 5837.

(4) المرجع نفسه، ج19/5839-5840.

أ. اعتبار نبينا سليمانعليه السلام شخصية من الشخصيات الإسلامية، ثم بعد ذلك أورد أنه ذكر في القرآن أنه نبي ورسول في قوله: " وقد تردد ذكره في القرآن الكريم نفسه وتميز فيه بأنه نبي للّه الحق ورسوله المنزل وبشير بقدوم محمد ﷺ"، فلا يُعلم هل يقصد من قوله أنه شخصية إسلامية، ثم استدلاله بعد ذلك بنبوته من القرآن الكريم –مع العلم بتشكيكهم الصريح به–، التشكيك في نبوته!؟، أم بسبب عدم إجادته للغة العربية، وأدبياتها خلال تعبيره.

ب. يحاول المستشرق إيهام القارئ بأن سليمانعليه السلام ورث دون إخوته بالمفهوم المتعارف عليه للميراث، في حين أن الميراث هنا قد فسره علماء المسلمين ومنهم الطبري؛ والبغوي؛ وابن كثير؛ وغيرهم بأنه يشمل الملك والعلم والنبوة؛ وليس المال[1].

ج. أما القول بأن العالم خاضع لسلطانه، وتوقف الشمس عن الدوران لأجله، فإن هذا أساطير إسرائيلية، لا أساس لها من الصحة.

3. **النقد المنهجي:**

خالف المستشرق (ووكر J.Walker) المنهجية العلمية للنقل والتوثيق، وذلك في اعتماده على مصادر تعد ضعيفة بالمقارنة مع المصادر الأساسية التي تتحدث عما أورده في مقاله، ويتضح ذلك في:

أ. اعتماد المصادر الضعيفة التي لا تعد حجة في النقل والتوثيق، كالاعتماد على مصادر اليهود في إيراد قصة سليمان عليه السلام.

ومصادرهم في ذلك هي:

- التوراة المحرفة، والتي أثبت القرآن تحريفها في قوله تعالى: ﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ البقرة75.

- القصص والروايات والإسرائيليات، وكما هو معلوم فإن القصص والروايات ليست بحجة يعتمد عليها، ومن باب أولى الرجوع للقرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وكتب التفاسير المعتمدة فهي تغني عن ما سواها، أما الإسرائيليات فهناك منهجية وضعها علماء

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج437/19، معالم التنزيل، البغوي، ج148/6، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج182/6.

المسلمين مستمدة من أحاديث رسول الله ﷺ {وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ}[1]، وقوله: "{مَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ}[2]، وقد بين العلماء أن ما جاء عن بني إسرائيل على ثلاثة أقسام :

- ما يوافق شرعنا، فهو مقبول.
- ما يخالف شرعنا، فهو مردود.
- ما لم يوافق شرعنا ولم يخالفه، وهو المسكوت عنه، فهذا يُروى ولا يُطوى، على سبيل الاستشهاد لا الاعتقاد، ولا نصدقهم فيه ولا نكذبهم[3].

ب. الاستعانة بمصادر وهمية، كادعاء الاستعانة بتفسير الطبري، وتاريخ الطبري، وقد ذكر" أحمد شاكر" في الحاشية[4] أنه رجع لها فلم يجد حرفاً مما أورده المستشرق في مقاله

المطلب الخامس: التركيز على الأخبار المنقولة من جهة المخالف.

عرض المستشرقون في مصنفاتهم العديد من المسائل العقدية، وخاصة المسائل التي تعددت فيها الآراء، وكانت سببًا في ظهور المذاهب المختلفة؛ التي أدت إلى تفرق المسلمين؛ فكان من أساليبهم تبني منهج الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، ونشر أقوالهم وآرائهم، ونصرتهم في كثير من الأحيان، ومن أمثلة ذلك ما ورد في دائرة المعارف الإسلامية، كما يلي:

أولاً: ادعاء إهمال علماء المسلمين بعض القضايا الإيمانية.

يبذل المستشرقون جهوداً مضنية في سبيل تغيير حقائق الإسلام، والتلاعب بالقيم الحضارية فيه، ومن أوجه ذلك دعواهم قصور العلماء في تناول بعض القضايا العقدية، ويبرز

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، 170/4، حديث رقم3461.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب العلم/ باب رواية حديث أهل الكتاب، 3/ 318، حديث رقم 3644، ضعفه الألباني، مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث أبي نملة الأنصاري، 460/28، حديث رقم 17225.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج284/6، شرح العقيدة الواسطية، ابن العثيمين، ج183/2.

(4) دائرة المعارف الإسلامية، مادة سليمان بن داود، الحاشية، ج5841/19.

ذلك في العديد من نصوصهم في دائرة المعارف الإسلامية، كما عند المستشرق ماكدونالد Macdonald وذلك على النحو الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد D. B. Macdonald) في مادة (قدرية)، قوله: "هناك رؤيتان متطرفتان ورؤيتان معتدلتان في هذا الموضوع، والأخيرتان هما المقبولتان في نظر المسلمين التقليديين، وكلها ترجع إلى نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، وتوجد هذه الأحاديث في كتاب القدر؛ وفي جزء من كتاب الطب في صحيح البخاري، (انظر أيضًا كتاب الإبانة للأشعري طبعة حيدر أباد صفحة 84 وما بعدها) و(باب الروايات في القدر)، وهناك الجبرية وهم مؤمنون بالقدر تمامًا، فالإنسان ليس له دور على الإطلاق في الأفعال التي تصدر عنه، وهذا الرأي يعتبر في نظر الإسلام بدعة، أما الرأي المتطرف من الناحية الأخرى فهو رأى القدرية Karlarites الذين اندمجوا في آخر الأمر في المعتزلة، وفى البداية لم يجازفوا باستخدام كلمة الخلق –فاللَّه وحده هو الخالق– وإنما استخدموا كلمات أخف وقعًا مثل الإيجاد والاختراع، ولكنهم في النهاية قالوا: إن الإنسان "يخلق" أفعاله، أما المذهبان المتوسطان أو التقليديان فهما مذهب الأشعرية ومذهب الماتريدية، ويرى الأشعرية أن رأيهم هو الأقرب إلى المنطق، بينما اكتفى الماتريدية بذكر الحقائق الواضحة، ومن الواضح أن الأسس التي بنى عليها المؤيدون للإرادة الحرة رأيهم أسس أخلاقية، فإن عدل اللَّه عز وجل يقتضى أن يكون الإنسان حرًا، والإسلام التقليدي لا يهتم كثيرًا بهذه القضية، فاللَّه جَلَّ جلاله أن يفعل ما يشاء"[1]، ثم ذكر في نهاية المقال المصادر التي رجع إليها وهي للمستشرقين (فون كرامرVon Kramer)، (هوتسما Houtsma)، (جولد زيهر Goldziher).

معلوم أنه كثر الخلاف حول شبهة خلق الله لأفعال العباد، وقد استغل بعض المستشرقين هذا الخلاف، محاولين نصرة المذاهب التي تناسب أهدافهم، ومنهم المستشرق (ماكدونالد Macdonald) حيث ذكر آراء الفرق الأربعة في المسألة– الجبرية، المعتزلة القدرية، الأشاعرة، الماتريدية– دون أن يجزم بالرأي الصواب في المسألة، طاعناً بعدل الله تعالى، مستخدماً بعض مصطلحات المبتدعة وصف أهل السنة والجماعة، ويتضح ذلك من أقواله في النصوص التالية:

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالد D. B. Macdonald، قدر، ج26/8091-8092.

2. نقد المضمون:

يهتم المستشرقون بالفِرق اهتماماً كثيراً، ويظهر ذلك جلياً في الدائرة، حيث كثرت كتاباتهم عنهم، وخاصة عن الموضوعات التي تتعلق بالشبهات، ومواطن الخلافات بينهم، حيث أورد المستشرق (ماكدونالدMacdonald) آراء الفرق في القدر مثل فرقة المعتزلة، والجبرية، والماتريدية، والأشعرية، دون توضيح الإشكال بين الفرق الأربعة، وبتتبع قوله وقع في عدة مغالطات منها:

أ. عدم وضوح أدلة المتطرفين (الجبرية والمعتزلة) في مسألة القدر.

ذكر أن هناك رؤيتين متطرفتين في مسألة القدر، وأن كلًّا منهما لها استدلالاتها من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، دون أن يوضح المسألة، أو فيم خالفوا أهل السنة والجماعة، ونورد آراء الفرق المختلفة في هذه القضية باختصار:

من المعلوم أن مسألة القدر محل جدل بين البشر منذ زمن بعيد وقد انقسم فيها النَّاس إلى ثلاثة أقسام:

- **الجبرية:** نظروا إلى عموم قدر الله، وقالوا: إن الإنسان مجبر على أفعاله، ولا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، الله هو خالق أفعاله، ولكنها تنسب إليه مجازاً، فسقوط الإنسان من السقف بالريح ونحوها كنزوله منه مختارًا من الدرج.
- **القدرية:** نظروا إلى أن العبد فاعل، تارك باختياره، وقالوا: إن العبد مستقل بأفعاله، لم يخلقها الله، بل خلقها العبد، وليس لمشيئة الله، أو قدرته أي أثر على فعل العبد، فهو مستقل بفعله [1]،
- **أهل السنة والجماعة:** نظروا إلى عموم قدر الله ﷻ، وإلى اختيار العبد، فقالوا: إن فعل العبد كائن بقدر الله ﷻ، وباختيار العبد، وإنه يعلم بالضرورة الفرق بين سقوط الإنسان من السقف بالريح ونحوها، ونزوله منه مختارًا من الدرج، فالأول: من فعله بغير اختياره، ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ التكوير29 ، والثاني: باختياره، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ فصلت46 ، فكلاهما

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج8/ 460-461، والقضاء والقدر، المحمود، ص306-307.

واقع بقضاء الله وقدره، ومعلوم أنه لا يقع في ملكه تعالى إلا ما يريده، لكن ما وقع باختيار العبد فهو مناط التكليف، ولا حجة له بالقدر في مخالفة ما كلف به من أوامر أو نواه [1].

كما أنه يحاول التشكيك في عدل الله بقوله " فإن عدل الله عز وجل يقتضي أن يكون الإنسان حراً"، والله سبحانه أعدل العادلين، والقدر سر من أسراره في خلقه، بعدله وحكمته، فلا يستطيع أحد منازعة الله في أفعاله، فالعقل والفهم قاصران عن ذلك، فقد ترك الله للإنسان حرية الاختيار، فهم مأمورون بما أمرهم، منتهون عما نهاهم عنه، لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، أو محرم فعله.

ب. تقصير مذهب أهل السنة والجماعة على مدرستي الأشعرية والماتريدية:

هنا يُقصد بلفظ أهل السنة والجماعة، السلف والخلف؛ والسلف هم أهل السنة المحضة، الذين اجتمعوا على السُّنة، وأخذوا بها؛ وأثبتوا الصفات؛ فلا يدخل فيه إلا من التزم العقيدة الصحيحة، فبهذا الاعتبار لا يدخل في هذا اللقب: الأشاعرة، والماتريدية ولا غيرهم ممن خلط أصوله الكلامية، بأصول بدعية؛ لمخالفتهم أهل السنة في كثير من الأصول والمسائل[2]، فهؤلاء يطلق عليهم الخلف، وذلك لأنهم خالفوا أهل السنة والجماعة ببعض فروع مسألة القدر – خلق أفعال العباد– [3]، فتوافق الماتريدية السلف بأن الله ﷻ هو خالق لأفعال العباد، خيرها وشرها، لكنهم رأوا وجود أثر القدرة للعبد في وصف الفعل، أي هي كسب من العبد، كما قال الماتريدي: " إن حقيقة ذلك الفعل الذي هو للعباد من طريق الكسب ولله من طريق الخلق[4]"، وكذلك أبو المعين النسفي بيّن أن فعل العبد هو مخلوق الله تعالى؛ والله تعالى هو الذي يتولى خلقه وإيجاده والعبد مكتسبه ومختاره[5]، وخلاصة كلامهم أن المؤثر في أصل الفعل قدرة الله تعالى والمؤثر في صفة الفعل قدرة العبد وتأثير العبد هذا هو الكسب عندهم[6].

وكذلك الأشاعرة وافقوا أهل السنة والجماعة بأن الله هو خالق أفعال العباد، ونسبوا الفعل الاختياري للإنسان كسباً، وهذا صحيح، لكن الإشكال الذي وقعوا فيه هو طبيعة هذا

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ابن عثيمين، القضاء والقدر، ج2/87.

(2) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج2/ 221-225.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله السجزي، ص177-178، 222، جامع بيان العلم، النمري، باب ما يكره فيه المناظرة والجدال والمراء، ج2/96.

(4) انظر: التوحيد، أبو منصور الماتريدي، ص228.

(5) تبصرة الأدلة، أبو معين النسفي، ص96-97.

(6) انظر: التمهيد، الباقلاني، ص307-308.

الكسب الذي أثبتوه للعبد، وهو كما قال شارح أم البراهين: "وبهذا نعرف أنه لا أثر لقدرتنا في أفعالنا الاختيارية... وهذا الاقتران والتعلق لهذه القدرة الحادثة بتلك الأفعال من غير تأثير لها أصلاً هي المسمى في الاصطلاح؛ وفي الشرع بالكسب والاكتساب "[1]، أي أنهم أثبتوا اختياراً للعبد، مع عدم تأثير قدرته الحادثة في الفعل، فكلًّا من الماتريدية والأشاعرة حاولوا التوسط بين الجبرية والمعتزلة، فجانبوا الصواب، حيث إن مذهب أهل السنة والجماعة يثبت مشيئة واختياراً وقدرة، يحقق بها أفعاله، ويفعل ما أقدره الله عليه، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة 286؛ ولكن هذه المشيئة لا تخرج عن مشيئة الله تعالى وقدرته [2]؛ ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الإنسان30.

3. **النقد المنهجي:**

ورد في نص المستشرق (ماكدونالد Macdonald) عدة مخالفات منهجية منها:

أ. الخلل في تقسيم المدارس التي تناولت شبهة خلق أفعال العباد، فالفرق الأربعة التي أوردها الجبرية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية كلهم من أهل السنة والجماعة، ولكن باعتبار مخالفتهم في بعض الأصول والمسائل، يمكن تقسيمهم إلى سلف وخلف، كما ذُكر سابقاً.

ب. الاضطراب في الاستدلال، حيث اعتمد المستشرق (ماكدونالد Macdonald) في مقاله على أقوال مستشرقين أُخر، مصادرهم لا تعد حجة، مخالفاً المنهجية العلمية في الرجوع للمصادر الأصيلة التي تناولت المسألة.

ج. نصرة الأقوال الفاسدة في مسألة القدر، في حين أنه مخالف أيضاً للمذهب في هذه المسألة، وكان من باب أولى الرجوع للمصادر الأصيلة في هذه المسألة، وهي لا تخفى على من يعمل في مجال الاستشراق.

د. ابتداع مصطلحات، ثم محاكمة الأفكار عليها، ومن ذلك إطلاقه لفظ التقليديين على أصحاب مذهبي الأشعرية؛ والماتريدية، وباعتباره أن هذين المذهبين يندرجان تحت مصطلح أهل السنة والجماعة، فهل يهدف من وراء هذا الإطلاق الطعن بالمذاهب واعتبارها مذاهب منغلقة، تقليدية غير حضارية؟؟

---

(1) شرح أم البراهين، السنوسي، ص50-51.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج8/ 450

ثانياً: تأويل الغيبيات الثابتة في العقيدة.

دأب المستشرقون على الاستعانة بالكتب والآراء المخالفة للعقيدة الإسلامية، في تفسير المصطلحات القرآنية؛ والقضايا العقدية، وقد برز ذلك جلياً في دائرة المعارف الإسلامية، ومن أمثلة ذلك ما أورده المستشرق (كارا ده فو B. Carra de Vaux) من بعض المصطلحات وهي كالتالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فو B. Carra de Vaux) في مادة (جهنم)، قوله: " جهنم: وهي كلمة مشتقة من اللفظ العبري جيحنون أو وادي هنوم (انظر سفر يشوع، الإصحاح الخامس عشر، الفقرة 8) وكان واديًا بالقرب من بيت المقدس تقدم فيه القرابين إلى مولك في أيام العقوق. وكلمة جهنَّام- بألف بعد النون - معناها البئر العميق"[(1)]،"، وفي موضع آخر من مقاله: " ولم يرض هذا التصوير المادي المسرف لبناء الجحيم وألوان العذاب فيه جميع المفكرين المسلمين، بل إن الغزالي- وهو التقى المؤمن- قد رأى بعض التأويل، فالصراط في نظره إنما يدل على معنى مجازى، فهو ليس إلا الطريق القويم الذي يسدد به الله خطى المؤمنين وهو يرمز إلى الطريق السوى، وهو وسط بين الأخلاق المتضادة، فهو الحد الفاصل بين الغلو والقصور وفيه يكون الكمال، انظر كتاب الغزالي: المضنون به على غير أهله "[(2)]، وقال: " ويقول ابن سينا إن عذاب جهنم ينصب في الغالب على الأرواح المذنبة التي تحتفظ بشهواتها بعد الممات، ومن ثم فهي تتعذب أشد العذاب لأنه ليس لها أجساد ترضى بها هذه الشهوات"[(3)]، ومما سبق يُلحظ اعتماد المستشرق "كارا ده فو Carra de Vaux" على كتب وآراء المخالفين للعقيدة الإسلامية في تفسيرهم للمصطلحات القرآنية.

2. النقد العلمي للمضمون:

بتتبع المقال الذي أورده المستشرق (كارا ده فو Carra de Vaux) في مادة جهنم يُلحظ أنه ركز على الأخبار المخالفة لأهل السنة والجماعة دون أن يبين ما في هذه الآراء من مغالطات، ومخالفات للعقيدة الإسلامية ومن ذلك:

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، كارا ده فو B. Carra de Vaux، جهنم، ج11/ 3254.

(2) المرجع السابق، ج11/ 3256.

(3) المرجع نفسه، ج11/ 3257.

أ. الاعتماد على التوراة في تفسير كلمة جهنم.

يرجع المستشرق إلى كتاب التوراة في تفسير معنى جهنم، ولم يخطئ في إيراده للمعنى كما ورد في التوراة [1]، ولكنه يحاول كغيره من المستشرقين إثبات أن القرآن الكريم ما هو إلا مجموعة اقتباسات من التوراة والإنجيل، وجهنم في قواميس اللغة العربية قد أجاد العلماء في تفسير معناها بطريقة واضحة وشاملة، فقد أوردوا أنها اسم من أسماء النار التي يعذب بها الله ﷻ من استحق العذاب؛ ويقال أصله هو فارسي معرب، ويقال بئر جهنم جهنام [2]، وهذا المعنى واضحاً كذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا** ﴾مريم68، عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تزال جهنم يُلقَى فيها وتقول: هل مِن مزيد؟ حتى يضع ربُّ العزَّة فيها قدمَه، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط، بعزَّتك وكرمك" [3].

ب. ادعاء عدم رضا جميع المفكرين المسلمين بالتصوير المادي لجهنم.

تقديم تصورات وأحكام عامة، وذلك بتحويل بعض الآراء الفردية إلى رأي عام، ويتجلى ذلك في ادعائه عدم رضا جميع المفكرين المسلمين عن التصوير المادي للجحيم وألوان العذاب فيه، وهذا القول فيه طعن بالأحاديث الصحيحة التي وردت لوصف ذلك المشهد، ومن هذه الأحاديث عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو"[4]، فالأحاديث وردت بالصحيحين فلا يمكن إنكارها، صحيح أن هناك من أنكر ذلك؛ ولكنهم شواذ ليس الجميع كما يحاول أن يوهم، أما بالنسبة لوقوع العذاب في جهنم فقد اختلف فيه، فالفلاسفة قالوا إن العذاب لا يكون إلا على الروح،

---

(1) انظر: دراسات في التاريخ والتراث واللغات، الأصل التاريخي لمفهوم جهنم، سردست، (موقع إلكتروني)، والموسوعة المسيحية العربية الالكترونية، قاموس المحيط الجامع، (موقع إلكتروني).

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ج1892/5-1893، لسان العرب، ابن منظور، ج112/12، والمعجم الوسيط، مصطفى، وآخرون، ص144.

(3) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي، (79) المتفق عليه من مسند أبي حمزة أنس بن مالك، 438/2، حديث رقم1944.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الآذان/ باب السجود، 160/1، رقم الحديث 806.

وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، وكثير من المعتزلة ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط، ولكن يقولون بالعذاب للبدن والروح يوم القيامة، في حين أن مذهب أهل السنة والجماعة متفق على أن العذاب يكون للروح والبدن في البرزخ ويوم القيامة [1].

3. النقد المنهجي:

اتبع المستشرق (كارا ده فو Carra de Vaux) منهجية تتعارض مع المنهجية الصحيحة عند تناول مسائل العقيدة الإسلامية، ويتضح ذلك من خلال:

أ. الاستدلال بمصادر غير أصيلة في نقد المضامين الأصيلة، مثل استدلاله بكتاب التوراة، وهذا مخالف للمنهج العلمي، فهو هنا يتحدث عن عقائد المسلمين فكان :

- من باب أولى الاستدلال من مصادر أهل السنة والجماعة، وكتب اللغة عند المسلمين أولاً، ثم التعريج على التوراة، كما أن التوراة ثبت تحريفها، ولا يجوز الاستدلال بها على القضايا الغيبية عند المسلمين؛ بل هي من مصادر الخصم.

ب. الاستدلال بمصادر ضعيفة لا يعتد بها عند جمهور المسلمين، ومنها الاستدلال بقول ابن سينا؛ ومن المعلوم أن ابن سينا باطني؛ إسماعيلي المذهب [2]؛ يؤيد البعث الروحي وينكر البعث الجسماني[3]، وقوله هنا مبني على أصول منهجه العقلي المجرد عن الوحي، وأمور الغيب يجب الاعتماد فيها على الوحي وحده[4]؛ لأن ما غاب عنك لا سبيل إلى معرفته إلا بالخبر الصادق.

ج. اجتزاء النصوص عند الاستدلال، فما أورده المستشرق عن الصراط اجتزاء من نص الغزالي في كتابه، فالغزالي لم يفسر الصراط تفسيرًا مجازيًّا؛ بل فسرها كما وردت بالسنة النبوية، وفسر الصراط الحق بالدنيا كما أورده المستشرق، ومما أورده الغزالي قوله: " فمن استقام على الصراط المستقيم الذي يحكي الله تعالى حقيقته عن النبي ﷺ وإن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه مر على صراط الآخرة مستويًا من غير ميل"[5]، لعل الأمر أُلبس عليه، أو قصد بذلك الطعن بالعقيدة الإسلامية، وعلمائها وهو الراجح، كما أن الكتاب نفسه ذكر (ابن

---

(1) انظر: الروح، ابن القيم، ج1/51-52.

(2) انظر: الصفدية، ابن تيمية، ج1/2.

(3) انظر: رسالة أضحوية في أمر المعاد، ابن سينا، تحقيق حسن عاصي، ص103-107.

(4) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، ص274-275، والرد على المنطقيين، ابن تيمية، ج1/ 458.

(5) كتاب الجام العوام- المنقذ من الضلال- المضنون به على غير أهله- ترتيب الأوراد، الغزالي، ص127.

الصلاح) أنه منسوب للغزالي لأنه يصرح بقدم العالم، وينفي علم الله بالجزيئات، وينفي الصفات وكل هذه القضايا كفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة، فكيف يعقل أن يقولها! [(1)].

ثالثاً: ادعاء اقتباس بعض مفردات القرآن الكريم من الديانات السابقة.

إن الدراسات الاستشراقية كتبت عن القرآن الكريم ما يفوق كل تصور من الكتب والمقالات؛ باللغات الحية والميتة؛ وبقدر اهتمامهم به تنوعت؛ وتعاظمت أحكامهم، ومفاسد ردودهم، ولم تخلُ دائرة المعارف أيضاً من نصيبها في دراسة القرآن الكريم، ويتضح ذلك في موقف المستشرق" ولشWelch " فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق أ.ت.ولش A.T.Welch مادة (القرآن الكريم)؛ فقرة مرادفات القرآن الكريم؛ قوله: " لا يمكن أن نفهم فهماً كاملاً معنى مصطلح (قرآن) دون أن نضع في اعتبارنا الاستخدامات القرآنية لمصطلحات أخرى مرادفة للقرآن؛ أو لصيقة به مثل "الآية" "والآيات" و"الكتاب" و"السورة" و"السور"؛ بل أيضًا "الذكر" و"المثانى" و"الحكمة" وغير ذلك... فالمعنى الأساسي لمصطلح (آية) مثله مثل المصطلح العبري أوث oth والسرياني آثا atha يعنى علاقة؛ بمعنى الرمز لحقيقة غير ظاهرة أو الدليل أو البرهان، أما عن اشتقاقها فغير مؤكد، وربما كان من الطبيعي أن تكون من الجذر (أوه) الشبيه بالكلمة العبرية "آواه" awah لكن هذا الجذر غير موجود في اللغة العربية"[(2)].وفي موضع آخر ذكر بعض الأمثلة منها تفسير مصطلح "كتاب " حيث سرد بعض الآيات القرآنية التي تشتمل على كلمة كتاب، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هود6، قائلاً: ويميل المفسرون لتفسير كلمة "كتاب" في هذه الآيات إلى أنها تعني كل الكتب السماوية، وهو ما يميل إليه الكتاب الغربيون الذين تناولوا القرآن الكريم، أما الباحث جفري A. Jeffery في بحثه عن القرآن ككتاب مقدس فيرى أن هذه الإشارات لكتب الشرق الأدنى القديمة، وكتب المراسم والسجلات، بينما يرجح الباحث فيدنجرن في كتابه "محمد رسول اللّه ومعراجه للسماء" أن المقصود بالكتاب في هذه الآيات، كتاب سماوي واحد، وليس هناك دليل حاسم في القرآن الكريم لأى من هاتين النظريتين... إلا أن معنى الكتاب في العديد من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

---

(1) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج257/6.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، أ.ت.ولشA.T.Welch، قرآن كريم، ج8162-8161/26

وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران7؛ غامض ولا يشير للقرآن الكريم بشكل حاسم إذ يمكن تفسيره بمعان عدة.."[1]، وهنا يحاول المستشرق قلب الحقائق؛ وتزييفها، بالتشكيك بمصدرية مفردات القرآن الكريم، بإرجاع أصلها للديانات السابقة.

2. النقد العلمي للمضمون:

المستشرق (ولش) حذا حذو أسلافه من المستشرقين؛ في محاولته إثبات أن مفردات القرآن أصلها من اللغة السريانية، حيث إنها مقتبسة من الديانات السابقة، فيما يلي بعض المغالطات التي أوردها في النص السابق:

أ. ادعاء غموض بعض المصطلحات القرآنية ومحاولة تفسيرها من مصادر لا تعد حجة عند المسلمين.

ذكر أن الكلمات مثل" آية، سورة، كتاب؛ ذكر؛ مثاني" وغيرها؛ ليست عربية بل هي مستمدة من العبرية؛ والآرامية؛ والسريانية، وكان من باب أولى الرجوع لكتب اللغة العربية الأصيلة[2]، خاصة وأنه يتناول موضوعات إسلامية عربية، ولا يُعتقد بأنه يخفى على المستشرق أن القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش، وهي اللغة العربية، ومن معاني بعض الكلمات السابقة في كتب اللغة:

- آية: بمعنى العلامة، أو الجماعة، فآية القرآن أي جماعة حروفه [3].
- سورة: هي كل منزلة من البناء، وسميت سور القرآن بذلك لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى[4].
- كتاب: هو اسم يطلق لما كُتب مجموعًا، وهو الصحيفة أو الدّواة، أو ما يكتب فيه[5].
- مثاني: بمعنى ما يثنى به مرة بعد مرة، وسميت آيات الحمد مثاني لأنه يثنى بها في كل ركعة من ركعات الصلاة[6].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، أ.ت.ولشA.T.Welch، قرآن كريم،، ج8163/26-8164.

(2) كان على المستشرق الرجوع إلى كتب اللغة المعتمدة، انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، ج117/3، ج1392.

(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج169/1.

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج115/3، لسان العرب، ابن منظور، 386/4.

(5) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج698/1-699.

(6) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ج254/19.

ب.ادعاء غموض كلمة كتاب في بعض الآيات؛ وعدم دلالتها على القرآن الكريم.

القرآن الكريم جاءت ألفاظه واضحة؛ قال تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ البقرة 2؛ فالقرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد فسر رسول الله ﷺ ما أشكل على الصحابة من المفردات، وكذلك تعددت كتب التفسير الصحيحة التي فسرت مفردات القرآن الكريم بشكل لا يلتبس فيه على أي قارئ، فلو رجع المستشرق لتفسير العلماء لكلمة كتاب في الآيات التي أوردها لزال عنه كل لبس.

3. النقد المنهجي:

مما سبق يُلحظ أن المستشرق "ولش Welch" خالف المنهجية العلمية بعدة نقاط منها:

أ. إغفال المصادر المتخصصة، والاعتماد على مصنفات أسلافهم من المستشرقين القدامى، كاعتماد المستشرق على (جفري) و(فيدنجرن)؛ بالرغم من وجود العديد من الكتب الموثوقة التي كان من السهل الرجوع إليها، وإزالة اللبس عما عده غامضًا، سواء كتب تفسير القرآن الكريم، أو كتب تفسير المعاني اللغوية.

ب. الربط بين المتخالفين من المفسرين المسلمين والمفسرين الغربيين، باعتبار أن تفسيرهم متوافق، ويخرج من بوتقة واحدة.

ج. التشابه بين المصطلحات لا يرجع إلى اقتباس القرآن من الديانات السابقة كما يدعي، بل مرجعه إلى وحدة المصدر، فمعلوم أن جميع الديانات السماوية مصدرها الله ﷻ؛ فأي تشابه هو دليل على صدق الرسالة المحمدية.

د. محاولة بعض المستشرقين انتقاء الألفاظ العبرية التي تتمشى مع السياق الذي يريدونه عندما يتعذر عليهم فهمها [1].

ومما سبق يمكننا الخلوص إلى أن العديد من جهابذة المستشرقين كتبوا عن الإسلام خاصة في العقائد الإسلامية، لما لهم من اطلاع واسع على المحتوى الإسلامي من تاريخ وعقائد وأحكام وشرائع، كما أنهم يملكون المصادر الأصيلة للكثير من هذا العلم، ولهم القدرة على التمييز بين السمين، والغث لمعرفتهم بالمنهج العلمي الصحيح، وبالرغم من ذلك وُجد كثير منهم قد ركز في مقالاته وكتاباته على أقوال الخصوم، وأوردها كأنها هي المعتمدة وحاول إيهام القارئ بأنها الأصح، وذلك لتحقيق أهدافهم من نشر الأكاذيب عن الحضارة الإسلامية، والطعن في عقيدة المسلمين، والتشكيك فيها بنصرة الآراء المخالفة، وتمجيد أصحابها.

---

(1) انظر: المستشرقون والقرآن، العالم، ص197-198.

المبحث الثاني:

منهجية المستشرقين في صياغة الأفكار المتعلقة بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

تبنى المستشرقون المنهج الأوروبي في قراءة العقيدة الإسلامية ودراستها، فمن الطبيعي أن يصيغوا أفكارهم تبعاً لذلك، وهذا يظهر واضحاً جلياً في دائرة المعارف الإسلامية التي هي ثمرة دراسات المستشرقين، مع وجود بعض التمايز بين المستشرقين في صياغة الأفكار، ولكن يجمعهم هدف واحد يقرب بين هذه الأفكار.

المطلب الأول: التلاعب بالألفاظ المحتملة عند الصياغة.

من أسوأ الأمراض التي تؤثر على الثقافة والفكر؛ الفساد في النطق؛ وعدم إيضاح الرؤية؛ والتلاعب بالكلام، وهو ما يسمى بالسفسطة التي تُعد من أخطر الأساليب والفنون الخطابية، فالسفسطة هي عبارة عن محاججة تبدو كأنها موافقة للمنطق، ولكنها تصل في النهاية إلى استنتاج غير مقبول، سواء لتعذره، أو لاستعماله الإرادي المغلوط لقواعد الاستنتاج، لذلك يمكن اعتبار السفسطة قولاً مموهاً، أو قياساً ظاهرياً صحيحًا، ولكن نتيجته باطلة، الهدف منه تضليل الآخرين(1)، ومن خلال تتبع أقوال المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية وُجد أن عدد منهم تبنى أسلوب السفسطائيين في التلاعب بالألفاظ والمعاني وتسيير المنطق على هواه، وليس على هوى الحقيقة والواقع، ومن النماذج على ذلك:

أولاً: الترويج لعقيدة وحدة الحلول:

اهتم المستشرقون بالفرق؛ والنِحل؛ اهتماماً كبيراً، ومن أبرز الأدلة على ذلك تناولهم للعديد من الفرق التي اندثرت، والفرق الحية في دائرة المعارف الإسلامية، وتمجيدهم بتحقيق كتبهم؛ ونشرها، ونصرة مواقفهم وآرائهم؛ ومن ذلك نصرتهم لعقائدهم الفاسدة مثل عقيدة وحدة الوجود، كما فعل المستشرق (شتروتمان Strothmann) وبيانه فيما يلي:

---

(1) انظر: المعجم الفلسفي، صليبا، ج1/658-659، ومقال بعنوان: الخطر السفسطائي، مراهقة فكرية، (موقع إلكتروني).

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (شتروتمان R.Strothmann)[1] في مادة (الشيعة)، قوله: "إلى أي حد كانت آراء الشيعة من ظهور الإله في البشر ومن شفاعة الإمام استمراراً مباشراً لتلك التصورات المماثلة التي ناطها بحسب ما يرويه ابن إسحاق بعض شعراء الإسلام الأولين بشخص محمد عليه الصلاة والسلام، أي أننا يمكن أن نتساءل: إلى أي حد كانت هذه الأفكار الدينية عند الشيعة داخلة في الإسلام قبل سنة 11 هـ (632 م)، أما في عهد علي فإن هذه الأفكار تبدو ذات صبغة اعتقادية دينية قوية، وإذا كانت الروايات المتعلقة (بعبد اللّه بن سبأ) ما زال يكتنفها الغموض، فإننا نرى الأمور أوضح من ذلك بعض الشيء عند كثير من الشعراء المائلين إلى التشيع، فرجل مثل أبى الأسود الدؤلي [2]، وهو قد حارب إلى جانب عليّ في وقعة صفين، يمدح علياً مدحاً يبلغ حد الافتتان فيقول:

إذا اســـتقبلت وجـــه أبـــى حســـين رأيـــت البـــدر راق الناظرينـــا

فقـــد علمـــت قـــريش حيـــث كانـــت بأنـــك خيـــرهم حســـبًا ودينـــا[3]

فقد كان موقف أبى الأسود من عليّ ذا صبغة دينية، وهو يسميه بحسب الأحاديث المتعلقة بالموضوع والتي كانت معروفة له، بقوله: "مولانا" و"وصيّنا"، وكثيراً ما نصادف عبارات مثل: "إني أرجو اللّه والدار الآخرة بحبى لعليّ"[4]" [5]، يسعى المستشرق (شتروتمان Strothmann) جاهداً للتأصيل لعقيدة الحلول، بربطها بعصر النبي ﷺ، وذلك من خلال ما

---

(1) شتروتمان رودلف R.Strothmann : (1877–1960م) مستشرق ألماني، تخصص بدراسة الفرق، ومذاهبها، من تصنيفاته الزيدية، أربع كتب إسماعيلية، وكتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمني.انظر: المستشرقون، العقيقي، ص788–789.

(2) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو، (ت: 69هـ)، العلامة الفاضل قاضي البصرة، ولد في أيام النبوة، كان أول من تكلم في النحو، أمره علي بوضع شيء في النحو لما سمع اللحن، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، مات في طاعون الجارف. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 4/81–86، وفيات الأعيان وأنباء أبناءالزمان، ابن خلكان، ج2/535.

(3) بوابة الشعراء، شعراء العصر الأموي، ديوان أبو الأسود الدؤلي، قصيدة ألا أبلغ معاوية بن حرب، تاريخ الاطلاع 2019/12/8.

(4) لم أجد هذه العبارة إلا في كتب الشيعة، ومنها كتاب روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، السيد محمد باقر الموسوي المعروف بالخوانساري،ج4/160.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، شتروتمان R.Strothmann ، الشيعة، ج20/6409–6410.

استنبطه من الشعر الذي وُصف به النبي ﷺ ؛ والشعر الذي قيل بحق علي ﷺ، فأورد خلال ذلك مغالطات منها:

2. النقد العلمي للمضمون:

دأب المستشرقون على ربط العقائد الفاسدة بالدين الإسلامي الصحيح، وهنا يحاول المستشرق (شتروتمان Strothmann) أن يؤَصل لعقيدة وحدة الحلول ؛ والإمامة، وذلك من خلال الربط بين الشعر في عهد النبي ﷺ مع الشعر في عهد علي ﷺ، ويظهر ذلك فيما يلي:

أ. ادعاء وجود عقيدة الحلول ؛ والإمامة من زمن الرسول ﷺ.

يحاول المستشرق (شتروتمان Strothmann) إيجاد علاقة بين عقيدة الشيعة في الحلول، والإمامة بالنبي ﷺ، وذلك من خلال قوله أن ابن اسحاق في كتابه السيرة روى عن بعض شعراء المسلمين في عهد رسول الله ﷺ أنهم كانوا يمدحون الرسول ﷺ مدحاً مماثلاً لمدح الشيعة المغالين لعلي ﷺ، ولكن كان ذلك بارزاً بوضوح في عهد على ﷺ، ويهدف من وراء ذلك إيهام القارئ بأن الأفكار الشيعية هي امتداد لما كان في عهد النبي ﷺ، ويرد على ذلك:

زعم بعض علماء الشيعة (كالقمي)[1]؛ و(النوبختي)[2]؛ و(محمد حسين آل كاشف الغطاء)[3]؛ أن التشيع المغالي كان من زمن رسول الله ﷺ [4]، وأن هناك بعض الصحابة الذين يتشيعون لعلي ويوالونه في عهده، فقد رد علماء المسلمين أباطيل الشيعة هذه بردود منها :

(1) القمي: أبو القاسم، سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي، (ت:300هـ)، من محدثي الشيعة في القرن الثالث الهجري، تتلمذ عنده الكثير مثل ابن بابويه القمي، والكليني، وابن قولويه القمي، من مؤلفاته: "المقالات والفرق"، "مناقب رواة الحديث". انظر:الأعلام، الزركلي، ج3/ 87، ويكي شيعة، سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي.

(2) النوبختي: أبو محمد، الحسن بن موسى النوبختي، (ت:310هـ)، متكلم، فلكي، وفيلسوف، معتزلي من أعلام الشيعة الامامية، من مؤلفاته: "الآراء والديانات"، و"فرق الشيعة"، و"الرد على المنجمين". انظر: الأعلام، الزركلي، ج224/2، ويكي شيعة، الحسن بن موسى النوبختي.

(3) محمد حسين آل كاشف الغطاء: (1373-1294هـ)، من علماء الشيعة، ذو نزعة إصلاحية، من الداعين إلى وحدة الأمة الإسلامية، له العديد من المؤلفات التي تتعلق بالتعريف بالمذهب الشيعي، منها: "أصل الشيعة وأصولها". انظر: ويكي شيعة، محمد حسين آل كاشف الغطاء.

(4) انظر: المقالات والفرق، القمي، ص28، وفرق الشيعة، النوبختي، ص18، وأصل الشيعة وأصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، ص221(184).

- أن هذا الرأي لا أصل له في الكتاب والسنة، وليس له سند تاريخي ثابت، بل هو رأي يجافي أصول الإسلام وينافي الحقائق الثابتة، فقد جاء الإسلام لجميع هذه الأمة على كلمة سواء، لا ليفرقه شيعاً وأحزاباً، ولم يكن بين يدي رسول الله ﷺ شيعة ولا سنة، قال تعالى:﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾آل عمران19.
- من الحقائق التاريخية المتواترة والتي تكشف خطأ هذا الرأي ومجانبته للحقيقة أنه لم يكن للشيعة وجود زمن أبي بكر وعمر وعثمان، أما إن كان المراد بالشيع حب آل البيت، ومنهم علي رضي الله عنه فهذا ما كان عليه الصحابة أجمعين، وأيضًا ما كان عليه الشيعة المتقدمون [1].

ب. استبعاد (عبد الله بن سبأ)[2] من أن يكون له دور في نشر هذه العقائد الفاسدة.

يحاول المستشرق (شتروتمان Strothmann) استبعاد أن يكون هناك دور لعبد الله بن سبأ في ادعاء حلول اللاهوت في الناسوت، مدعياً أن الروايات المتعلقة بعبد الله بن سبأ روايات غامضة، وهذا مخالف لما أورده العديد من العلماء عن عبد الله بن سبأ ومنهم ابن تيمية حيث قال: " قيل أول من أظهر ذلك –التشيع–عبد الله بن سبأ الَّذي كان يهوديّا فأسلم وكان ممَّن أَقام الفتنة على عثمان ثمَّ أظهر موالاة علي وهو من ابتدع الغلو في علي حتى ظهر في زمانه من ادّعى فيه الإلهية" [3]، وكذلك الذهبي، وابن حجر ذكرا أنه كان ضال مضل، من غلاة الزنادقة، ويحسبون أن علياً حرقه بالنار[4]، وذلك لأن له دورًا كبيرًا في إحداث الفتنة زمن عثمان رضي الله عنه، كما أنه كان يكذب على الله ورسوله، ويقع في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تدرج في إضلال الناس بداية بإظهار المحبة لآل البيت؛ ثم القول بوصاية علي رضي الله عنه، مستدلاً ببعض بالآيات؛ والأحاديث الدالة على فضل على رضي الله عنه، حتى بلغ به الأمر إلى القول بألوهيته [5]

---

(1) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج308/1.

(2) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية؛ يمني؛ قيل كان يهودياً وأظهر الإسلام؛ كان شراً من إبليس؛ نشر الضلالات والبدع بين العوام؛ من ذلك القول برجعة النبي ﷺ؛ وإظهار المحبة لآل البيت؛ ثم التدرج بذلك إلى القول بألوهية على، ويقال بأن على نفاه إلى المدائن حيث القرامطة؛ وغلاة الشيعة، ويقال أمر بحرقه. انظر: الأعلام، الزركلي، ج88/4، أخبار الشيعة ورواتها، الألوسي، ج1/ 21–23.

(3) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ج260/1.

(4) انظر: ميزان الاعتدال، الذهبي، ج427/2، لسان الميزان، ابن حجر، ج289/3–290.

(5) انظر: لسان الميزان، ابن حجر، ج289/3–290، أخبار الشيعة ورواتها، ج21/1–23.

ج. التألي على بعض شعراء المسلمين الأوائل.

ذكر المستشرق (شتروتمان Strothmann) أن أبا الأسود الدؤلي من الشعراء المائلين للتشيع، وقد ظهر تشيعه من خلال شعره الذي مدح فيه الإمام علي مدحاً بلغ الافتتان به، ويُرد على ذلك ما ورد في ترجمته وهي كالتالي :

- أبو الأسود الدؤلي من ساداتِ التابعين؛ وأعيانِهم؛ وفقهائهم؛ وشعرائهم؛ ومحدِّثيهم؛ ومن الدهاة حاضرِي الجواب؛ وهو كذلك عالم نحوي؛ وأول واضع لعلم النحو في اللغة العربية؛ وشكّل أحرف المصحف، ووضع النقاط على الأحرف العربية بأمر من الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، استخلفه ابن عباس ﷺ على البصرة لما خرج منها، فأقره علي بن أبي طالب، روى عن عمر وعلي وأبي بن كعب ﷺ وطائفة، وروى عنه ابنه أبو حرب ويحيى بن يعمر وابن بريدة وغيرهم [1]، وكان ثقة في حديثه[2]، والمقصود أنه كان من شيعة علي ﷺ أي أنه من أنصاره سياسياً في ذلك الوقت، ومن المعلوم أن التشيع الذي كان يتصف به من التشيع المعتدل الذي مضمونه تفضيل علي؛ وتقديمه على غيره، وهذا مخالف لما أحدثه الزنادقة كالنصيرية؛ والإسماعيلية من مغالاة وابتداع كدعوى النص والقول بالعصمة[3]، والتأليه، كما يحاول (شروتمانStrothman) أن يوهم.
- الشعر الذي استدل به الكاتب لا يدل على الافتتان بعلي ﷺ، أو تأليهه؛ بل مدحه كأي مادح.

النقد المنهجي:

خالف المستشرق شتروتمان R.Strothman المنهجية العلمية، وذلك من خلال:

أ. تصدير الأحكام بناء على فهمه لنصوص الشعر، متجاهلاً أهل اللغة العربية، وآراء الشعراء فيما أورده من شعر.

ب. التلاعب بالألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى، وذلك من خلال توجيه النص حسب المعنى الذي يريده، ويظهر ذلك من خلال اعتباره أن كلمات أبي الأسود الدؤلي – مولانا؛ وصينا– لعلي ﷺ هي كلمات تأليهية في حق علي ﷺ.

---

(1) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج الجوزي، ج6/ 97–98، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج4/81–86، والأعلام، الزركلي، ج237/3.

(2) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج7/ 99.

(3) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج17/ 446–448.

ومن خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى ضعف المستشرقين في اللغة العربية، رغم أنهم درسوها، وسعوا إلى إجادتها، إلا أن القصور لازال يلازم فهمهم لأسرارها.

ثانيًا: تشويه الشخصيات بنسبة الخرافات إليها:

يحاول المستشرقون الإعلاء من شأن بعض الأشخاص، خاصة إن كان له مذهب؛ وأتباع مخالفين للعقيدة الإسلامية الصحيحة، وذلك من خلال تمجيد كراماتهم لدرجة الغلو، حتى لو أدى ذلك لتشويه شخصيتهم، ويتضح ذلك من خلال النص الذي أورده (مارجليوث Margoliouth) فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (د. س. مارجوليوثD.S.Margoliouth) في مادة (القادرية)، قوله: "هناك نظرية تقول إن عبد القادر[1] يمارس تصاريفه في قبره كما كان يمارسها في حياته، ويذكره ابن تيمية ضمن الأولياء" [2]، يحاول المستشرق مارجوليوث Margoliouth إظهار عبد القادر بمظهر الإنسان الخارق، الذي يستطيع تدبير شؤون الناس وهو في قبره، موهماً أن ابن تيمية كان مؤيداً لذلك.

2. النقد العلمي للمضمون:

لا يمكن إنكار الكرامات التي أجراها الله تعالى على أيدي بعض الصالحين من أوليائه، وقد بين ابن تيمية أن هذه الكرامات لا تأتي صدفة، بل لابد للشخص الذي أجراها الله على يديه أن يتصف بالعديد من الصفات التي تؤهله ليكرمه الله بها[3]، ويرد على ما أورده المستشرق (مارجوليوث Margoliouth) النقاط التالية:

أ. موقف العلماء من كرامات عبد القادر الجيلاني.

اختلف العلماء في موقفهم من كرامات عبد القادر الجيلاني، وفي ذلك قال:

---

(1) عبد القادر الجيلاني: أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله جيلاني؛ أو الجيلي؛ أو الكيلاني، (470 هـ – 561 هـ)، وهو إمام صوفي؛ من كبار الزهاد وفقيه حنبلي، مؤسس الطريقة القادرية، لقبه أتباعه بـ"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد"، من مؤلفاته: "الغنية لطالب دين الحق"، و" الفتح الرباني". انظر: الأعلام، الزركلي، ج47/4، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، عبد القادر الجيلاني.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، مارجوليوث، مادة القادرية، ج25/.7983

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ص186–191، والنبوات، ابن تيمية 999–1003.

- العز بن عبد السلام: "إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر"(1)،

- ذكر الذهبي أن الجيلاني بالرغم من علو شأنه إلا أن عليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، كما هناك بعض الأمور المكذوبة عليه، وقد قال فيه: " ليس في كبار المشايخ من له أحوال؛ وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة (2)"

- لا شك أن الجيلاني لهُ فضل ودين وزهد، لكن هناك من هو أفضل منه في طبقته من أئمة المحدثين؛ والفقهاء بالاتفاق، فلو جاز منه ممارسة التصاريف في قبره لجاز أن تفعل في حق من هو أفضل منه كالخلفاء الراشدين، وإن كان يُذْكَرُ لَهُ كرامات، فإن صح منها شيء فكرامات الصحابة أعظم، ولم يذكر عنهم أنهم يساعدون الناس ويتصرفون بالأمور وهم في قبورهم، والشيخ عبد القادر برئ مما ينسبه له المستشرق، فلا ذنب له بما فعله أتباعه من بعده من اتخاذ قبره مزارًا للكفر والشركيات.

ب. **توجيه قول المستشرق مارجوليوث Margoliouth أن ابن تيمية عده من الأولياء.**

كان لابن تيمية موقف واضح للتفرقة بين أولياء الرحمن ؛ وأولياء الشيطان برز بالعديد من كتبه، فاعتبار ابن تيمية للجيلاني من أوليائه فمقصوده أولياء الله المؤمنون المتقون قال تعالى:﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ يونس63-62، سواء كان هذا الولي صوفياً، أو فقيراً، أو فقيهاً، أو عالماً، تاجراً، فالتقي هو من يعمل ما يحبه الله ويترك مالا يحبه (3)، لا كما يحاول المستشرق أن يوهم القارئ بأن ابن تيمية مؤيد للنظرية القائلة بممارسة الشيخ عبد القادر لتصاريفه في قبره.

كما أن ابن تيمية عندما قيل له إن الجيلاني ذكر أن من قرأ آية الكرسي؛ واستقبل جهته قُضيت حاجته، قال ابن تيمية في ذلك: "إن هذا لم يقله عبد القادر، ولم يأمر به، ومن

---

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج443/20.

(2) انظر: المرجع السابق، ج20/ 450-451.

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج11/21-22.

يقل مثل ذلك عنه فقد كذب عليه[1]"، وأيضاً وصفه بالشيخ المستقيم في قوله: " ولهذا كان الشيخ عبد القادر الجيلاني، ونحوه من المشايخ المستقيمين[2]".

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (مارجليوث Margoliouth) العديد من المغالطات المنهجية من أبرزها:

أ. التدليس في إيراد الحقائق، وذلك بالخلط بين ما يجريه الله على يد أوليائه الصالحين، وبين ما يجريه على يد أولياء الشيطان، وكذلك محاولته التأكيد على أقوال بعض المدلسين من أتباع عبد القادر الذين أوهموا الناس بأن الشيخ عبد القادر له قدرات خارقة في التحكم بالأمور وهو في قبره، رغم أن هذا أمر لا يقبله العقل، كما أن موقف أهل السنة والجماعة فيه واضح.

ب. نصرة أهل البدع والضلالات، ومن ذلك الإعلاء من التصوف البدعي، بنصرة أهله ومدعيه.

ج. استخدام طريقة الاستدلال الموهوم؛ الزائف بموقف ابن تيمية من الأولياء، وحصره موقفه في الأولياء الصالحين، متناسيًا موقفه من أولياء الشيطان، في حين أن ابن تيمية بيّن الفرق بين أولياء الله وبين أولياء الشيطان بالعديد من كتبه مثل: مجموع الفتاوى، النبوات وغيرهم، فكان يجدر (بالمستشرق مارجوليوث Margoliouth) توضيح ذلك.

د. التحيز لبعض الشخصيات، ومن ذلك ذكر الجانب الإيجابي لتلك الشخصية مع إغفال المآخذ عليها، كتحيز المستشرق لما ورد من مدح عن الجيلاني دون أن يذكر أن هناك من العلماء من بيّن أن عليه مآخذ[3]، أما ما ينسب له من أنه غياث المغيثين، وأنه النائب عن الله في إدارة الكون، وأنه القطب والغوث، وغيره فكل ذلك افتراءات باطلة نسبت له[4].

ثالثاً: ادعاء أن عقيدة المسلم الصحيحة هي عبارة عن مجموعة من العقائد الفاسدة :

اعتاد المستشرقون الصاق التهم الباطلة بالعقيدة الإسلامية، مستغلين لذلك شتى الطرق، ومن ذلك ادعاؤهم أن العقيدة الصحيحة هي مزيج من التنزيه؛ والتشبيه؛ والفناء الصوفي، وهذا ما بينه المستشرق (ماكدونالد Macdonald) بالنص التالي:

(1) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ج2/ 434.

(2) انظر: دقائق التفسير الجامع، ابن تيمية، ج295/2.

(3) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج451/20.

(4) انظر: عبد القادر الجيلاني بين أهل السنة والصوفية، المنهجي (موقع إلكتروني).

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد D.B.Macdonald) في مادة (الله جل جلاله)، قوله: "أما العقيدة ذاتها فنستطيع أن نقول بالإجمال إنها لم تتغير حتى الآن، وإن عقيدة كل مسلم اليوم تجمع مختلف المذاهب من تنزيه؛ وتشبيه؛ وفناء صوفي؛ على نسب متفاوتة"[(1)]، وبهذا النص يحاول المستشرق (ماكدونالد Macdonald) التلاعب بالألفاظ من خلال دعواه عدم تغير العقيدة إلى الوقت الحالي، موهماً أنها كانت، ولا زالت خليطًا من مذاهب مختلفة، قابلة للزيادة والنقصان حسب ميول الشخص.

2. النقد العلمي للمضمون:

حاول المستشرق (ماكدونالد Macdonald) بيان أن العقيدة الإسلامية في حقيقتها تجمع بين مذاهب مختلفة، بنسب متفاوتة، وهي المشبهة[(2)]، والمعطلة[(3)]، والفناء الصوفي[(4)]، وفي ذلك تجاوز للحد، ومغالبة للفكر، وتكذيب لحقيقة عقيدة المسلم الصحيحة، وقد أدحض علماء أهل السنة والجماعة هذه العقائد الفاسدة، كما يتضح فيما يلي:

أ. إهمال ذكر عقيدة المسلم الصحيحة كما وردت بالقرآن والسنة.

- العقيدة الصحيحة هي الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة والحسنة في أصول الدين وأمور الغيب وأخباره.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالد، مادة الله لفظ الجلالة، ج1030/4.

(2) المشبهة: (المجسمة) الذين غالوا في إثبات الصفات، فوصفوا الله بأن له جسماً؛ وجثة؛ وأعضاء وغير ذلك، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومنهم طائفة البيانية، و الهشامية من غلاة الشيعة. انظر: تخريج العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص45، ودرء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج250/2، والعرش، الذهبي، ج1/ 116-117.

(3) المعطلة: الذين نفوا عن الله ما وصف به نفسه؛ أو وصفه به الرسول ﷺ من صفات الكمال؛ زاعمين أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم؛ مخالفين المشبهة، وأول من قال بذلك الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان وتنسب إليه طائفة الجهمية؛ ثم تبعهم المعتزلة، والأشاعرة. انظر: تخريج العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص45، وإيضاح الدليل في قطع حجج المعطلة، الشافعي، ص34.

(4) الفناء الصوفي: هو الغيبة عن الأشياء أي زوال الرسوم بالكلية في عين الذات الأحدية مع ارتفاع الاثنينية وهو مقام المحبوبية، من ذلك فناء العلوم الرسمية، والحكم الفعلية بالعلوم اللدنية، والحكم الإلهية، وتبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية. انظر: معجم اصطلاحات الصوفية، الكاشاني، ص365-366، ومعجم مصطلحات الصوفية، الحفني، ص207-208.

- جميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال الله تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: 25، فالعقيدة الصحيحة هي الأساس الذي يقوم عليه الدين، وتصحّ معه الأعمال، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الكهف: 110، وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزمر: 65.

ب. ادعاء أن عقيدة المسلم هي مزيج من التشبيه والفناء.

لبيان مخالفة المستشرق للعقيدة الصحيحة لا بد من بيان ما يلي:

- المشبهة[1] ناقضوا أصل الإسلام بتشبيه الله ﷻ بالمخلوقات، وهذا ممتنع في حق الله، فالعقيدة الصحيحة تقوم على أساس تنزيه الله عن كل صفات النقص مطلقاً؛ ومنها الصفات المختصة بالمخلوقين، فالله ﷻ متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها، فالله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته؛ ولا في صفاته؛ ولا في أفعاله؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى11.

- كذلك المعطلة ناقضوا الإسلام، وما جاءت به الرسل بتعطيلهم لأسماء الله؛ وصفاته التي أوجبها لذاته، فبتعطيلهم يجحدون الرب، وما أخبر به عن نفسه على لسان رسله، فالتعطيل شر من التجسيم؛ والمشبه يعبد صنماً؛ والمعطل يعبد عدماً؛ وقال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفر من اليهود والنصارى[2].

بينما طريقة سلف الأمة تقوم على أساس وصف الله بما وصف به نفسه؛ وبما وصفه به رسوله؛ من غير تحريف؛ ولا تعطيل؛ ولا تكييف؛ ولا تمثيل؛ إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل؛ إثبات الصفات؛ ونفى مماثلة المخلوقات [3].

- أما الفناء الصوفي فيعد فكرًا دخيلًا على العقيدة الإسلامية، وقد رفضه أكثر علماء المسلمين، حيث يوجد شيء من معانيه صحيح؛ وشيء فاسد مخالف للعقيدة؛ وهذا ما تطرق له علماء الإسلام كابن تيمية، فقد بيّن أن الفناء بالعرف الصوفي يفسر بثلاثة أمور:

---

(1) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج2/ 310.

(2) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل، ص9، والعرش، الذهبي، ص87-92.

(3) منهاج السنة، ابن تيمية، ج310/2.

- فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب: والتوكل عليه وعبادته؛ والاستعانة به؛ وحده لا شريك له؛ فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد.
- فناء القلب عن شهود ما سوى الرب: هذا فناء عن العلم بغير الله والنظر إليه، فهذا الفناء فيه نقص، فإنه شهود الحقائق على ما هي عليه، وهو شهود الرب مدبراً العبادة، آمراً بشرائعه، أكمل من شهود وجوده، أو صفة من صفاته، أو اسم من أسمائه، والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك.
- فناء عن وجود السوى: بمعنى أنه يرى أن اللّه هو الوجود، وأنه لا وجود لسواه، لا به ولا بغيره، وهذا قول الاتحادية الزنادقة من المتأخرين كابن عربي والتلمساني ونحوهم، الذين يجعلون الحقيقة أنه عين الموجودات وحقيقة الكائنات، وأنه لا وجود لغيره، فهذا كفر وضلال(1).

وهذه مذاهب الطوائف التي انحرفت عن مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات، حاول المستشرق (ماكدونالد Macdonald) الالباس على القراء موهماً أنها العقيدة الصحيحة.

النقد المنهجي:

خالف المستشرق (ماكدونالد Macdonald) المنهجية العلمية بالعديد من الأمور، ومنها:

أ. تلبيس الحق بالباطل، وذلك بإيهام القارئ بأن ما يقوله صحيح ولا مغالطة فيه، وذلك بقوله أن العقيدة ذاتها لا تتغير، وهذا صحيح لا لبس فيه، أما ما أوضحه بعد ذلك فهو إشكال يلتبس على كثير ممن يجهل أساليب المستشرقين في دس المغالطات والمخالفات كمن يضع السم في العسل.

ب. مغالطة التعميم دون استثناء هذا هو ما استخدمه المستشرق هنا حين قال إن عقيدة كل مسلم تجمع كل المذاهب، وهي خليط من تنزيه وتشبيه وفناء صوفي بنسب متفاوتة، فهذا غير صحيح، إما أن يكون الأمر اختلط على المستشرق فلم يفرق بين المذاهب المخالفة للإسلام والتي قالت بالتشبيه، والفناء وغير ذلك من العقائد غير الصحيحة لمخالطته لمسلمين ينتهجون هذا النهج، وإما أن يكون ذا هدف من وراء ذلك، مقصده تشويه العقيدة الإسلامية الصحيحة بنسبة ما ليس فيها لها.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13/199-202.

ج. التلاعب بالألفاظ الموهمة التي تحتمل أكثر من معنى مثل استخدامه للألفاظ الآتية:

- "نقول بالإجمال": يوهم على أن هناك إجماعًا على قوله، كما أن العقيدة الإسلامية ليست مجملة بل جاءت مفصلة واضحة لكل مسلم.
- " لم تتغير حتى الآن": محاولة الإيهام بأن العقيدة قابلة للتغير.
- "على نسب متفاوتة" محاولة الإيهام بأن العقيدة ومبادئها وأسسها قابلة للزيادة والنقصان.

ومما سبق يُلحظ محاولات المستشرقين المستمرة في التشكيك بالعقيدة الإسلامية، وذلك من خلال استخدام الأساليب المغرضة مثل التلاعب بالألفاظ التي تلتبس على القارئ، وتوهمه بالمعاني المخالفة للحقائق.

المطلب الثاني: الإعراض عن استقصاء الآراء المختلفة في المسألة الواحدة.

عند إيراد مسألة معينة لتوضيح فكرة ما، لا بد من حصر الآراء الواردة في تلك المسألة، واستيفائها بالكلية، وذلك لتجنب الخلل في الحكم على المسألة، أو التحيز لرأي معين مجانب للصواب، أو مراعاة شيء يتلاءم مع هوى النفس.

وهذا ما سيتم فحصه؛ وتدقيقه في نصوص دائرة المعارف الإسلامية، من خلال ذكر النماذج الآتية:

أولاً: اختيار المعانِي التي تتناسب مع مرادهم :

من المعلوم أن مفردات الكلمات في اللغة العربية منها المترادف، والمتقاطع، والمتمايز، والمتباين؛ لذا من الخطأ التعامل مع الألفاظ ذات الجذر الواحد على أنها مترادفة المعنى، فلكل كلمة دلالاتها، ويتبع ذلك تفاوت في درجة فهم هذه الدلالات من شخص لآخر، لذلك يُعد تركيب اللفظة في جملة من أفضل الطرق لفهم معناها، حيث يسهم ذلك في إبراز معناها، لكن يُلحظ في دائرة المعارف الإسلامية أن بعض المستشرقين بسبب عجمتهم، وعدم فهمهم لدلالات الألفاظ العربية، أو لمقاصد يريدون تحقيقها، حادوا عن الفهم الصحيح لبعض مفردات اللغة، وفسروها حسب ما يروه مناسباً، ويتضح ذلك من خلال النص الذي أورده المستشرقان (بوهل Buhl وولت Welet) فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرقان(ف.بول[1]، ث.ولت[2] F.Buhl-OA.T.Welet) في مادة (محمد ﷺ)، قوله: " وبإمكان هذا السياق أن يقودنا إلى فهم أفضل لكلمة كثيرًا ما دار النقاش حَوْلها، وهى كلمة "أُمّي"، فحين تشير الآية 157 [3] من سورة الأعراف إلى محمد ﷺ على أنه النبي الأمي، فالظاهر أنها تعنى (الشخص الذى لم يبلَّغ من قبل بكتاب اللَّه)، أي: عكس أهل الكتاب الذين سبق أن تلقوا كتاب اللَّه بلسانهم، وقد كان محمد ﷺ أمياً قبل تلقيه الوحى لا بعده، ولا يؤثر هذا التفسير في نتيجة التساؤل عما إذا كان بمقدور محمد ﷺ أن يقرأ وأن يكتب، اللهم إلا إن كانت كلمة "أمي" تحمل في طياتها معنى عجزه عن قراءة الكتب المقدسة لليهود والنصارى، ولابد أن اشتغاله بالتجارة كان يستلزم قدراً من الإحاطة بقراءة العربية وكتابتها، وتشير الآيات 4 – 6 من سورة الفرقان إلى اتهام الكفار له بالافتراء ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾، الفرقان: 4–6، ولم تكتسب كلمة (أمي) معناها الشائع الآن (وهو الجهل بالقراءة والكتابة) إلا فيما بعد، وفى الدوائر الدينية، كتدليل على معجزة تلقى محمد ﷺ الوحى من اللَّه عن طريق جبريل عليه السلام "[4]، وهنا يحاول المستشرقان تفسير معنى كلمة أمي التي وردت في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ 157الأعراف، على حسب مفهومهم القاصر باللغة العربية، وجهلهم بتفسير القرآن الكريم، مُورِدان المعاني التي تناسب منهجهما الفكري، ومستبعدان المعاني التي وردت في الكتب الأصيلة.

---

(1) ف. بوهل F.Buhl : (1850–1932م) مستشرق دنماركي، درس اللاهوت، ونال الدكتوراه في النحو العربي وتاريخ اللغة، ودرس العبرية، وصنف العديد من البحوث عن أشعيا والمزامير، ولقد كتب عن الإسلام، خاصة القرآن وتاريخ النبي، من كتبه "تاريخ محمد". انظر: المستشرقون، العقيقي، ص845، ومستشرقون سياسيون– جامعيون–مجمعيون، حمدان، ص 163.

(2) ث. ولت OA.T.Wele : لم أجد له ترجمة.

(3) قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ الأعراف157.

(4) دائرة المعارف الإسلامية، بوهل Buhl وولت Welet، مادة محمد ﷺ، ج29/9120–9121،

2. النقد العلمي للمضمون:

بذل المستشرقون جهداً كبيرًا في تفسير معاني القرآن الكريم بما يتناسب مع خلفياتهم الفكرية، وجذورهم العقدية، متجاهلين المعاني الصحيحة لألفاظ؛ ومصطلحات القرآن الكريم، كما يتضح في النص السابق حيث يفسر (بوهل Buhl وولت Welet) معنى كلمة أمي تفسيرًا مخالفًا لحقيقته، مستنكران أن يكون معناها الجهل بالقراءة والكتابة، وفيما يلي توضيح للمفاهيم الخاطئة التي أورداها:

أ. الأُمِي كما وردت في قواميس اللغة العربية تعني أنه لا يكتب، أي منسوب لما عليه جبلة أمه، أي أنه وُلد لا يعرف الكتابة [1].

ب. إن المتأمل في كتب جهابذة التفسير يجد أنهم أوضحوا معنى كلمة أُمي بصورة لا يمكن أن تَخفى على المستشرقين، فقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية: قوله تعالى: "الأمي".. قال ابن عباس رضي الله عنه: "كان نبيكم ﷺ أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب"[2]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ العنكبوت48، وكما ذكر ابن كثير في تفسيره، قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ أي أنك قد مكثت سنين في قومك يا محمد قبل نزول القرآن، لا تعرف القراءة، ولا الكتابة؛ بل كل قومك، وغيرهم يشهدون بذلك، وهذا موافق لصفته في الكتب السابقة، كما أنه بعد نزول الوحي عليه كان له كُتّاب يكتبون بين يده الوحي والرسائل إلى الأقاليم، وقوله تعالى (إذا لارتاب المبطلون) أي: لو كنت تحسن الكتابة، لارتاب بعض الجهلة من الناس، وقالوا إنك تعلمت هذا القرآن من كتب قبلك مأثورة عن الأنبياء، وبالرغم من علمهم بجهلك بالكتابة، إلا أنهم اتهموك بأنك من كتب القرآن، مستعيناً بكتب السابقين،﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾الفرقان 5 [3].

ج. فسر القرطبي لفظة (الأُميين) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾الجمعة2، بأنها: الأميون الذين لا يقرأون، ولا يكتبون، وكذلك كانت قريش، كما

---

(1) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري الهروي، ج456/15، ولسان العرب، ابن منظور، ج14/12.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج351/13.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج258/6.

أن أُمية الرسول ﷺ فيها حكمة عظيمة، وهي: تحقيق بشارات الأنبياء، ومشاكلة أحوال قريش فيسهل موافقته، وأيضاً لنفي أي تهمة بأنه تعلم ما دعا إليه من كتب السابقين، وهذه الأمور دليل على صدق نبوته، ومعجزته[1].

ومما سبق يتضح محاولات المستشرقين (بوهل Buhl وولت Welet) الباهتة لإثبات عدم أُميّة النبي محمد ﷺ، بالرغم من أن شخصية محمد ﷺ غير مجهولة، فتفاصيل حياته معلومة قبل البعثة، وبعدها، وقد شهد له ألد أعدائه بالأمية، ومنهم أهل قريش.

النقد المنهجي:

ومن أبرز المخالفات المنهجية التي وقع بها المستشرقان (بوهل Buhl وولت Welet):

أ. التشكيك في الثوابت المعرفية الصحيحة عند الآخرين، ومن ذلك تشكيك المستشرقين (بوهل Buhl وولت Welet) في أمية النبي ﷺ، حيث يُعد ذلك مدخلاً للتشكيك في نبوته ﷺ ومعجزته، وكذلك فيه إثبات لفرضياتهم أن مصدرية القرآن الكريم هي الكتب السابقة المسيحية واليهودية، وهذا ما يحاول المستشرقون أن يؤكدوه بشتى الطرق.

ب. استخدام الكلمات التشكيكية في مقاله للتأكيد على ما يهدف لتحقيقه، من هذه الكلمات قوله: " فالظاهر أنها تعنى"؛ " ولابد أن اشتغاله بالتجارة كان يستلزم قدراً من الإحاطة بقراءة العربية وكتابتها".

ج. الإعراض عن استقصاء مفردات المصطلحات؛ والألفاظ القرآنية من مصادرها الأصيلة، وظهر ذلك جلياً بتجاوز كتب التفاسير الشهيرة الشائعة الانتشار، واستخدام الأساليب الموهمة في تفسيرها.

ومما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرقين لا يتوانون عن الطعن في النبي محمد ﷺ، ونبوته، ومعجزته – القرآن الكريم–، مستخدمين كثيرًا من الأساليب؛ والطرق، ومنها التشكيك في أُميته، وإيراد تفسيرات محرفة لكلمة (أمي) تناسب أهواءهم.

ثانياً: الخوض في القضايا الغيبية دون تمحيص:

من الإشكالات التي وقع بها العديد من المستشرقين أنهم حاولوا تفسير المسائل الغيبية؛ ومحاكمتها حسب قيمهم، ومقاييسهم الخاصة، وإخضاعها للنقد العقلي الذاتي متجاهلين المصدر

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج298/7.

الإلهي، ويتضح ذلك من النص الذي أورده (كارا ده فوCarra De Vaux) في تفسير مسألة (رؤية الله ﷻ):

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فو B.Carra De Vaux) في مادة (الجنة)، قوله :" وقد أقر علم التوحيد الإسلامي السني مشاهدة الوجه الكريم أو رؤية الله: فالغزالي يقول إن الله سُيَرى من غير هيئة أو صورة، وهذا الاعتقاد يبدو غير متمش مع القرآن، لأن الله في القرآن يكاد يكون محجوبًا دائمًا، فهو يدعو آدم دون أن يظهر له، وهو لم يره نوح، ولم ير إبراهيم "خليله " إلا ملائكته، وسأل موسى ربه أن يتجلَّى، فلما تجلَّى ربه للجبل خرَّ موسى صعقًا، حتى إذا أفاق من صعقه تاب وأناب، ولم ير محمد ﷺ نفسه الله، بل هو قد رأى جبريل عليه السلام، وذلك في حالة الغشيان المذكورة في سورة النجم، الآية 16 من القرآن، ولم يدرك سدرة المنتهى ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**﴾ وقد ورد في خبر ذكر في (مختصر العجائب) ص 9، أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام: "هل رأيت ربك؟ " فتململ الملك وأجاب: "أي محمد! إن بيني وبينه سبعين ألف حجاب من النور، إذا قربت من أحدها احترقت"، ولا يظهر الله في وصف القرآن للجنة، ولكنه مع ذلك حاضر يوم الحساب"(1)، في النص السابق يُبين المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) موقف الغزالي من مسألة(رؤية الله ﷻ)، دون أن يُفرق بين حقيقة الرؤية في الدنيا، والرؤية في الآخرة، وهذا من المغالطات التي سيتم الرد عليها فيما يلي:

2. النقد العلمي للمضمون:

يحاول المستشرق إثارة بعض القضايا العقدية التي شغلت عقل فرق المسلمين، وهي مسألة (رؤية الله ﷻ)، ولا يمكن إنكار أن هذه المسألة من المسائل التي كثر الجدل حولها بين علماء الفرق، وأخذ كل فريق يؤيد مذهبه بأدلة يزعم أنها تؤيد ما يذهب إليه من إثبات الرؤية أو نفيها، ومن أشهر مذاهبهم في ذلك:

أ. السلف يذهبون إلى إثبات ما أثبته رسول الله ﷺ لله ﷻ إثباتاً حقيقياً، كما دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على صحة وقوعها يوم القيامة، ولقد ثبت إجماع السلف والأئمة أن الله تعالى يرى في الآخرة، ومن جحد ذلك فهو كافر(2)، كما وضح ابن القيم أن رؤية الله هي خير ما وعد الله به عباده المؤمنين، أهل محبته، فهي أقصى غاياتهم التي

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الجنة، كارا ده فوCarra De Vaux، ج3244/11.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج486/6.

يتنافسون عليها؛ بل هي كمال النعيم في الدار الآخرة[1] لا يشك في صحة وقوعه إلا أهل البدع والضلالات.

ومن تلك الأدلة التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى﴿ : **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ القيامة 22-23، وقوله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ يونس 26، وفسرت الزيادة بأنها النظر إلى الله تعالى كما ذهب إليه علماء السلف، وقوله تعالى: ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ، ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾المطففين 15-17، وفي ذلك يقول الدارمي: إن هذه الآية دليل أن الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الله ﷻ، وأن أهل الجنة غير محجوبون عنه[2]، ومن أدلة السنة ما جاء عن جرير قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: {إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا} [3].

والخلاصة مما سبق أن مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة تُعد عند السلف أمراً معلوماً من الدين بالضرورة لا يشكك فيها أحد منهم، خلافًا لما يروج له المستشرقون بهدف التشكيك بالثوابت المعرفية في العقيدة الإسلامية.

ب. ممن أنكر رؤية الله ﷻ؛ ويحرفها عن حقيقتها أهل الضلالات، والبدع كالجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وغيرهم، حيث يزعمون عدم رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة، وإنكارهم ناجم عن شبههم العقلية من أن إثبات الرؤية يلزم منه إثبات جهة لله تعالى، وفي معتقدهم الله ليس في جهة، فهو عندهم لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة، وهذا أبطل الباطل، لأن ذلك يقتضي أن يكون عدماً لا وجود لله ﷻ [4]، ويظهر من خلال ما ساقه المستشرق (كارا ده فوCarra De Vaux) من الأدلة موافقته للفِرق التي تدعي عدم رؤية الله في الآخرة.

---

(1) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص59، وحادي الأرواح، ابن القيم، ص285.

(2) الرد على الجهمية، الدارمي، ج102/1.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مواقيت الصلاة/ باب فضل صلاة العصر، 115/1، حديث رقم 554.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج336/6-337، 391.

ج. عد المستشرق (كارا ده فوCarra De Vaux) المذهب السني هو المذهب الأشعري، وقد بيَّن ذلك خلال مقاله[1]، ومن المعلوم أن مذهب السلف أثبت الرؤية كما سبق بيانه، في حين أن الأشاعرة أرادوا الجمع بين رؤية الله، وبين نفي الصفات "الجسمية" عن الله فوقعوا في تناقض ظاهر وأضحكوا الناس على عقولهم، وفي ذلك قال ابن رشد: "وأما الأشعرية فراموا الجمع بين الاعتقادين أعني بين انتفاء الجسمية وبين جواز الرؤية لما ليس بجسم بالحس فعسر ذلك عليهم ولجؤوا في ذلك إلى حجج سوفسطائية مموهة أعني الحجج التي توهم أنها حجج وهي كاذبة"[2]، كذلك قال ابن تيمية: "حتى إن أئمة الأشعرية المتأخرين كأبي حامد وابن الخطيب وغيرهما لما تأملوا ذلك عادوا في الرؤية إلى قول المعتزلة؛ أو قريب منه؛ وفسروها بزيادة العلم كما يفسرها بذلك الجهمية والمعتزلة وغيرهم وهذا في الحقيقة تعطيل للرؤية الثابتة بالنصوص والإجماع ، والمعلوم جوازها بدلائل المعقول بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لا يمكن تعلقها به"[3].

النقد المنهجي:

وقع المستشرق(كارا ده فوCarra De Vaux) في مخالفات منهجية من أبرزها:

أ. الإعراض عن استقصاء الآراء الواردة في المسألة، مكتفياً بالاستدلال برأي الغزالي دون عرض جميع الأقوال التي ذكرت مسألة الرؤية، ومناقشتها

ب. تجزئة الأقوال والأفكار، ومن ذلك تجزئة قول الغزالي: "بأن الله سيُري على غير هيئته أو صورته"، فهذا نقل مقطوع، حيث لم يورد المستشرق المسألة والآراء فيها كاملة، فهنا قول الغزالي مبني على اعتقاده بأن الله موجود في كل صورة، مع العلم بأن الغزالي كان قد اختلط عليه الأمر ثم رجع عن ذلك القول، واتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة بأن الله متباين عن خلقه، ولا يمكن رؤيته بالدنيا.

ج. قصور الفهم عن إدراك دلالة النص، ويتضح ذلك من الأدلة التي أوردها المستشرق(كارا ده فوCarra De Vaux)، يريد وراء إيرادها إثبات عدم رؤية الله ﷻ في الدنيا والآخرة، في حين أن المقصد بها نور الله فالأنبياء لم يروا الله ذاته في الدنيا.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الجنة، كارا ده فو، ج3243/11.

(2) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ج438/2.

(3) المرجع السابق، ج435/2.

د. الاستنتاجات المغلوطة التي تنتج عن عدم الفهم الصحيح لبعض المسائل، ومن ذلك فهم المستشرق الخاطئ للمستشرق لمسألة رؤية الله أوقعه في خطأ ما توصل إليه، فهو لم يفرق بين رؤية الله في الدنيا ورؤيته بالآخرة.

هـ. الاستدلال بمصادر غير تخصصية، ومن ذلك استدلاله بحديث منقول من كتاب مختصر العجائب[1]، دون الرجوع للمصادر الأصيلة للتأكد من صحة نقله، وهذا مخالف للمنهج العلمي لأن استشهاده كان بحديث ضعيف[2].

خلاصة ما سبق يُلحظ أن المستشرقين لجأوا إلى أسلوب الانتقائية في عرض الآراء في بعض المسائل، فلم يسردوا جميع الآراء ويناقشوها، ثم يرجحوا الأصح؛ بل اختاروا ما يناسب أهدافهم، وأحياناً تركوا المسألة دون بيان، وتأصيل للتلبيس على القارئ.

ثالثاً: التلبيس في بيان حقيقة الذكر.

يحاول بعض المستشرقين إعطاء التصوف البدعي نوعاً من الشرعية، وذلك من خلال تمجيد أهله، والإشادة بأفعالهم باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الإسلام حسب زعمهم، كما أن المطلع على دائرة المعارف الإسلامية يجد أنها أوردت بعض المواد تتعلق بهم مثل مادة (تصوف) [3]، (حضرة) [4]، (قطب) [5]، (الحلاج) [6]، (أبو يزيد البسطامي) [7]، (أحمد البدوي)[8]، وغير ذلك، للتأكيد على شرعيته، ويؤكد ذلك النموذج التالي:

---

(1) مختصر عجائب الدنيا: من تأليف إبراهيم بن وحيد شاه،(ت:599هـ)، يعد من كتب الأدب الشعبي، أورد فيه العديد من القصص؛ والخرافات؛ والأساطير، تكلم فيه عن عجائب الأرض؛ وجبالها؛ وسهولها؛ وغرائب البحار ؛ والمحيطات؛ وتكلم أيضاً جوله في السموات ؛ وبين الكواكب، وتكلم عن عجائب التماثيل والأصنام، وغير ذلك، انظر: مختصر عجائب الدنيا، تحقيق: سيد كسروي حسن، ص5-7.

(2) انظر: السنة لابن أبي عاصم، ومعها ظلال الجنة للألباني، ج367/2، ومسند أبي يعلى الموصلي، 520/13، حديث رقم 7525.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، ج2214/7.

(4) المرجع السابق، ج4045/13.

(5) المرجع نفسه، ج8345/27.

(6) المرجع نفسه، ج4221/14

(7) المرجع نفسه، ج431/2.

(8) دائرة المعارف الإسلامية، ج474/2.

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماسينيون LouisMassignon) في مادة (تصوف[1])، قوله: " وينشد الصوفية في حلقاتهم أشعارًا خاصة، وقد ترعرع هذا الأدب الذي هو من خصائص الإسلام في كل مكان وغزر إنتاجه إلى حد بعيد، ولكنه لا يخلو من جفوة وإملال، فهو يتوسل بفنون البلاغة إلى إحداث ضرب من التواجد في نفوس المستمعين إليه[2] "، لا يكل المستشرقون عن التلبيس في عرض الحقائق الشرعية، ومن المغالطات التي أوردها المستشرق (ماسينيون Massignon) اعتبار أذكار الصوفية من خصائص الإسلام،، معبراً عن عدم فهمه لهذه الأذكار، لصعوبة ألفاظها، وسيتم الرد على ادعائه على النحو التالي:

النقد العلمي للمضمون:

من الواضح أن العديد من المستشرقين وغيرهم لم يفرقوا بين تصوف الأوائل الذي يُعنى به الزهد؛ والعبادة؛ ومعالجة آفات النفس، المقيد بالكتاب والسنة [3]، وبين التصوف البدعي [4]، الذي يقوم على الغناء المحرم وهو ما يسمى بالسماع عندهم، والوجد، وغير ذلك [5]

ومن خلال نص المستشرق ماسينيون Massignon يُلحظ أنه:

أ. عدّ الأناشيد والأشعار التي يقيمها الصوفية خلال حلقاتهم التي تعرف بالحضرة[6] من خصائص الإسلام، في حين أن العلماء قد وقفوا موقفاً رافضاً، وفي ذلك قال الجُنيد: "إذا رأيت المُرِيد يُحِبُّ السَّمَاع فَاعْلَمْ أَن فِيهِ بقِيَّةً مِنَ البَطَالَة[7]"، وأيضاً قال الشنقيطي: مَذْهَبُ

---

(1) لفظ التصوف لم يكن معروفاً في صدر الإسلام، بل هو لفظ محدث، ودخيل على الإسلام، أول ظهور له بالبصرة نتيجة المبالغة في الزهد والعبادة، أما استخدام هذا اللفظ بدل الزهد من باب المجاراة، وليس من باب الإلزام، للتفريق بين زهد الأوائل؛ والتصوف البدعي. انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص145-147، ورسالة الصوفية والفقراء، ابن تيمية، ص1.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ماسينيون LouisMassignon، مادة تصوف، ج2224/7.

(3) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص12، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج3/ 337.

(4) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص327-329.

(5) انظر: موازين الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، علي الوصيفي، ص110-114.

(6) الحضرة: مصطلح عند الصوفية، يعني حضور القلب مع الله، وهي ركن هام، كما أنها متوارثة، وهذا الركن هو الاجتماع على ذكر الله ﷻ تحت إدارة الشيخ، أو وكيله، يكون الذكر بشكل جماعي، جهراً وقياماً بشكل إيقاعي، وتستخدم خلالها الدفوف، وبعض الآلات الموسيقية. انظر: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية، يوسق خطّار محمد، ص171-172.

(7) الاعتصام، الشاطبي، ج134/2.

الصُّوفِيَّةِ بَطَالَةٌ وَجَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَمَا الْإِسْلَامُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَمَّا الرَّقْصُ وَالتَّوَاجُدُ: فَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَهُ أَصْحَابُ السَّامِرِيِّ لَمَّا اتَّخَذَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ، قَامُوا يَرْقُصُونَ حَوَالَيْهِ، وَيَتَوَاجَدُونَ، فَهُوَ دِينُ الْكُفَّارِ وَعِبَادَةُ الْعِجْلِ. وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يحضر مَعَهُمْ، وَلَا أَنْ يُعِينَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ. هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ[1]".

ب. أما الذكر من حيث الأصل، فقد شرع لنا النبي ﷺ ذكر الله بأذكار مخصوصة في أوقات معلومة، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ آل عمران41 دون أن يصحب ذلك رقص أو موسيقى، بل وصف الله الذاكرين باطمئنان قلوبهم وخشوعهم، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ الرعد28، كما أن السلف كانوا إذا سمعوا القرآن خشعوا، وبكوا، واقشعرت جلودهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الأنفال2، كما ذكر المستشرق (ماسينيون Massignon) صعوبة الأذكار التي يتغنى بها الصوفية، للتكلف البلاغي فيها، فينتج عنها ملل وجفاء عند ترديدها.

النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (ماسينيون Massignon) ما يلي:

أ. الإعراض عن ذكر آراء الرافضين للتصوف في مسألة الذكر وهم كثيرون، والإيهام في عرض المسألة بأن هناك رأيًا واحدًا وهو رأي المجيزين، وأن التصوف البدعي خاصية من خصائص الإسلام.

ب. الخلط في عرض المضامين، حيث قام بالخلط بين الزهد المشروع عند أهل السنة والجماعة، وبين التصوف البدعي الذي ظهر بعد ذلك.

ج. إيراد ألفاظ المدح والثناء، والتعميم، للإيهام بأن هذا الفكر، والسلوك مقبول عند عموم المسلمين، مثل قوله:" في كل مكان وغزر إنتاجه إلى حد بعيد" و" إحداث ضرب من التواجد في نفوس المستمعين إليه"، فيه تمجيد لأهل البدع والضلال، وترويج لأفعالهم.

ومما سبق يتضح اهتمام المستشرقين بالفرق المخالفة للإسلام، وسعيهم إلى تمجيد بدعهم، وانحرافاتهم، ومحاولة إلصاقها بالإسلام، مع سكوتهم عن موقف الإسلام من هذه البدع

(1) الجموع البهية للعقيدة السلفية، الشنقيطي، ج2/715-716.

والانحرافات، بهدف تشويه الإسلام، والتشكيك في العقائد الإسلامية، كما أنهم استخدموا الأسلوب الانتقائي في التعامل مع آراء العلماء في المسألة الواحدة، مخالفين بذلك المنهجية العلمية، وترتب على ذلك أخطاء بما توصلوا له من نتائج.

المطلب الثالث: تجزئة المسائل الخلافية للإيهام بالمعان الفاسدة.

إن الخلاف وتعدد وجهات النظر سنة من سنن الله في خلقه، وذلك أن الله ﷻ خلق عباده على تفاوت في الإدراك والمفهوم، قال سبحانه :﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يونس: 19، والخلاف ليس مذمومًا بإطلاق، وإنما يكون مذمومًا إذا كان في أصول مجمع عليها لا تحتمل التأويل، أو في قطعيات معلومة من الدين بالضرورة ونحو ذلك، والمنهجية العلمية الصحيحة تتطلب الإحاطة الكاملة بالمسائل الخلافية، وبيان أوجه الخلاف، وطبيعة الخلاف في المسألة، حتى لا يترتب على ذلك خلل في الحكم، ومغالطة في النتيجة أو إبطال حق وإحقاق باطل.

وبتتبع بعض نصوص المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، يُلحظ أنهم يجزؤون المسائل الخلافية، وينتصرون لبعضها، ويبطلون بعضها، وذلك للإيهام بالمعانِ الفاسدة التي تخدم أهدافهم، ومن نماذج ذلك:

أولاً: ادعاء أن الإسلام أقر استخدام السحر.

حاول العديد من المستشرقين استغلال المسائل الخلافية في الشريعة الإسلامية، وذلك من خلال تجزئتها؛ ونصرة الجانب الذي يحقق أهدافهم من وراء هذه التجزئة، وفي النصوص التالية يُلحظ استغلال (ماكدونالدMacdonald) للخلاف في مسألة (السحر)، و(الجن) في إقرار بعض المغالطات كما يلي:

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق (ماكدونالد D.B.Macdonald) في مادة (جن)، قوله: " من الطبيعي جداً أن يكون الانتقال إلى هذا الباب، قد جاء عن طريق استخدام الجن في السحر، فقد أقر الفقه الإسلامي دائماً مثل هذا الاستخدام، وإن كان الاختلاف في شرعيته، فصاحب الفهرست يتتبع الأنواع المباحة وغير المباحة إلى الأزمنة القديمة [1] "، وكذلك أورد في مادة (سحر)،

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالدMacdonald ، الجن، ج3232/11.

قوله: " ويختلف الدين والسحر من حيث مكانتهما فالدين دائماً هو الأسمى، وهو العقيدة المسلم بها، على أنه يقوم بين ما هو ديني قطعاً وما هو سحري قطعًا حشد من أصول صفتها غير محددة، مثل "السحر الأبيض"، لا تبلغ مبلغ الدين من حيث اعتراف الناس بها، ولا لقى من الذم ما تلاقيه الأشياء التي لا جدال في أنها من السحر، وهذا يصدق تماماً على جماهير المسلمين، وعلى من نستطيع أن نسميهم المسلمين السنيين بصفة عامة، ذلك أن الإسلام يقول صراحة بالخوارق [1] " وفي موضع آخر يقول: " ثم أخذ الإسلام فيما بعد يرد السحر المشروع جميعًا، أو قل السحر الأبيض، إلى سليمان[2] "، يدعي المستشرق (ماكدونالد Macdonald) إقرار الفقه الإسلامي للسحر، رغم وجود من يخالف ذلك من أهل البدع الذين يدعون وجود سحر مباح، وآخر غير مباح، كما غالط المستشرق بمساواته بين السحر والدين، وذلك بادعائه وجود عوامل مشتركة بينهما، دون أن يفرق بين الخوارق المشروعة، والممنوعة، معمماً قبول المسلمين لتلك الخوارق، مستدلاً على ذلك بما كان يجريه الله على يد نبينا سليمان ﵇، ويُرد على مغالطاته ما يلي:

2. نقد العلمي للمضمون :

وقف الإسلام موقفاً حاسماً من السحر، فحرّم تعلمه؛ وتعليمه؛ وممارسته، وذلك لما يترتب عليه من ضرر، يصيب عقل، أو قلب، أو بدن المسحور، كما أنه يعطل تفكير بعض بسطاء الإيمان فيعتقدون بأن للساحر قدرات خارقة، تتدخل في مشيئة الله، مع العلم بأن الساحر لا يتم فعله إلا بإذن الله، حكمته، وفيما يلي إيراد مغالطات المستشرق، والرد عليها:

أ. ادعاء إقرار الفقه الإسلامي للسحر مخالف لنصوص الكتاب والسنة.

ذكر المستشرق (ماكدونالد Macdonald) في النص السابق إقرار الفقه الإسلامي للسحر، مخالفاً بقوله نصوص الكتاب والسنة، كما يتضح فيما يلي:

- الأدلة من القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ البقرة102، أي: لا تكفر بتعلُّم السحر، ويؤكد أن تعلُّمه ضرر لا نفع فيه قوله :﴿ **وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ**

(1) المرجع السابق، السحر، ج5578/18.

(2) المرجع نفسه، السحر،ج5583/18.

وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ فدلَّت الآية على تحريم السحر، وعلى كفْر الساحر، وعلى ضرر السحر على الخلق[1].

- الدليل من السنة: قول النبي ﷺ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ..."[2]، فقد قرن السحر بالشرك بالله، وهذا يدلُّ على عِظم جريمة السحر، كما عدَّه من السبع الموبقات التي نهى عنها، لكونها تُهلك فاعلَها في الدنيا، لما يترتَّب عليها من الأضرار الحسية والمعنوية، وتهلكه في الآخرة، بما يناله بسببها من العذاب الأليم.

ب. الغموض في بيان مفهوم السحر وحقيقته:

ذكر المستشرق (ماكدونالد Macdonald) أن هناك أنواعًا من السحر منها المباح، ومنها المذموم، مستدلاً برأي ابن النديم، ومن المعلوم أن ابن النديم اعتزالي شيعي المذهب[3]، فرأيه بالسحر مبني على مذهبه الذي ينتمي إليه، لذا لابد من التنويه على الخلاف بين المذاهب في التعريف الاصطلاحي للسحر، الذي على أساسه ذكر ابن النديم أنواع السحر:

التعريف الأول: عرفه أهل السنة والجماعة[4] منهم ابن قدامة[5] بأنه رقى وعقد لها تأثير واضح على القلب والبدن، فيسبب المرض وقد يؤدي للقتل، كما أنه يفرق بين المرء وزوجه وغير ذلك[6]، وقد أكد جمهور العلماء على أن للسحر حقيقة[7]، كما تؤكد ذلك الآية التي استدلوا بها (آية البقرة102) استدلالهم بها صحيح حيث إن وجه الدلالة في الآية إخبار الله ﷻ

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/453-454.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الوصايا/ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء10، 10/4، حديث رقم2766، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان الكبائر وأكبرها، 92/1، حديث رقم 89.

(3) انظر، الأعلام، الزركلي، ج6/29.

(4) انظر: المغني، ابن قدامة، ج12/ 299-302..

(5) ابن قدامة: أبو الفرج، عبد الرحمن بن قدامة المقدسي الحنبلي، شمس الدين (597-682هـ)، إمام؛ ومفتي، ذو علم وافر، متواضع، حسن الاعتقاد، مجلسه معمور بالفقهاء والمحدثين، له مؤلفات منها: المغني، الكافي، المقنع، العمدة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج16/ 150-151، والأعلام، الزركلي،ج6/130.

(6) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي، ج4/64

(7) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج10/222، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2/44، 46، والتفسير القيم، ابن القيم، ص627-630.

فيها أن للسحر آثاراً محسوسة كالتفريق بين المرء وزوجه، وأن له ضرراً مباشراً لا يحصل إلا بمشيئته تعالى، وهي آثار محسوسة لا يمكن إنكارها، وهذا دليل على أن للسحر حقيقة، وليس مجرد خُدَع وتخيلات كما يوهم بعض الناس، والواقع المشاهد يقرر هذا ويؤيده.

التعريف الثاني: عرفه المعتزلة منهم أبو بكر الرازي[1] المعتزلي بأنه مجرد خدع وتمويهات وتخييل على غير حقيقته[2]، فلا تأثير له بمرض، ولا عقد، ولا غير ذلك، وتعريفه هذا قائم على مذهب من لا يرى أن للسحر حقيقة، فإنهم يجعلون السحر نوعاً واحداً وهو سحر التخييل[3]، ويؤكد هذا الرأي أئمة المعتزلة منهم القاضي عبد الجبار المعتزلي[4]، وعلماء الماتريدية، منهم أبو منصور الماتريدي[5]، وكذلك ابن حزم مستدلًا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾طه:66[6]، ويرد عليهم بأن الاستدلال بهذه الآية مدفوع إذ ليس فيها أن السحر لا يكون إلا من قبيل التخييل؛ بل غاية ما تدل عليه الآية أن سحر السحرة في زمن فرعون والذي وقع في ذلك الموطن كان من ذلك القبيل، لا أن كل أنواع السحر كذلك [7].

ج. عدم القدرة على التفريق المعجزات (خوارق العادات) والسحر.

يُلحظ أن المستشرق (ماكدونالد Macdonald) يذكر أن هناك استخدامات مشروعة، ومباحة للسحر– السحر الأبيض– عن طريق تسخير الجن، مستدلاً باستخدام سليمان عليه السلام للجن، معتبرًا أن السحر كخوارق العادات التي يجريها الله على يد أنبيائه، وأوليائه الصالحين، دون أن يفرق بين الخوارق التي يجريها الله على يد أولياء الشيطان، مع العلم أنها لا تحصل لهم إلا بإذنه، وما هي إلا استدراج لهم من الله تعالى.

---

(1) أبو بكر الرازي: أحمد بن علي الرازي الحنفي، الإمام العلامة المفتي المجتهد، صاحب التصانيف، قيل إنه كان يميل للاعتزال، وفي تواليفه ما يدل على ذلك في رؤية الله وغيرها، (ت: 370هـ).انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج344/12.

(2) انظر: أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص، ج50/1.

(3) انظر: حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة، عواد بن عبد الله المعتق، ص156

(4) انظر: متشابه القرآن، القاضي عبد الجبار، ص172.

(5) انظر: لتوحيد، الماتريدي، ص209.

(6) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج5/ 4-5.

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج302/5-303.

ومما لا شك فيه أن ما أجراه الله على يد نبيه سليمان ﷺ من المعجزات لا علاقة له بالسحر[1]، بل مُلك وهبه الله تعالى له استجابة لدعائه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ، هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ص35-40.

3. النقد المنهجي:

من أبرز مخالفات المستشرق (ماكدونالد Macdonald) المنهجية للمنهج العلمي ما يلي:

أ. تجزئة المسائل الخلافية، باختيار ما يحقق هدف المستشرق، وكذلك استخدام أسلوب الإقرار في سردها كأنها حقيقة لا خلاف عليها.

ب. الرجوع إلى مصادر غير متخصصة، ككتاب الفهرست لابن النديم المعتزلي لبحث المسائل الشرعية مثل مسألة السحر، وترك المصادر الأصيلة كالكتاب والسنة وكتب ثقات أهل العلم التي تمثل مذهب أهل السنة والجماعة.

ج. استخدام الألفاظ الموهمة، التي تؤكد هدفه الاستشراقي بإثبات مشروعية السحر، ومنها قوله:

- "الأنواع المباحة وغير المباحة" موهماً أن هناك سحرًا مباحًا دون أن يورد دليلًا على قوله".
- "ويختلف الدين والسحر من حيث مكانتهما" موهمًا أن السحر له مكانة في الدين لكنها أقل"
- "ولا لقى من الذم ما تلاقيه الأشياء" موهمًا أن السحر له قبول عند الناس، دون أن يوضح أن قبوله عند الجهلة من المسلمين ضعاف الإيمان".
- "ثم أخذ الإسلام فيما بعد يرد السحر المشروع جميعًا، أو قل السحر الأبيض، إلى سليمان" يحاول ربط السحر بسليمان ﷺ لإعطائه مزيداً من الشرعية الدينية".

---

(1) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج3/388-390.

ثانياً: التخليط بين المذاهب للطعن بعقيدة القدر.

حرص المستشرقون على انتهاز المسائل الخلافية بين الفرق، لبث شبهاتهم التي تخدم أهدافهم من طعن؛ وتشكيك بالعقيدة الإسلامية، مستخدمين بعض الأساليب التي تلبس على القارئ، وتوهمه بصحة ما يوردونه، وبمتابعة ما أورده (كارديهGardet) يتضح ذلك.

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارديه L.Gardet) في مادة (الله جل جلاله)، قوله تحت عنوان: "أفعاله تعالى، مشكلة العدل والجزاء: "أتى القرآن بالحقيقتين الكبيرتين، وهما قدرة الله على كل شيء ومسؤولية الإنسان، وأن الصالحات يثاب عليها والطالحات تجازى، وقد جاهد المفكرون المسلمون بلا كلل لإيجاد حل لهذا التناقض الظاهر[1] " – ثم ذكر موقف كل من المعتزلة والأشاعرة من المسألة–، يحرص المستشرقون على إبراز مواضع الخلاف بين الفرق، ومحاولة استغلالها، وبالنص السابق يحاول المستشرق (كارديهGardet) بيان أن هناك تناقضًا بين قدرة الله، ومسئولية الإنسان، وأن هذا التناقض سعى المفكرون – وهم المعتزلة والأشاعرة – دون كلل لحله.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المغالطات التي يستمر المستشرقون في الوقوع فيها عدم الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية، وتأويل المعاني تبعاً لفهمهم القاصر، وكذلك استمرارية تغاضيهم، وتغافلهم عن الاختلاف الواقع في العديد من المسائل بين المذاهب الأخرى مثل المذهب الأشعري والمعتزلي وغيرهم عن المذهب الصحيح مذهب السلف الصالح، ومن المعلوم كما سبق بيانه أن مذهب السلف في القدر لا يتنافى مع إثبات أن للإنسان قدرة وإرادة على اختيار أفعاله، وهو يثاب ويعاقب على اختياره، وهذا لا يتناقض مع خلق الله لهذه الأفعال وقدرته عليها، فهي لا تتم إلا بمشيئته تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّه﴾ الإنسان 30، فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا[2]، فالله هو خالق العبد؛ وقدرته، وإرادته، فعن ابن عباس ﷺ { أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللهُ

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، كارديه Gardet، ج4/1110–1111.

(2) شفاء العليل، ابن قيم، ج1/44.

وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ}[1]، قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ التكوير29 [2].

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أورها المستشرق كارديه Gardet ما يلي:

أ. ادعاء التناقض بين حقائق القرآن الكريم، وسعي العلماء لحل هذا التناقض، وهذا مدخل عظيم للتشكيك في القرآن الكريم.

ب. تجزئة المسائل الخلافية، وانتقاء الأجزاء التي تناسب أهدافهم، ومن ذلك إيراد المستشرق شبهة (خلق أفعال العباد) التي أوضح إشكالها جهابذة من أهل السنة والجماعة، فكان من باب أولى أن يرجع المستشرق للمصادر المتخصصة حتى تتضح أمامه المسألة.

ويُتوصل مما سبق أن المستشرقين حاولوا استغلال المسائل الخلافية بين المسلمين، لتحقيق غاياتهم من إضعاف الصف المسلم، وزعزعته، وذلك بتجزئة تلك المسائل، وتفسيرها بتفسيرات تحيلها إلى معانٍ مخالفة يترتب عليها نتائج وأحكام خاطئة.

ثالثاً: الطعن في الإجماع.

يعد الإجماع المصدر الثالث من مصادر التشريع، بعد القرآن الكريم؛ والسنة النبوية، فهو أصل من أصول الدين، وحجة قطعية يجب العمل به، ويحرم مخالفته [3]، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء115، وكذلك لا يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ[4]، لكن بعض المستشرقين يحاولون التشكيك بالإجماع ونزع الشرعية منه، وهذا على النحو التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد Macdonald) في مادة (إجماع) قوله: " وبفضل الإجماع أصبح ما كان في أول أمره "بدعة" (أي فعلة مخالفة للسنة وبذلك تكون ضلالة) أمرًا مقبولًا نسخ

---

(1) السنن الكبرى، النسائي، ج362/9، حديث رقم 10759، والأسماء والصفات، البيهقي، ج364/1، حديث رقم293.

(2) انظر: شفاء العليل، ابن القيم، ج45/1.

(3) انظر: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، ابن حزم، ص9.

4))انظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى، ص1058.

السنة الأولى، فالتوسل بالأولياء مثلًا صار عمليًا جزءًا من السنة [1] "، وهنا يدعي المستشرق (ماكدونالد Macdonald) أن (الإجماع) كان له دور كبير في تحويل البدع إلى جزء لا يتجزأ من السنة النبوية، ومن تلك البدع التوسل بالأولياء، مزيفاً بدعواه هذه عدد من الحقائق، وسيتم توضيح تزييفه كما يلي:

2. النقد العلمي للمضمون:

تعددت أوجه المغالطات في المضمون على النحو الآتي:

أ. ادعاء نصرة الإجماع للبدع:

يدعي المستشرق (ماكدونالد Macdonald) أن الإجماع كان له دور بارز في قبول البدعة، واعتبارها جزءًا من السنة، وهذا خلاف الواقع، ويرد على هذا الادعاء ما يلي :

أنه ربما التبس الأمر على المستشرق فلم يفرق بين إجماع السابقين الأولين، وبين إجماع المتأخرين:

- من المعلوم أن أمة محمد ﷺ خير الأمم، والسابقون الأولون خير أمة محمد، لقول رسول الله ﷺ: {خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْت فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ}[2]، لذا كان معرفة أقوالهم في العلم، والدين أفضل من معرفة المتأخرين، والاقتداء بهم خير ممن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم خير وأنفع من معرفة ما يُذكر من إجماع غيرهم، ونزاعهم، وذلك لأن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً.
- أما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعة الأولين، ولا يعرفون طريق الصحابة، والتابعين من أهل الكلام، والرأي، والزهد، والتصوف، فهؤلاء تكون عُمدتهم في كثير من أمور الدين ما ظنوه إجماعًا، وهم لا يعرفون أقوال السلف، أو يعرفون بعضها، ويجهلون بعضها، بل وقد تكون أقوال السلف خارجةً عن أقوالهم، كما في (مسألة خلق القرآن، الرؤية، القدر)، فهؤلاء كثير من أصولهم مُحدث مبتدع في الإسلام، فهؤلاء قد اشتهر لهم أقوال خالفوا فيها النصوص المستفيضة المعلومة، وإجماع الصحابة، كما أنه لم يبق مسألة في الدين إلا وتكلم فيها السلف، فالصواب في أقوالهم أكثر، وأحسن، وخطأهم أخف من خطأ المتأخرين، وخطأ

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالد Macdonald، إجماع، ج2/450-451.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ/باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، 1962/4، حديث رقم2533.

المتأخرين أكثر؛ وأفحش في جميع علوم الدين[1]، ومن خلال ما سبق يُلحظ أن المستشرق (ماكدونالد Macdonald) قد أُشكل عليه الأمر فاعتبر الإجماع الذي أورده بعض المؤيدين لمسألة (التوسل بالأولياء) حجة، فلم يُفرق بين الإجماع الموافق لأقوال السلف، وبين الإجماع المخالف لأقوالهم.

ب. عدم التميز بين أنواع التوسل.

من المعلوم أن التوسل مسألة اختلف فيها العلماء ما بين مجيز ومانع، وهناك أقسام للتوسل بينها العلماء، وهي:

أ. التوسل المشروع: وهذا يشمل ثلاثة أنواع:

- التوسل بأسماء الله الحسنى ؛وصفاته؛ قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ الأعراف 180، وذلك بأن يدعو الإنسان الله تعالى بأسمائه كلها؛ وصفاته ؛ كأن يقول: اللهم أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي.
- التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي، وتتضح مشروعيته في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ آل عمران 16، كأن يقول الشخص: اللهم بإيماني بك، ومحبتي لك، واتباعي لرسولك اغفر لي.
- التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح: فحين يقع الإنسان في مصيبة؛ أو ضيق شديد؛ ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تعالى، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، فيطلب منه أن يدعو له ربه، دليل مشروعيته: {عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلًا، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»... ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13/ 24-27.

يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ[1]} [2].

ب. التوسل الممنوع (غير المشروع):

التوسل إلى الله بذات أو جاه نبي؛ أو عبد صالح؛ أو بحرمة الكعبة، أو غير ذلك من الأشياء الفاضلة وغير ذلك؛ لم يثبت في رواية صحيحة صريحة أن أحدًا من الصحابة، أو التابعين توسل إلى الله بشيء منها [3]، وقد بين ابن تيمية إجماع الصحابة والتابعين على ترك هذه التوسلات [4].

ومن خلال ما سبق يلحظ أن المستشرق عمل على تجزئة المسألة فزعم أن هناك إجماعًا على التوسل بالأولياء، دون أن يفرق بين الإجماع الذي يعد حجة، والإجماع المخالف للسلف، كما لم يفرق بين التوسل المشروع، ومنه التوسل بعمل الرجل الصالح الذي أجازه السلف، وبين التوسل غير المشروع وهو التوسل بذات ؛ أو جاه الرجل الصالح.

3. النقد المنهجي:

خالف المستشرق (ماكدونالد Macdonald) المنهجية العلمية في سرد الحقائق الشرعية في العديد من النقاط، منها:

أ. التشكيك في أحد مصادر التشريع الإسلامي، وذلك بالطعن فيه من خلال نسبة البدع إليه، واعتبارها جزءًا من السنة.

ب. قصور الفهم عن إدراك دلالة الأقوال، ومن ذلك عدم تفريقه بين الإجماع الذي يعتد به، والإجماع الذي لا يُعتد به، والذي يُعد حجة عند الطوائف المخالفة للسلف.

ج. تجزئة مسألة التوسل بالأولياء، وذلك باقتصارها على التوسل البدعي غير المشروع، دون التنويه على التوسل المشروع الذي أجازه السلف.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، أبواب الاستسقاء/ باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، 28/2، حديث رقم 1014.

(2) انظر: التوسل أنواعه و أحكامه، الألباني، ص17-24.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج1/ 103-107، 143.

(4) انظر: المرجع السابق، ج204/1.

المطلب الرابع: إيراد أدلة وهمية في مسائل الخلاف الأصيلة.

مما لا شك فيه أن إيراد أدلة الاستدلال في مسائل معينة من خير الطرق لإبراز الحقائق، وإعلاء الحق، ودحض شبه المبطلين، وكشف زيوفهم، سواء كانت أدلة نقلية، أو عقلية، أو حسية.

ولا بد من مراعاة أن تكون الأدلة صحيحة، تتلاءم مع المسألة المراد مناقشتها، وهناك من يخالف المنهج العلمي بالاستناد على أدلة وهمية، أو ضعيفة غير صحيحة، أو غير ملائمة للمسألة، وقد لُوحظ لُجوء المستشرقين إلى انتقاء آراء الملاحدة، وأصحاب الضلالات والفرق المخالفة للإسلام، واتباع منهجهم الفاسد لتحقيق أهدافهم من تشويه الإسلام، وطمس الحق، ونشر الباطل، ويمكن البرهنة على ذلك من خلال نصوص دائرة المعارف الإسلامية التي تعد ذخيرة المستشرقين في دراسة الإسلام والمسلمين، ومن نماذج أقوالهم:

أولاً: اتهام النبيﷺ بالأخذ عن الأناجيل.

يسعى المستشرقون إلى رد عناصر الدين الإسلامي لليهودية؛ أو النصرانية، حسب ديانة المستشرق الذي يتناول الموضوع، فالمستشرقون اليهود حرصوا على ادعاء أن الإسلام امتداد لليهودية، في حين حرص المستشرقون النصارى على ادعاء استمداده من النصرانية، وادعاءاتهم هذه نابعة من التشابه بين الديانات الثلاثة، وأحياناً من عند أنفسهم، وفي ذلك يقول (جولد زيهر Goldziher): " تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف، وآراء دينية عرفها، واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية، والمسيحية، وغيرها التي تأثر بها تأثراً عظيماً" [1].

فيما يلي يُلحظ ادعاء المستشرق(كارا ده فوCarra De Vaux) استقاء النبي ﷺ معلوماته من الأناجيل.

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فو B.Carra De Vaux) في مادة (إنجيل)، قوله: " كان محمد ﷺ أكثر معرفة بالأناجيل...، ولم تصل إليه تلك المعرفة من مصادر مسيحية خالصة، وإنما نقلت إليه على يد يهود اعتنقوا النصرانية، ويستدل على هذا بنوع القصص الذى ورد في القرآن وقد تكيف بقصص أولئك الذين سماهم محمد "الحنيفيين" وقيل إنهم كانوا على دين إبراهيم"[2]، وقد تعامل المستشرقون مع الإسلام على أنه إفراز من ديانات سابقة، ومنها

---

(1) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد تسيهر(جولد زيهر) Goldziher، ص12.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، كارا ده فو Carra De Vaux، إنجيل، ج5/1261.

اليهودية؛ والمسيحية، وفي النص السابق يحاول المستشرق (كارا ده فوCarra De Vaux) إفراغ الإسلام من مضمونه، باعتباره مقتبسًا من المسيحية.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فوCarra De Vaux) بعض المغالطات خلال النص السابق، ومن ذلك محاولته إثبات أن محمدًا ﷺ كان يستقي معلوماته من الأناجيل، ومن هذه المغالطات:

أ. ادعاء استفادة النبي ﷺ من الأناجيل.

يسعى المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) كغيره من المستشرقين إلى إثبات أن محمدًا ﷺ كان يعرف القراءة ؛ والكتابة، ودليله على ذلك أن محمدًا ﷺ على اطلاع واسع بالأناجيل؛ ويُرد على ذلك الردود التالية:

- ثبت تاريخياً أن النبي ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكما أنه عين عددًا من أصحابه لكتابة الوحي قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ**﴾ الأعراف157 [1].
- إن كان مقصود المستشرق لقاءه مع الراهب (بحيرا)، و(نسطورا)[2]، فإن الروايات التاريخية بينت أن اللقاء بينهم كان عابراً[3]، كما أنه عند لقائه ببحيرا كان عمره تسع سنوات، فلا يعقل أن يستوعب كل هذا العلم الذي يدعون معرفته، وعند لقائه بنسطورا كان عمره خمسة وعشرين سنة، وقد ذكر ميسرة كل ما حدث في الرحلة فلو اجتمع مع الراهب ليتعلم لقال ذلك ميسرة، ومن ذلك يتبين استحالة أن يعرف كثيرًا عن الأناجيل، وإن كان كما يدعي لفرح النصارى واليهود بنبوة محمد ﷺ واتبعوه ؛ لأن كلًا من بحيرا ونسطورا بشّر بأنه النبي المذكور في كتبهم، الذي ينتظرونه[4].

---

(1) لمزيد من التفاصيل انظر: حقائق إسلامية في مواجهة حملات التشكيك، زقزوق، ص10-13.

(2) اتفق الجميع على أنهما كانا مسيحيين، ولكن اختلف في حقيقة مذهبهما، وهل بحيرا الذي التقى بالنبي ﷺ مع أبي طالب هو نفسه نسطورا الذي التقى بالنبي أثناء رحلته التجارية لخديجة، وسبب خروجهما من بلديهما تعرضهما للاضطهاد في بلديهما لأنها لا تكفل له حرية الاعتقاد. انظر: الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، ص46.

(3) انظر: سيرة ابن هشام، ص73-75، ودلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني، ص186-172.

(4) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة، الشربيني، ص384-386.

ب. ادعاء أن معرفة النبي ﷺ للمسيحية كان عن طريق يهود اعتنقوا النصرانية.

يذكر المستشرق كارا ده فوCarra De Vaux أن معرفة محمد ﷺ بالدين المسيحي كانت عن طريق اليهود المتنصرين، وليست عن طريق مسيحيين خلص؛ وذلك ليخرج المستشرق من حقيقة عدم وجود مسيحيين في مكة ليتعلم منهم(أورد بعد ذلك أن من المسلمين الذين كانوا نصارى ولهم دراية بالقصص اليهودي زيد بن عمرو بن نفيل، وأمية بن أبي الصلت)، وقد ورد في كتب السير أن زيدًا ترك عبادة الأوثان، واتبع الحنيفية ملة إبراهيم، ومات قبل أن يبعث النبي ﷺ [1]، وكل ذلك ليصل إلى أن النبي ﷺ استفاد من الأناجيل، وكذلك من كتب اليهود كالتوراة.

ج. ادعاء أن قصص القرآن الكريم تؤكد الاقتباس من المسيحية.

لا يمكن إنكار أن القرآن الكريم التقى مع الكتب السماوية السابقة في بعض قصصها، وذلك:

- باعتبار أنها تخرج من مشكاة واحدة – وحدة المصدر–، قال تعالى:﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ آل عمران19، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: {أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ}[2]، لكن تفاصيل القصة في القرآن الكريم قد بينت تحريفات أهل الكتاب وافتراءاتهم.
- قصص القرآن الكريم واضحة جلية؛ وقد بينت ما تعرضت له التوراة والإنجيل من تحريف[3]، قال تعالى:﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ البقرة 75، ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ البقرة 79.

---

(1) انظر: السيرة النبوية، ابن اسحاق، ص116-119.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾، 167/4، حديث رقم 3443.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الجواب الصحيح، ابن تيمية، هداية الحيارى، ابن القيم.

د. ادعاء اختيار محمد ﷺ للدين الحنيف لأنه يلائمه.

يحاول المستشرق (كارا ده فوCarra De Vaux) إثبات أن محمدًا ﷺ اختار الدين الحنيف بسبب أن قصصه تناسبه؛ بخلاف القصص الأخرى، لكنَّ ادعاءه باطل، ويرد عليه :

- أن الدين الحنيف هو دين الأنبياء جميعاً كما وضح القرآن الكريم،

قال تعالى:﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ الحج31، أي أفردوا الله بالطاعة وأقبلوا عليه بالعبادة ولا تشركوا به شيئاً[1]، قال تعالى:﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران60، الآية جاءت ردًّا على من يدعى أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، بل كان حنيفاً، والحنيف: الذي يُوحد ويحج ويُضحي ويُختتن ويستقبل القبلة بخلاف اليهود والنصارى[2].

- أن محمدًا ﷺ لم يتكيف مع قصص الحنفيين لأنها تلائمه، بل اتبع دين أبيه إبراهيم، الدين الإسلامي، الذي بُعث به لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق (كارا ده فوCarra De Vaux) ما يلي:

أ. إيراد عدة أدلة وهمية تخدم الفكرة التي يريد إثباتها بدون مستند علمي، ألا وهي تدرج الدين الإسلامي، وأنه إفراز من الديانة اليهودية؛ والنصرانية.

ب. استخدام منهج التأثير والتأثر[3] بالآخر، وذلك من خلال ادعاء تأثر محمد ﷺ باليهود الذين اعتنقوا النصرانية، وكذلك تأثره بالقصص التي أوردها الحنفيين.

ج. التشكيك؛ والطعن بالقرآن الكريم، وذلك من خلال استدلاله بها على اقتباس محمد ﷺ من الأناجيل، والآيات صرحت بتحريف الأناجيل.

د. استخدام الألفاظ الموهمة، ومن ذلك قوله:

- " يستدل على هذا بنوع من القصص" غموض لم يوضح فيه أي نوع من القصص يقصد.

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج620/18، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج538/1.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج109/4.

(3) انظر: مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، الحلاق، ص 276.

- " قد تكيف" توهم بأن النبي ﷺ يختار ما يلائم هوى نفسه.
- " قيل إنهم كانوا على دين إبراهيم" لفظ تشكيكي مقصده الطعن بورقة بن نوفل الذي كان على الدين الحنفي، ولجأت إليه خديجة رضي الله عنها ليفسر لها ما حدث مع رسول الله عند نزول الوحي عليه.

ثانياً: ترويج الشبهات حول أئمة السلف وتمجيد أئمة البدع والضلال.

دأب المستشرقون على التنقص من علماء المسلمين، وخاصة العلماء الذين يقفون بالمرصاد لأهل البدع؛ والضلالات، وقد برز ذلك في مواضع كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماسينيون Louis Massignon) في مادة (التصوف)، قوله: "وكان فقهاؤهم–الذين اشتدوا في الحط من شأن المتصوفة أمثال ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيّم– يقدرون الغزالي ويعدونه حجة في مسائل الأخلاق، وإنما صب فقهاء أهل السنة المتأخرون جام غضبهم على مريدي ابن عربي لقولهم بالوحدة، وقد شرح صاحب مذهب الوهابية[1] – ونحن نعلم مبلغ خصومته للمتصوفة– وصية المتصوف "شقيق" إلى "حاتم الأصم"[2]، وبهذه الدعوى يظهر لكل ذي لب محاولة المستشرق (ماسينيون Louis Massignon) تزييف الحقائق، من خلال اتهام كل من ابن الجوزي؛ وابن تيمية؛ وابن القيم بالتشدد في موقفهم من التصوف، رغم تقديرهم للغزالي المؤيد للتصوف، وكذلك يطعن في محمد بن عبد الوهاب لأنه يحارب التصوف، بالمقابل يشرح وصية المتصوف شقيق البلخي[3].

---

(1) محمد بن عبد الوهاب: (1115–1218هـ) إمام كبير وعلامة شهير، منّ الله عليه بالفقه في الدين، والبصيرة في علوم الشريعة خاصة العقيدة، تعلم على علماء بلده وسافر إلى مكة؛ والمدينة وأخذ عن بعض علمائهما، دعا الناس إلى إخلاص التوحيد حيث انتشر في زمانه التعلق بالقبور، والاستعانة بالأموات، ومن مؤلفاته: "مجموع الرسائل والفتاوى"، كتاب "التوحيد"؛ "ثلاثة الأصول والقواعد الأربع"؛ "كشف الشبهات". انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، سلفية وهابية.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ماسينيون Louis Massignon، التصوف، ج2218/7.

(3) شقيق البلخي: شقيق بن إبراهيم بن علي الأزدي البلخي، أبو علي، إمام من كبار الزاهد منكر الحديث، أحد شيوخ التصوف، من مشايخ خراسان، كان من كبار المجاهدين، استشهد في غزوة كولان(ت: 194هـ). انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج475/2–478، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج71/8–72، لسان الميزان، ابن حجر، ج151/3.

2. النقد العلمي للمضمون:

تعددت أوجه المغالطات التي أوردها المستشرق (ماسينيون Louis Massignon) في المضمون، وهي على النحو التالي:

أ. الغموض في توضيح مراحل تطور التصوف.

تحدث المستشرق (ماسينيون Louis Massignon) عن التصوف من وجهة نظر الغزالي؛ الذي اعتبره نموذج رائعة للتصوف، لذلك كان لابد من توضيح مراحل تطور الصوفية كما أوردها علماء السنة:

- التصوف في بدايته كان عبارة عن الزهد في الدنيا، والانقطاع لعبادة الله، ولهذا قال (ابن تيمية) عن متقدمي الصوفية: "والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين...، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه"[(1)].
- تطور التصوف وظهر الانحراف الفكري فتحول إلى رهبانية وتعلق بالبدع، وظهرت الطرق الصوفية وبدأت فيها الشطحات، والضلالات في الأعمال والعقائد، كعقيدة الحلول والاتحاد، فخرجوا من الإسلام.
- أما متأخرو الصوفية فمنهم من أخذ التصوف بالمعنى الأول وهو الزهد في الدنيا مع ممارسة بعض البدع، ومنهم من أخذه طرقًا وحركات ومظاهر، فمارس كثيرًا من الشركيات والعقائد الباطنية، ومنهم من آمن بعقيدة الحلول والاتحاد فكفر بدين الإسلام.

ومن خلال ما سبق يُلحظ أن المستشرق تجاهل المراحل التي تطور فيها المذهب الصوفي.

ب. اتهام علماء أهل السنة والجماعة بتشدد موقفهم من التصوف.

- ادعى المستشرق (ماسينيون Louis Massignon) أن ابن الجوزي؛ وابن تيمية؛ وابن القيم متشددون في موقفهم من التصوف، وهذا ادعاء باطل، فإن ابن الجوزي[(2)]، وابن تيمية، وابن القيم[(3)] كانوا ملتزمين في موقفهم من التصوف والصوفية بالقواعد الأساسية في اجتهاداتهم

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج18/11.

(2) تلبيس ابليس، ابن الجوزي، ص163-167.

(3) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ج139/1-140، ص249

من حيث النهج التاريخي، يضعون الأصل في البحث الاقتداء بالصحابة؛ فالتابعين؛ فهمًا للحديث { خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ}[1]، و{ خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ}[2]، ومن استمسك بعدهم بالمنهج الإسلامي الصحيح عقيدة وعبادة وسلوكًا وأخلاقًا.

- منهجية ابن تيمية في التعامل مع من يخالفه في بعض المسائل غير مخفية على المستشرق، فهي ظاهرة في مناظراته، وخلال كتاباته، وأمثلة ذلك موقفه من كتاب الإحياء للغزالي، فقد قال ابن تيمية عن كتاب الغزالي إحياء علوم الدين: "والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة، تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدوًّا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين[3]، ومما أعجب به ابن تيمية في هذا الكتاب فصول المهلكات والمنجيات التي عنى فيها الغزالي بقواعد السلوك الأخلاقي في الإسلام.

ج. نصرة المذاهب الفاسدة:

- يحاول المستشرق نصرة مذهب ابن عربي الفاسد القائل بوحدة الوجود، وذلك من خلال اتهام أهل السنة بصب جام غضبهم على أتباع ابن عربي، دون أن يوضح أن هذا الغضب ليس شخصي؛ بل غضب لأجل نصرة العقيدة التي يحاول ابن عربي وأتباعه مخالفتها وتشويهها.
- من المعلوم أن (ماسينيون Louis Massignon) درس التصوف الإسلامي؛ وكل ما يتصل بنشأته، واهتم اهتماماً كبيراً بالحلاج، فقد كان جزءًا من رسالته الدكتوراه "عذاب الحلاج شهيد الصوفية في الإسلام"، ومن مؤلفاته: " ديوان الحلاج" و" أخبار الحلاج"[4]، والحلاج كما بين العلماء من القائلين بالحلول؛ ووحدة الوجود.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل/ باب فضل الصحابة والذين يلونهم، 1962/4، حديث رقم 2533.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل/باب فضل الصحابة والذين يلونهم، 1963/4، حديث رقم 2534، سنن أبي داود، أبو داود، 214/4، حديث رقم 4657.

(3) تقييم ابن تيمية لآراء الغزالي ومؤلفاته، حلمي، (موقع إلكتروني).

(4) مباحث في الاستشراق، المستشرق ماسينيون، الشايع (موقع إلكتروني).

د. اتهام (محمد بن عبد الوهاب) بالتذبذب في موقفه من التصوف.

فهو يحارب الصوفية البدعية، ويتصدى لها، وفي المقابل يشرح وصية الصوفي شقيق إلى حاتم الأصم، وهذا لا خطأ فيه، فكثير من علماء السنة قد شرحت كتب المخالفين لبيان ما فيها من باطل.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق (ماسينيون Louis Massignon) ما يلي:

أ. إيراد بعض الأدلة الوهمية في مسألة مشروعية التصوف، ومن ذلك الاستدلال بموقف ابن عربي، وعقيدة وحدة الوجود كأنها عقيدة سليمة حاربها علماء المسلمين.

ب. القاء التهم جزافاً على علماء أهل السنة والجماعة، ومن ذلك الطعن بابن الجوزي؛ وابن تيمية، وابن القيم، واتهامهم بالتشدد، وذلك لأنهم يقفون كالسد المنيع أمام هدفهم بنصرة المبتدعة؛ وأهل الضلالات من الفلاسفة، وغلاة الصوفية وغيرهم.

ج. استخدام طريقة الاستدلال الموهوم التي تسهم في التشكيك بالمعتقدات الإسلامية، ومن ذلك الاستدلال بموقف محمد بن عبد الوهاب من شقيق البلخي، مع العلم أنه لا إشكال بأن يدرس علماء المسلمين كتب وعقائد المخالفين للرد عليهم ومحاربة أفكارهم.

ثالثاً: الترويج لعقيدة التقية.

لا يكل المستشرقون عن الترويج للعقائد الفاسدة، مستخدمين في ذلك العديد من أساليب الغزو الفكري، بحيث لا يستطيع المسلم العامي، أو ضعيف الإيمان أن ينتبه لأساليبهم، ومن أمثلة ذلك ترويج المستشرق(شتروتمانStrothmann) لعقيدة التقية، مستدلاً بأدلة واهية توهم القارئ بعدم وجود فرق بين التقية الشرعية، والتقية البدعية، كما يتضح فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) في مادة (تقية)، بقوله: "وفي مسائل العقائد لم يتقرر حكم عام في هذه المسألة، وحتى الفرق لم تقطع فيها برأي، أما المسائل الصغرى التي فصلت تفصيلًا فهي: هل التقية رخصة أو فرض، وهل هي جائزة لمصلحة الفرد أو لمصلحة الجماعة؟... وقد بذل القدماء النصيحة فقالوا: "قد وسع الله على المؤمنين بالتقية فاستتر"، وجرى الإباضية على شريعة أن التقية ستر للمؤمن وأن من لا تقية له لا دين له،(جميل بن خميس: قاموس الشريعة ج 13، ص 127 وما بعدها)"[1]، وقوله أيضاً: " على

(1) دائرة المعارف الإسلامية، شتروتمان Strothmann، التقية، ج2358/8.

أن النزوع إلى القول بأن التقية ليست في الأكثر إلا شيئًا جائزًا وأنها ليست واجبة في جميع الأحوال –كما يذهب بعض أهل السنة استنادًا إلى الآية 191 من سورة البقرة [1] – قد أدى إلى وضع أحاديث في التحذير منها مثل "رأس الفعل المداراة"[2]، ومما سبق يُلحظ أن المستشرق شكك في عدم وضوح الحكم في مسألة التقية، ثم ذكر أن بعض الفرق كالإباضية قالت بوجوبها، وبعض أهل السنة قال بجوازها مؤيداً موقفه ببعض الأدلة.

2. النقد العلمي للمضمون:

يحاول المستشرق (شتروتمان Strothmann) التأصيل، والترويج لعقيدة التقية، وذلك من خلال بيان عدم ورود حكم عام لهذه العقيدة، وكذلك إيراد أدلة وهمية؛ وضعيفة في بيان موقف المسلمين منها، ومن أوجه مغالطاته:

أ. ادعاء غموض الحكم في مسألة التقية.

يدعي المستشرق (شتروتمان Strothmann) عدم تقرير حكم عام لمسألة التقية، وقد غالط في ادعائه هذا، فقد أوضح السلف موقفهم من التقية، ولكن المستشرق التبس عليه الأمر فعد بعض الفرق كالإباضية، والشيعة من أهل السلف، وهم من الخلف ومن المعلوم أن الخلف هم من اختلفوا في بعض مسائل الاعتقاد كمسألة التقية، فالسلف عدّوا التقية رخصة عارضة، وحالة اضطرارية خلاف الأصل، ألجأت إليها الضرورة والحاجة الشديدة، مع عدم الانسياق إلى الرخصة[3]

ب. الخلط بين التقية الشرعية والتقية عند الشيعة.

لم يفرق المستشرق (شتروتمانStrothmann) بين التقية الشرعية والتقية الشيعية، وهما على النحو التالي:

- فالتقية الشرعية لها ضوابط وقواعد كما أنها ليست من الأصول ولا بأس في تركها، ولا تستخدم إلا مع الكفار[4]، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ

---

(1) ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة 191

(2) دائرة المعارف الإسلامية، شتروتمان Strothmann، التقية، ج2359/8.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج373/1، ج439/12، ج263/13، وأحكام أهل الذمة، ابن القيم، ج1038/2.

(4) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج313/6–316، ج304/17.

نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران 28، وقد فسر الطبري معنى التقاة في هذه الآية بأنها إظهار الولاية للكفار باللسان مع اطمئنان القلب بالإيمان، مع إضمار العداوة لهم، وعدم مشايعتهم على ما هم عليه من الكفر، وكذلك عدم إعانتهم على مسلم بالفعل، وأيضاً ذكر البغويُّ: في تفسير الآية أن الله ﷺ نَهى أهل الإيمان عن مُوالاة الكفار ومداهنتهم، إلاَّ أنْ يكونوا مستضعفين، غالبين الكفار عليهم، وظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم مخالفين له في الدين يخافهم، فيُداريهم باللِّسان وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان؛ دفاعًا عن نفسه، من غير أن يستحِلَّ دمًا حرامًا، أو مالاً حرامًا، أو يُظْهِر الكفار على عورة المسلمين، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة 173، والتقيَّة لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النيَّة[1].

- أما التقية الشيعية فهي من أصول الدين عندهم، وكما أورد المستشرق لا دين لمن لا تقية له، وهذا قول ينسب لجعفر الصادق[2]، وهي تكون مع أهل السنة خصوصاً، فقد بين الحر العاملي[3] في كتابه وسائل الشيعة بوجوب عشرة العامة "أهل السنة" بالتقية[4].

ج. ادعاء أن التقية عند الإباضية من أصل الدين:

أورد المستشرق أن التقية عن الإباضية واجبة فلا دين لمن لا تقية له، ففي ادعائه هذا تألي على الإباضية، ويرد عليه:

التقية عند الإباضية[5] جائزة، مخالفين بهذا القول أكثر الخوارج[6]، وحيث أورد الربيع

---

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي،ج26/2.

(2) انظر: أصول الكافي، الكليني، ج217/2، بحار الأنوار، المجلسي، ج423/75.

(3) الحر العاملي: أبو جعفر محمد بن علي الحر العاملي،(1033-1104هـ) رجل دين؛ وفقيه ومرجع، اشتغل بالقضاء، من أبرز العلماء الإخباريين الذين يعتقدون بصحة جميع الأحاديث الموجودة في الكتب الأربعة، من مؤلفاته: " تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة"، و" الجواهر السنية في الأحاديث القدسية" توفي في إيران، انظر: الأعلام، الزركلي، ج90/9، و ويكي شيعة، الحر العاملي (موقع إلكتروني).

(4) انظر: وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج470/11.

(5) الإباضية: فرقة من فرق الخوارج، تلتقي مع الخوارج في أغلب الأصول التي خرجت بها الخوارج عن الأمة انشقت عنها في موقفها من بقية المسلمين وحكم الإقامة معهم، وأحكامهم في السلم والحرب. انظر: مقالات الإسلاميين، أبو موسى الأشعري، ج1/ 102-106، والإباضية في ميزان أهل السنة، السني، ص7.

(6) انظر: مسند الربيع بن حبيب، ج12/3.

ابن حبيب في مسنده[1]روايات في الحث عليها في باب ما جاء بالتقية، قال: " قال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عني سوطين إلا تكلمت بها، وليس الرجل على نفسه بأمين إذا ضرب أو عذب أو حبس أو قيد" أي وهو يجد خلاصاً في الأخذ بالتقية[2].

- أما استدلاله بكتاب " قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة" (لجميل بن خميس) لتأكيد قوله أن التقية عندهم من أصل الدين، وُجد أن (جميل بن خميس) تناول موضوع التقية بشيء من التفصيل، وليس كما أوهم المستشرق (شتروتمانStrothmann)، فقد ذكر أن التقية لا تكون إلا في القول؛ أو الفعل الذي أباحه الله، وخاصة عند الاضطرار، فمثلاً تكون التقية بأكل الميتة، أو شرب الخمر، أو قذف المحصنات جائزة، وذلك لأن الله أجاز فعلها عند الاضطرار، أما التقية بفعل أفعال الكفار مثلاً تقية فلا يجوز، ويتضح ذلك من قوله: " التقية تجوز في القول؛ ولا تجوز في الفعل؛ والعمل"[3]، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ النحل106[4].

3. النقد المنهجي:

ومن المخالفات المنهجية التي خالف بها المستشرق شتروتمانStrothmann المنهج العلمي، ما يلي:

أ. إيراد بعض الأدلة الوهمية في مسائل الخلاف، ومن ذلك الاستدلال بقول جميل بن خميس في كتابه (قاموس الشريعة): "من لا تقية له لا دين له"، وهو دليل وهمي لم يرد في كتابه.

ب. محاكمة الأفكار طبقاً لمصطلحات مبتدعة، مع الإيهام بأنها من مصطلحات أهل السنة، مثل مصطلح التقية، وبالرجوع إلى كتب مصطلحات أهل السنة والجماعة لم يوجد ذكر

---

(1) مسند الربيع بن حبيب: هُوّ أحد كتب الحديث عند الإباضية، ويعد أهم وأصح كتب الحديث عندهم حيثُ يطلقون عليه "الجامع الصحيح"، يُنسب إلى ثالث أئمة الإباضية الربيع بن حبيب الأزدي، وحسبهم فقد رتبه الشيخ الإباضي أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد، وتعرض هذا المسند للكثير من الانتقاد من أهل السنة والجماعة في العصر الحديث سواءً صحة أحاديثه أو رواة أحاديث المسند أو تاريخية المسند بحد ذاتها إذ أنكر عدد من علماء السنة نسبته إلى الربيع بن حبيب الأزدي. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، (موقع إلكتروني).

(2) فرق معاصرة، غالب عواجي، ج256/1

(3) انظر: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، جميل بن خميس، ج145/13.

(4) لمزيد من التفصيل: انظر قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، ابن خميس، ص139-170.

لكلمة التقية إلا من باب الرد على الشيعة، بل وجد في مصنفات بعض الفرق المخالفة كالشيعة[1].

ج. تجزئة النصوص، ومن ذلك إيراد قول الطبري منقوصاً بطريقة غامضة توهم بأن التقية تعني ترك الدين قولاً وفعلاً، والقيام بالأفعال المخالفة للعقيدة إن اضطر لذلك.

د. الاستدلال ببعض النصوص، دون إيراد المصدر الذي تم الاقتباس منه، ومن ذلك قول المستشرق: "قد وسع الله على المؤمنين بالتقية" لم يورد مصدرها.

هـ. الخلط بين المضامين، كخلط المستشرق بين حكم التقية عند الشيعة، وحكمها عند الإباضية، فالإباضية يقولون كأهل السنة بجواز التقية[2]، بينما الشيعة يعتبرونها من أصول دينهم.

ويتم الخلوص مما سبق أن المستشرقين حاولوا استغلال مسائل الخلاف لصالحهم، وذلك بنصرة ما يناسبهم في المسائل الخلافية مستدلين بأدلة وهمية داعمة لرأيهم، موهمين غيرهم بأن استدلالاتهم صحيحة، ومناسبة للرأي الذي يدعموه.

المطلب الخامس: نصرة مذاهب الفرق الفاسدة في المسائل الأصيلة.

كل عقيدة تخالف عقيدة الإسلام الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية تُعد من العقائد الفاسدة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ آل عمران 85، وقد تعددت مظاهر الانحراف والفساد في مجتمعنا الإسلامي، ومن أسباب انتشار الفساد العقدي ومظاهره المنحرفة: إتباع الهوى، والتقليد الأعمى، والتعصب المذهبي، وجهل الناس بأمور دينهم، وإساءة الفهم للقرآن الكريم والسنة النبوية مما أدى إلى ظهور الفرق المنحرفة المبتدعة.

وبتتبع بعض نصوص دائرة المعارف الإسلامية لُحظ حرص المستشرقين على تزكية هذه الفرق وتبرئتها من انحرافها، وتمجيد أئمة الضلال، وذلك بالعمل على إبراز تلك الفرق وإحياء ما مات منها، ونشر انحرافاتها المبتدعة، ومن النماذج على ذلك:

---

(1) انظر: مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم الحمد، ص253-259، والكافي، الكليني، ج217/2.

(2) انظر: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، ج145/13.

أولاً: إبراز الفرق الضالة وتبرئتهم من انحرافاتهم.

يسعى المستشرقون جاهدين إلى نصرة الفرق الباطنية كالإسماعيلية؛ بتمجيدها والدفاع عنها، وعن مؤسسيها، ومتابعيها، رغم أن علماء المسلمين قد بينوا مخالفاتهم، وانحرافاتهم الفكرية، التي أدت إلى خروج بعضهم من الملة، وفي النص يظهر مدى اهتمام (إيوار Huart Huart)و(فاكلييري Vaglieri) بفرقة الإسماعيلية، ومحاولاته الدفاع عن باطلهم.

1. عرض المضمون:

مادة الإسماعيلية أورد المستشرق إيوار[1] CL.Huart، بقوله: "وعلى الرغم مما اشتهر به الإسماعيلية من أنهم سفاكون للدماء، تلك الشهرة التي لوثت سمعتهم، فإنه يجب ألا يدور بخلدنا أن جرائمهم تلك كانت من لوازم عقيدتهم؛ بل إننا نرى في ذلك نوعاً من الغلو في السلطة السياسية المطلقة التي جعلها مؤسسو هذا المذهب لأنفسهم، وقد لاحظ (روسو)[2] أن الإسماعيلية الذين عرفهم كانوا أناساً كرماء من ذوي الدماثة لا يخشون الأسفار نشطين في ديارهم مستمسكين بدينهم الذى يختلف كثيراً عن عقيدة السلف،وهم شجعان إذا دعتهم الملمات مطيعون لزعمائهم"[3]، كذلك أوردت المستشرقة (فاكلييري[4] L.Veccia Vaglieri) في مادة (الإسماعيلية)، قولها: "إن الطالب الذى تأثر بالقصص المألوفة التي ترمى المذهب الإسماعيلي الباطني بالخروج الشديد على الدين، والنزعات المناهضة للإسلام، خليق بأن يخيب أمله خيبة مرة، حين يقرأ أشد كتب الإسماعيلية إيغالاً في الباطن، مثل (راحة العقل) لحميد الدين الكرماني، وبعض (المجالس) الباطنية للمؤيد الشيرازي، و(كنز الولد) لإبراهيم الحامدي و(ذخيرة) علي بن محمد بن الوليد، و(زهر المعاني) لعماد الدين إدريس وغيرها من الكتب. وهذه الكتب تثبت إثباتاً لا يعتريه أي شك

---

(1) المستشرق إيوارCL.Huart: (1854-1927م) مستشرق فرنسي، درس اللغات الشرقية، من كتبه "تاريخ بغداد في العصر الحديث"، "تاريخ العرب"، يعد من أكثر من كتب في الدائرة. انظر: المستشرقون، العقيقي، ج1/212-216.

(2) المستشرق روسو.Rousseau L.J: (1786-1831م) مستشرق فرنسي، من مؤلفاته: "رحلة من بغداد إلى حلب" و"شئون الوهابيين". انظر: المستشرقون، العقيقي، ص176.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، الإسماعيلية، إيوارHuart ، ج766/3.

(4) فيشيا فاكلييري L.Veccia Vaglieri:(1893-1989م) مستشرقة إيطالية معاصرة، درست التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، اللغة العربية وآدابها، لها كتابات في بعض المجلات منها: " نبذ عن ابن مسعود، والإمام يحيى" مجلة الشرق الحديث، الخلاف بين علي ومعاوية وتمرد الخوارج "حوليات المعهد الشرقي نابولي"، انظر: المستشرقون، العقيقي، ص404-405..

أن المبادئ الأساسية في أرفع مذهب باطني كانت هي أركان الإسلام، ونعنى بها الإيمان الذى لا يتزعزع بوحدانية اللهَ وأن محمداً رسول الله، وأن القرآن الكريم منزل... إلخ " [1]، من خلال النصين السابقين يُلحظ دفاع كل من (إيوارHuart) و(فاكلييريVaglieri) عن الإسماعيلية، ومحاولة تبرئة أفعالهم بأن سببها سياسي، وليس عقائدي، مدعين أنهم لم يخرجوا عن الدين قيد أنملة، وفيما يلي بيان مخالفات المستشرقين في ادعاءاتهم.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المعلوم أن المذهب الباطني مذهب يقوم على التستر؛ والخفاء، فلم تعرف عقائدهم إلا ممن خرج عنهم، وترك مذهبهم، أما هم أنفسهم يظهرون حسب الموقف الذي يوضعون فيه، مع اليهودي يهودي، ومع النصراني نصراني، ومع الزاهد زاهد، يلبسون لكل حالة لبوسها، حتى إذا تمكنوا، واطمئن لهم من هم معهم ألقوا عليهم شبهاتهم، ودعوهم إلى مذهبهم، وبينوا له عقائدهم السرية، والرد على ما أورده المستشرقان (إيوار Huart) و(فاكلييري Vaglieri) على النحو التالي:

أ. ادعاء الباطنية التمسك بالأخلاق الإسلامية.

يدعي المستشرق(إيوارHuart) أن الإسماعيلية ذوو أخلاق حميدة، وأن جرائمهم سببها سياسي، فما مقصوده من ذلك أن جرائمهم بسبب دفاعهم عن أرضهم، أو أنفسهم؟؟ فبماذا يبرر موقفهم من أهل السنة، والمجازر التي أقيمت ولا تزال تقام بحقهم، فقد استباحوا كل شيء لأهل السنة، وكذلك عونهم لأعداء أهل السنة، ومن ذلك إعانتهم للتتار والصليبيين على المسلمين، مما أدى إلى استباحة المدن الإسلامية مثل بغداد، وبلاد الشام [2]، وقد بين رسول الله ﷺ حرمة دم المسلم في قوله: {الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ} [3].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الإسماعيلية، فاكلييري Vaglieri ، ج776/3- 777.

(2) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي، ح24/1-25، والمنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، ص67.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، 1986/4، حديث رقم2564.

ب. ادعاء أن أركان الإسلام هي المبادئ الأساسية للمذهب الباطني.

تدعي المستشرقة (فاكلييري Vaglieri) أن المذهب الإسماعيلي الباطني لا يحيد عن المبادئ والتعاليم الإسلامية، مستدلة على ذلك ببعض الكتب الإسماعيلية، ويرد على ادعائها:

- أن عقائد المذاهب الباطنية ومنها الإسماعيلية تقوم على إنكار الصفات[1]، والقول بالحلول أي حلول الذات الإلهية في البشر، فعندهم الآلهة التي حلت بهم روح الله هم الأئمة المستورون، ولا يؤمنون بوجود الملائكة، ويقولون إن النبوة مكتسبة، والجنة والنار هما عبارة عن نعيم وعذاب روحي يتم عن طريق تناسخ الأرواح.
- كما أنهم يؤلون النصوص القرآنية بقولهم إن للقرآن ظاهر وباطن[2]، كذلك الشريعة لا حقيقة لها عندهم، فالعبادات كالصلاة والصوم والزكاة والحج أولوا معانيها، فالصلاة عندهم طاعة الإمام وأخذ العلم منه، والصوم ستر المذهب، والحج هو قصد الإمام ومعرفة الأئمة[3].
- وقد ذكر البغدادي بأن ضررهم على المسلمين أعظم من ضرر جميع أصناف الكفر من يهود ومجوس ودهرية وغيرهم، وكذلك أعظم من ضرر الدجال[4]، فالباطنية ليست مذهباً إسلامياً أو فرقة من فرق أهل الإسلام، وقال عنهم ابن تيمية: " وأما ملاحدة الشيعة من القرامطة الباطنية والإسماعيلية والنصيرية ونحوهم فأولئك أمرهم أظهر من أن يخفى على من عرف حالهم ممن فيه نوع إيمان بالله ورسوله ولهذا كثر الكاشفون لأسرارهم، الهاتكون لأستارهم، من جميع أصناف أهل القبلة، حتى الشيعة والمعتزلة ونحوهم فإنهم متفقون على تكفيرهم، كما اتفق على تكفيرهم أئمة السنة، ومن انتسب إليهم من متكلمة الإثبات وغيرهم"[5]، وهذا يرد على قول المستشرقة (فاكلييري Vaglieri) قولها بأن مبادئ المذهب الباطني هي أركان الإسلام، وكذلك ادعائها أنه ثمرة مثلى للعقل الإسلامي، ربما التبس على المستشرقة أنهم يؤمنون بالظاهر والباطن، وأن ظاهرهم متفق مع أهل السنة؛ بينما باطنهم مخالف للعقائد الإسلامية.

---

(1) انظر: راحة العقل، الكرماني، ص147-148.

(2) انظر: دامغ الباطل وحتف المناضل، علي بن الوليد،ج64/1، والهفت الشريف، المفضل بن عمر الجعفي، ص12-13، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج387/1 .

(3) انظر: فضائح الباطنية، الغزالي، ج44/1-46، والإسماعيلية تاريخ وعقائد، إحسان إلهي ظهير، ص278-313، 421-426، 453-455.

(4) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص265-266.

(5) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج8/5.

3. **النقد المنهجي:**

خالف المستشرق (إيوار Huart) والمستشرقة (فاكلييري Vaglieri) المنهجية العلمية بالعديد من الأمور، كما يتضح فيما يلي:

أ. المنهجية العلمية الموضوعية تتطلب أن يكون الباحث محايداً، وعلى دراية بالموضوعات التي يتناولها في بحثه، ومستقصياً للحقائق، وهذا ما ندر وجوده عند الحديث عن الإسماعيلية باعتبارها من الحركات المقبولة في الإسلام، واعتبار عقائدها نابعة من خلاله.

ب. الاستدلال بمصادر مذاهب الفرق الفاسدة، كاستشهادهم بكتب الإسماعيلية مثل كتاب (راحة العقل) وكتاب (كنز الولد) لإثبات صحة عقائدهم والانتصار لهم، رغم أن هناك كتبًا متوافرة من الكتب الإسلامية الأصيلة التي توضح عقائد أهل السنة والجماعة، وتبين المخالفات العقدية للفرق الباطنية التي كانت سببًا في تكفير أهل الملة لهم.

ج. الاستدلال بمصادر موهومة على عقائد المسلمين، كالاستدلال بمعتقدات الفرق الباطلة، مثل: الإسماعيلية وغيرهم، والادعاء بأنها لا تخالف عقائد أهل السنة، غايته تشويه عقائد المسلمين في نظر الأوربيين خاصة، لخدمة الهدف الذي وضعت من أجله دائرة المعارف الإسلامية.

د. الانتقائية في الاستدلال، ويتضح ذلك من خلال استشهاد المستشرق(إيوار Huart) بموقف شخصي إيجابي للمستشرق(روسو) مع بعض الأشخاص من الطائفة الإسماعيلية، وذلك لخدمة وجهة نظر المستشرق، ومبدأه وهو نصرة المذهب الاسماعيلي.

ثانياً: محاولة إثبات عدم خروج الفلاسفة عن المنظومة الإسلامية.

استخدم المستشرقون عدة أساليب في غزوهم الفكري للمسلمين، ومن ذلك استغلالهم للطوائف الخارجة عن الإسلام، وتبنيهم نصرتها وتمجيد أهلها، والدفاع عن عقائدها، بطريق مباشر؛ أو غير مباشر، ويظهر ذلك واضحاً في دائرة المعارف الإسلامية حيث لا يخفى إعجاب بعض المستشرقين بالفلاسفة؛ خاصة الإسلاميين منهم كابن سينا؛ والفارابي؛ والكندي؛ وغيرهم.

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق (أرنالديز [1] R.Arnaldez) في مادة (الفلاسفة)، قوله: "غير أن الفلاسفة

---

(1) روجر أرنالديز R.Arnaldez: (1911-2006م)، عمل أستاذاً فرنسياً للدراسات الإسلامية، وهو عضو في أكاديمية العلوم والأخلاق السياسية، من مؤلفاته: "الحلاج أو الدين المسيح"، و"يسوع ابن مريم نبي الإسلام"، و"محمد". انظر: روجر أرنالديز، ويكيبيديا الموسوعة الحرة (موقع إلكتروني).

في واقع الأمر ظلوا مسلمين مخلصين، وما فتئوا قريبي الصلة بالمتكلمين، وبعناصر التصوف التي لا تخالف تعاليم القرآن، أما عن التراث اليوناني فقد تأثر به العالم الإسلامي في عمومه ولم يكن مقصوراً على الفلاسفة وحدهم، لذلك كان من المحال اعتبار الفلاسفة فرقة تشذ عن الحركة الثقافية والروحية التي تعد مفخرة للعالم الإسلامي "[1]، ويظهر في النص السابق محاولات المستشرق (أرنالديز Arnaldez) الجاهدة في إثبات عدم مخالفة الفلاسفة للإسلام، وأن التراث اليوناني كان له دور كبير في النهضة الثقافية والروحية للعالم الإسلامي.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

شجع بعض حكام المسلمين في مرحلة الترف الفكري العلماء على ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية مثل المأمون، ونتج عن ذلك تأثر معظم الفرق الإسلامية الكلامية بالفلسفة اليونانية، مما أدى إلى إفساد عقائد المسلمين، وظهور الانحرافات الفكرية العقائدية، ومن أشهر الفلاسفة المنتسبين للإسلام: الفارابي، وابن سينا ولقد كان لعلماء المسلمين وقفة مع التراث اليوناني، وتأثر الفلاسفة المسلمين به، ويتضح ذلك فيما يلي:

أ. الحكم بسلامة معتقد الفلاسفة.

وظهر هذا جلياً في دعواه أن الفلاسفة مسلمين مخلصين، وهذا الأمر يحتاج إلى نظر، لكون علماء الإسلام نقضوا بعضًا من أفكار الفلاسفة، وقد جزموا بكفر بعضهم ، ومن مقالاتهم الفاسدة التي أدت لتكفير العلماء لهم: قولهم بقدم العالم[2]، وإنكارهم الصفات الثبوتية لله تعالى[3]، وإنكارهم علم الله تعالى بالجزئيات[4]، لذلك كان هناك اختلاف بين الفقهاء، وعلماء المسلمين في الأخذ من الفلسفة اليونانية وتعلمها ما بين مُحرم ومُجيز ولكن بقيود، وليس كما يحاول المستشرق (أرنالديز Arnaldez) أن يوهم القارئين:

- وقد حرمها العديد من العلماء، منهم ابن نجيم الحنفي[5]، وزكريا الأنصاري

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الفلاسفة، أرنالديز Arnaldez، ج7891/25

(2) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، ص88-96.

(3) انظر: المرجع السابق، ص172-174.

(4) انظر: تهافت الفلاسفة، الغزالي، ص206-210، والرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص477-478.

(5) ابن نجيم الحنفي: ابن نُجَيْم، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، (ت:970هـ)، فقيه حنفي، من علماء مصر، له تصانيف منها: "الأشباه والنظائر"، و"البحر الرائق". انظر: الأعلام، الزركلي، ج64/3.

الشافعي[1] حيث ذكرا أن تعلم علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبائعيين والسحر حرام[2]، ويستثنى من التحريم دراستها لأهل الاختصاص، لبيان ما فيها من الانحراف، والرد على ما تثيره من الباطل، لا سيما ما يتصل بعلم العقيدة.

- ومن أجاز من العلماء تعلمها ولكن دون إطلاق الإمام ابن تيمية، فهو لم يقف من الفلسفة اليونانية موقفًا موحدًا، بل قسمها ثلاثة أقسام وهي الإلهيات" الميتافيزيقيا" وهو يرفض هذا القسم، والطبيعيات ويرى أنه يجوز الأخذ من هذا القسم مع عدم ربطه بالميتافيزيقيا اليونانية، والرياضيات ويرى وجوب الأخذ منه[3]، فابن تيمية لا ينفي الإنتاج الفكري للفلاسفة خاصة الإسلاميين، بل يقرر "أنه كان في كل من هؤلاء من الإلحاد والتحريف بحسب ما خالف به الكتاب والسنة، ولهم من الصواب والحكمة ما وافقوا فيه ذلك"[4].

ب. ادعاء عدم خروجهم عن المنظومة الإسلامية.

يدعي المستشرق (أرنالديز Arnaldez) استحالة خروج الفلاسفة عن الحركة الروحية للإسلام، في حين بين ابن أبي العز شارح الطحاوية مذهب الفلاسفة اليونان، فإن الله ﷻ عندهم موجود لا حقيقة له ولا ماهية، ولا يعلم الجزئيات بأعيانها ولكنه يعلمها إجمالياً، وأدى اعتقادهم هذا إلى إنكارهم خلق أفعال العباد، ولا يؤمنون بالكتب السماوية لأنهم ينكرون صفة الكلام لله، والقرآن فيض فاض من العقل الفعال على قلب بشر زكي النفس طاهر، وينكرون بذلك واسطة الوحي جبريل، وينكرون اليوم الآخر وأهوال يوم القيامة، والجنة والنار ويدعون أنها لا حقيقة لها بل هي أمثلة مضروبة لتفهيم العوام[5]، ويرجع ذلك إلى أنهم عدوا الطرق الفلسفية أحد مصادر المعرفة في القضايا الغيبية التي لا يتم معرفتها إلا بالوحي، وهنا يتناقض المستشرق(أرنالديز Arnaldez) مع قوله السابق: " أما عن آراء الفلاسفة في الإلهيات فهي بصراحة سيئة، لأنها تعلمنا أن الأجساد لن تبعث يوم القيامة، بل إن الذى سينال الثواب

---

(1) زكريا الأنصاري الشافعي: أبو يحيى، زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي،(823 – 926 هـ)، قاض مفسر، من حفاظ الحديث، تولى القضاء ثم تركه، واشتغل بالعلم، من مؤلفاته: "فتح الرحمن في التفسير"، و"تحفة الباري على صحيح البخاري". انظر: الأعلام، الزركلي، ج46/3.

(2) أسنى المطالب في شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري، ج182/4، غمز عيون البصائر، الحموي، ج125/4.

(3) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ج143/1-144.

(4) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ص356.

(5) لمزيد من التفصيل انظر: العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص77، 297.

والعقاب هو الأرواح بغير أجساد، وأن الجزاء روحي، وليس بدنياً وأن العالم قديم، وأن اللَّه يعلم الكليات فحسب، وهذا كفر صريح"[1].

3. **النقد المنهجي:**

خالف المستشرق (أرنالديز Arnaldez) المنهجية العلمية في العديد من الأمور التي لا يمكن تجاوزها، ومن ذلك:

أ. تزوير الحقائق، بادعائه عدم مخالفة الفلاسفة للقرآن كالمتكلمين، والصوفية، وقد أورد كثير من علماء أهل السنة والجماعة مخالفات كثيرة لغلاة المتكلمين، والصوفية البدعية.

ب. تعميم الحكم، وذلك باعتبار الفلاسفة مسلمين مخلصين، في حين أن العلماء قد بينوا تجاوزات بعض الفلاسفة، كابن سينا، وحكموا عليهم بالكفر.

ج. نصرة أفكار فاسدة من التراث اليوناني، دون بيان مآخذها، وادعاء تأثر جميع المسلمين بها، أي أنهم كلهم مجرد نقلة لا يميزون بين صحيحها وفاسدها.

ثالثاً: الدعوة لإعادة إحياء الفرق القديمة بإحياء أفكارها.

كان اهتمام كثير من رواد العقلانية الحديثة مُنصبًّا على إحياء الفرق، والنحل القديمة المنحرفة؛ وتمجيدها؛ بالأخذ بمنهجها وأصولها؛ وتتبع آثارها؛ والدفاع عنها؛ والدعاية لها باسم التسامح الديني، وحرية الفكر والاعتقاد، ومن المعلوم أن كثيرًا من العقلانيين المحدثين تتلمذوا على يد المستشرقين ورثة الفكر اليهودي؛ والنصراني؛ والوثني؛ واليوناني، واستمدوا منهجهم، وأساليبهم، ومصطلحاتهم منهم [2]، وهذا يتضح في مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية على النحو التالي:

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق (فان.س j.Van Ess) في مادة (المعتزلة)، قوله: " ويمكن القول إن الفكر المعتزلي يعاد اكتشافه في القرن العشرين، بعد قرون من الخمود، حيث تبذل جهود لإعادة بلورته، خاصة في مصر، فأحمد أمين[3](1936م) يفرد لهم في مؤلفه "ضحى الإسلام"،

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الفلاسفة، أرنالديز Arnaldez ، ج25/ 7890.

(2) انظر: الجهمية والمعتزلة نشأتهما، أصولهما، وموقف السلف منهما، قديماً وحديثاً، العقل، ص7، ص205–207.

(3) أحمد أمين: (1878 – 1954 م) عالم بالأدب، والتاريخ، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق وبغداد ومجمع اللغة بالقاهرة، من المكثرين بالتصنيف، أشرف على (لجنة التأليف والترجمة والنشر)، من مؤلفاته: "ضحى الإسلام"، "فجر الإسلام". انظر: الأعلام، الزركلي، ج1/101–102

فصلاً كاملاً يبين فيه فضلهم في الدفاع عن الإسلام، ويقول إن اختفاءهم كان من أكبر نكبات الإسلام، وأنهم ارتكبوا ذنبًا في حق أنفسهم، كما يدافع عنهم زهدي حسن جار اللَّه[1](مصر 1947م) دفاعاً مجيداً في مؤلفه "المعتزلة" فهو يرى أن التخلص منهم، هو انتصار للظلاميين، وسبب من أسباب الانحطاط العربي، ويعتبرهم الكثير من المفكرين المعاصرين، ربما بدرجة مبالغ فيها، أنصار حرية الرأي والتعبير" [2]، وبهذه الأقوال يظهر لكل ذي لب محاولة المستشرق (فانVanEss) الترويج للفكر الاعتزالي، من خلال إبراز آراء كل من (أحمد أمين)؛ و(زهدي جار الله) في المعتزلة، ونصرتها، والدفاع عنها رغم المآخذ المتعددة عليهما.

2. النقد العلمي للمضمون:

العديد من المستشرقين لم يكونوا يدرسون تاريخ الإسلام كوحدة مترابطة متكاملة؛ بل يستخدمون المنهج الانتقائي للدراسة، ويختارون ما يوافق أهواءهم ويحقق أهدافهم، ومن ذلك تركيزهم على الجانب السلبي للتاريخ الإسلامي المتمثل في الفرق المبتدعة، وكذلك تبني الأشخاص الذين يعملون على إحياء أفكار وآراء هذه الفرق المبتدعة، وفي ذلك يقول أنور الجندي: " إن المنهج الغربي الوافد يتحدث في حفاوة ضخمة عن الاعتزال والمعتزلة، ويرى سقوطهم كان مصدر خطر كبير على الفكر الإسلامي، وأن منهجهم هو أصدق المناهج التي عرفها هذا الفكر"[3]، ومن مغالطات المستشرق (فان إس VanEss):

أ. ترويج فكر المعتزلة بإبراز رواده المعاصرين.

أورد المستشرق (فان إسVanEss) موقف كل من (أحمد أمين)، و(حسن جار الله) من الفكر الاعتزالي، وسعيهم إلى إحيائه مع اقصائه لموقف أهل السنة والجماعة من المعتزلة، ومن هؤلاء الأشخاص الداعين لنصرة الفكر الاعتزالي، ومن خلال ما سبق لا بد من توضيح بعض الأمور، منها:

- لا بد من التنويه إلى صحة ما أورده المستشرق (فان إس VanEss) من وجود دعوات في القرن العشرين لإعادة إحياء وبيان الأصول الاعتقادية، والقواعد المنهجية للفكر الاعتزالي

---

(1) زهدي جار الله: ولد في القدس (1914م)، درس التاريخ، استقر بعد النكبة في لبنان، وعُيّن مديراً لمؤسسة الشرق الأوسط للتحرير والترجمة والنشر، من مؤلفاته: "الشخصية الأمريكية، و" صرخة الروح" و"المعتزلة". انظر: زهدي جار الله، مؤسسة القدس للثقافة والتراث (موقع إلكتروني).

(2) دائرة المعارف الإسلامية، المعتزلة، فان إس VanEss، ج30/ 9388.

(3) أخطاء المنهج الغربي الوافد، الجندي، ص129.

[1] بعد أن عفى عليه الزمن، تحت عدد من المسميات العصرية مثل العقلانية، والتجديد، والتحرر الفكري، والتيار الديني المستنير وغير ذلك من المسميات الساطعة.

- لا يمكن تجاهل أن هذه الدعوات ذريعة يهدف أصحابها من ورائها لنشر آرائهم الفاسدة، مستترين تحت مسمى الاعتزال لدس السم في الفكر الإسلامي السوي، والقضاء على عقيدة المسلمين من خلال إلباس الحق بالباطل.

- من أهم الأسباب التي ساعدت على ظهور تلك الدعوات الاختلاط بين الشرق والغرب عن طريق البعثات التعليمية، حيث تبنى تلامذة البعثات الفكر الاستشراقي، وتأثروا بالحضارة الأوربية، ونقلوا ذلك في كتبهم بقصد أو بدون قصد دون مراعاة لاختلاف الفكر الإسلامي عن الفكر الأوروبي[2].

ويُلحظ من خلال ما أورده المستشرق (فان إس VanEss) عن موقف أحمد أمين من المعتزلة [3] بُعد فكره عن الفكر الإسلامي المستمد من أحاديث رسول الله ﷺ التي تقرر أن الطائفة الناجية هي طائفة الحق؛ وليس المعتزلة التي بيّن العديد من العلماء انحرافها الفكري العقدي [4]، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما قَالَ: {أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ}[5]، وكذلك موقف (زهدي جار الله) منهم، فقد طلب من الكُتاب ورجال الفكر أن يعتنوا بالمذهب الاعتزالي وأهله، ولا يتحاملوا عليهم كالسابقين من كُتاب السنة[6].

ويرد على أقوال كل من(فان إن VanEss)؛ و(أحمد أمين)؛ و(زهدي جار الله) بأن العلماء قد ذكروا مخالفات عديدة للمعتزلة، منها تأويل نصوص القرآن الكريم نتيجة تقديمهم العقل على النقل، وترك السنة، ونشر البدع؛ والضلالات، التي كانت أحد أسباب تفريق الأمة، وتشتيتها.

---

(1) المعتزلة، جار الله، المقدمة، ص (ك).

(2) انظر: الإسلام والحضارة الغربية، حسين، ص18.

(3) لمزيد من التفاصيل: انظر: ضحى الإسلام، أمين، ج202,207/3

(4) لمزيد من التفاصيل انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص93-100، والملل والنحل، الشهرستاني، ص31، 43-46.

(5) سنن أبي داود، أبو داود، 198/4، حديث رقم 4597، سنن الدارمي، الدارمي، ج1636/3، حديث رقم2560. صححه الترمذي والحاكم والذهبي وابن كثير والحافظ ابن حجر والشاطبي.

(6) انظر: المعتزلة، جار الله، ص (م).

ب. اتهام أهل السنة والجماعة بالحجر على العقل.

اتهام أهل السنة والجماعة أنهم كانوا يقفون بالمرصاد لمحاولات إعمال العقل في مجال الطبيعة والحياة، بينما يشهد التاريخ أن الصراع بين أهل السنة وبين غيرهم من الفرق الضالة كان بسبب إدخال العقل في مجال الغيب" الميتافيزيقيا"، ومحاولة تحكيمه في نصوص الشارع الثابتة، أما في مجال العلوم الطبيعية والتجريبية فإنهم من أوائل من دعوا إلى إعمال العقل، فشعار الدين الخاتم "اقرأ"، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَت﴾ الغاشية17، فهذه دعوة لإعلاء شأن العقل والتفكير والعلم وطلبه وتعليمه أوّل المبادئ لترقّي معراج الكمال الإنساني الذي جاء به الإسلام.

3. النقد المنهجي:

ومن أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق (فان إن VanEss) ما يلي:

أ. الإعلاء من شأن فكر محصور، وذلك بالترويج للمفكرين المعاصرين المناصرين للفكر الاعتزالي أمثال أحمد أمين، وزهدي جار الله، وذلك بإبرازهم، والترويج لكتبهم، ومقالاتهم التي تخدم أهدافهم.

ب. تزييف الحقائق، وذلك بالتغافل عن مخالفات المعتزلة العقائدية، التي كانت السبب في محاربة أهل السنة لهم، واضمحلال فرقتهم.

ج. محاولة التشكيك في أمانة علماء أهل السنة الذين بينوا الانحرافات العقدية في المذهب الاعتزالي دون دليل، واتهامهم بالتعصب ضد المعتزلة، وعدم إدراكهم لواقع الحركات الدينية الخارجة عن مذهب أهل السنة[1]، ثم جاء من أصحاب الاتجاه العقلي من ردد هذه الافتراءات[2].

من خلال ما سبق يظهر مدى انحياز المستشرقين للفرق المخالفة للإسلام كالباطنية مثل الإسماعيلية، وغلاة المعتزلة، والفلاسفة، ويتضح ذلك من خلال نصرة عقائدهم وآرائهم الفاسدة المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة.

---

(1) انظر: المعتزلة، جار الله، ص23.

(2) انظر: المرجع السابق، ص (ك)، ص222-223.

الفصل الثاني:
منهجية المستشرقين الاستدلالية على الأصول الاعتقادية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثاني:

منهجية المستشرقين الاستدلالية على الأصول الاعتقادية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

اهتم المستشرقون بدراسة المعارف الإسلامية، وخاصة العقائد الإسلامية، وقليل منهم المنصفون، ومنهم خلاف ذلك، وعُد إنتاجهم العلمي عند بعض المتعلمين والمثقفين من المصادر الأصيلة، لا سيما الذين لا يعلمون عن ثقافتهم إلا القليل، والتي لا تؤهلهم للتفريق بين الغث والسمين، والحق من الباطل، حتى إنهم انبهروا بالمستشرقين وتراثهم المعرفي، لذا سيتم في هذا الفصل تتبع بعض مقالات المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية خلاصة الفكر الاستشراقي المعاصر، لمعرفة منهجيتهم الاستدلالية عند تناولهم المسائل العقدية عند أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول:
مخالفات المستشرقين للمناهج العلمية في الاستدلال من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

لا يمكن إغفال أن المستشرقين اهتموا بدراسة العقيدة اهتماماً بالغاً، ويظهر ذلك جلياً في دائرة المعارف الإسلامية، فالعقيدة مجال خصب رتع فيه المستشرقون سواء بالبحث، أو التحليل، أو النقد، وقد ظهر من خلال مقالاتهم أن المنهج الاستشراقي العام لدراساتهم يكاد يكون غير علمي بسبب أنه بعيد عن الموضوعية والحيادية، وذلك لأنهم حللوا الإسلام ودرسوه بالعقلية الأوروبية المادية، أو العقلية اللاهوتية المؤدلجة، التي كان لها أثر واضح في ترسيخ قناعاتهم الدينية؛ وخلفياتهم الفكرية في مجال البحث.

المطلب الأول: الفصل المطلق بين المناهج العلمية المتداخلة.

هناك مناهج علمية متعددة ومختلفة في البحوث العلمية، وهذه المناهج تتسم بالوحدة والتكامل فيما بينها، فهي خطوات متدرجة في المنهج العام، ويتم اللجوء إلى تقسيمها بحسب الحاجة البحثية [1]، كما أنه يستحيل الفصل بين المناهج المختلفة عند دراسة أي علم من العلوم[2].

ومن أبرز المناهج العلمية التي غالباً تستخدم في دراسة العقيدة الإسلامية: المنهج الاستقرائي[3]، والمنهج الوصفي التحليلي[4]، والمنهج الاستنباطي[5]، والمنهج التاريخي

---

(1) انظر: مناهج البحث العلمي، بدوي، ص16.

(2) انظر: المرجع السابق، ص13.

(3) المنهج الاستقرائي: هو المنهج الذي يقوم على جمع البيانات، من أجل الربط بينها بمجموعة كلية من العلاقات الكلية العامة، ويتميز بالانتقال من الجزء نحو الكل، ومن الخاص إلى العام، انظر: مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، سعيدان، ص21، ص78.

(4) المنهج الوصفي: عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها، وهو من أهم المناهج المتبعة في البحث العلمي. انظر: البحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، دويدري، ص183، ومناهج البحث العلمي، بدوي، ص19 .

(5) المنهج الاستنباطي: هو استدلال من العام إلى الخاص، أو من الكل إلى الجزء، ويبدأ من النظريات أو المسلمات، ويستنبط منه ما يصدق على الكل، وما ينطبق على الجزء المبحوث، ويصدق على الجزء. انظر: البحث التربوي خطوة بخطوة، السنيدي، ص8.

"الاستردادي"[1]، والمنهج النقدي [2].

وسيتم في هذا المطلب تتبع بعض النماذج من مقالات المستشرقين الخاصة بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية، لمعرفة مدى التزامها بالمناهج العلمية في الاستدلال، ومن هذه النماذج:

أولاً: الترويج للمخالفات التي وقع فيها الغزالي.

يعد الغزالي من أئمة المذهب الأشعري، ومن علماء المسلمين، الذين يُشهد لهم بالذكاء والعبقرية، والذين قدموا كثيرًا من العلوم النافعة التي لا يمكن إنكارها[3]، وقد مر الغزالي في حياته العلمية بعدة أطوار معرفية مختلفة[4]، وفي طور من أطوار حياته اتجه إلى الفلسفة؛ وحاول إظهارها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية، ولهذا فقد رد عليه علماء المسلمين حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي فإنه قال: "شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر، وقد حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه"[5]، ومن تلك الكتب "إحياء علوم الدين"، الذي يروج له المستشرقون؛ ويثنون عليه؛ كما يتضح في النصوص التالية:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد D.B.Macdonald) في مادة (الله جل جلاله) تحت عنوان: **(مذاهب المسلمين في ذات الله تعالى)** قوله: "وكانت المهمة التي نهض لها الغزالي أن أقام بناء مذهب صوفي لَطَّفَ فيه من القول بوحدة الوجود أو هو قضى عليه قضاء تامًّا، وجعل

---

(1) المنهج التاريخي: عبارة عن الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي، والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه، وزواياه، كما كان عليه زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه. انظر: مناهج البحث العلمي، بدوي، ص183-184، والبحث العلمي أساسياته النظرية وممارساته العلمية، دويدري، ص151.

(2) المنهج النقدي: يقوم هذا المنهج على تحليل وتفسير الأفكار والآراء بما تحواه من براهين وحجج للوصول إلى استنتاجات علمية تكشف عن الحقائق. انظر: المنهج النقدي في استخدام الأسلوب العلمي، سفيان، (موقع إلكتروني).

(3) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج322/19 .

(4) لمزيد من التفاصيل انظر: الاتجاه الصوفي عند الغزالي، سهام خضر.

(5) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج4/ 66.

كشف أهل التصوف مصدرًا من مصادر علم الكلام الإسلامي إلى جانب النقل والعقل" [(1)]، وقوله أيضاً: "ولذلك صار (الغزالي) عند جمهور المسلمين، ولا يزال إلى اليوم أعظم الفقهاء،...وإذا ما خالفه أحد متكلمي الإسلام اليوم، فإنه يؤثر أن يصف الرأي الذى يرفضه بأنه فهم خافٍ لرأى الغزالي الحقيقي، ولذلك يدرس المسلمون كتابه (إحياء علوم الدين) بشغف عظيم إلى جانب مذاهب أهل الحديث الراسخة... ولما كان جميع المسلمين اليوم –ما عدا المتطرفين– يأخذون بما يقوله الغزالي في أمر العقائد الإسلامية ويقدرونه تقديرًا كبيرًا "[(2)]، ومما سبق من النصوص قام المستشرق (ماكدونالد Macdonald) يسوق مجموعة من القضايا التي فيها نظر، ومنها بيان أن الغزالي لَطَّفَ من وحدة الوجود؛ أو قضى عليها، وجعل التصوف من مصادر التشريع، كما أنه أطرى على (الغزالي)، وكتابه (الإحياء)، وعدَّهما مرجعية للمسلمين، في حين أن علماء المسلمين كانت لهم آراء متباينة في (الإحياء)، وفيما يلي سيتم إيضاح المغالطات التي أوردها المستشرق، مع العلم بأن أخطاء الغزالي قليلة إذا وضعت في مقابل فضائله الكثيرة التي شهد لها علماء عصره، لذا من العدل والإنصاف الموازنة بين ما أخطأ فيه وما أصاب.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

ساق المستشرق (ماكدونالدMacdonald) العديد من المغالطات، وسيتم بيانها على النحو الآتي:

أ. عد الكشف مصدرًا من مصادر علم الكلام.

يحاول المستشرق (ماكدونالد Macdonald) الترويج للمذهب الصوفي، وذلك من خلال إيراده بعض المعلومات المضطربة عن موقف الغزالي من التصوف، ومن وحدة الوجود، ذاكراً أن الغزالي جاء للتلطيف من القول بوحدة الوجود، أو هدم هذه العقيدة، وأنه جعل الكشف مصدرًا من مصادر علم الكلام الإسلامي؛ – وكما هو معلوم أنهم يطلقون على علم الكلام علم التوحيد–، بجانب العقل والنقل، وكان ذلك سببًا في رفع قدر الغزالي عند المسلمين، ويرد على ما سبق:

- إنه لا يمكن إنكار موقف الغزالي من الكشف، فقد اعتبر أن (علم المكاشفة) هو علم الباطن، وعلم الصديقين والمقربين، وبيّن أنه نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الله جل جلاله، ماكدونالد Macdonald، ج4/ 1026.

(2) المرجع السابق، ج4/ 1026–1027.

صفاته الذميمة، وقال فيه: "فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحًا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه" [1]، ولكن لا يعني ذلك تأييد أهل السنة والجماعة لموقفه.

- كما أنه من المعلوم أن مصادر التلقي عن المسلمين هي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، أما الكشف فهو من مصادر التلقي عند الصوفية لا عند غيرهم من أهل الكلام؛ ويعتمدون عليه في تحصيل العلوم والمعارف، وقد نقل ابن الجوزي ذم صوفية الكشف للعلم والعلماء، حيث رأوا الاشتغال بالعلم بطالة، وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال، وكذلك رأى كثيراً منهم أن العالم مَا اكتسب من البواطن حتى إن أحدهم يتخايل لَهُ وسوسة فيقول حَدَّثَنِي قلبي عَنْ ربي[2]، وبهذا يتضح أن طريق المكاشفة بعيد كل البعد عن كونه وسيلة من وسائل العلم الشرعي، كما أنه ليس مصدرًا للتشريع، بل في العديد من المكاشفات ما يتعارض مع الكتاب والسنة، ويؤدي إلى إسقاط التكاليف[3].

ب. ادعاء أن مصنفات الغزالي مرجعية معرفية مهمة عند المسلمين.

لا يمكن إنكار مكانة الغزالي عند المسلمين، فقد لُقب بحجة الإسلام، كان شديد الذكاء، وقد برع في الفقه، ولكنه أخفق في علوم أخرى كالتصوف، والفلسفة، وليس كما يوهم المستشرق أنه أعظم الفقهاء، بل هناك من هو أفقه منه، وقد ذكر العلماء منهم المازري، والقاضي عياض أن الغزالي كان عالم بالفقه، أما بالتصوف فإنه جرد نفسه لنصرة مذهب المغالين، وألّف في سبيل ذلك بعض المصنفات منها (الإحياء) الذي يحوى كثيرًا من الواهيات، والأمور الشنيعة مما أدي إلى الإفتاء بحرق هذه المصنفات [4] .

ويمكن الخلوص مما سبق أن الغزالي له وعليه، ولا معصوم إلا رسول الله ﷺ، ومن الأدلة على أن له مخالفات، كتابه (الإحياء) الذي تباينت تجاهه الآراء، وسبب هذا التباين أن فيه نفعاً كثيراً، وفيه من الطامات والبلايا ما يمنع من قراءته، إلا ممن له خبرة ودراية بعقائد الصوفية والحلولية والفلاسفة، ممن تحصن بعقيدة السلف الصالح، وقد انقسم العلماء في موقفهم منه إلى ثلاثة أقسام:

---

(1) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج1/19-21.

(2) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص284.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير اليماني، ج8/282-303، مصرع التصوف، البقاعي، ج1/188-195.

(4) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج19/ 341,327.

- مدحه قوم حتى غالو في مدحه، وقالوا: "من لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء"[1].
- وذمه قوم حتى أفتوا بحرقه ومنع قراءته[2]؛ كالمازري، والطرطوشي [3].
- فريق توسط عند تناولهم كتاب " الإحياء"، ومنهم ابن تيمية؛ حيث ذكر أن في الكتاب فوائد كثيرة، منها الفصول التي عني فيها الغزالي بقواعد السلوك الأخلاقي في الإسلام كفصول " المهلكات والمنجيات" [4]وكذلك فيه مواد مذمومة، من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، وفيه أحاديث وآثار ضعيفة وموضوعة [5]، وفيه من أغلاط وترّهات الصوفية [6]، والذهبي يقول عنه: "أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب، ورسوم، وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً نافعاً[7]".

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي وقع فيها المستشرق (ماكدونالدMacdonald) :

أ. استخدام المنهج الانتقائي[8]، كما فعل المستشرق (ماكدونالد Macdonald) خلال تعامله مع كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، دون بيان إيجابياته وسلبياته، وكان من باب أولى استقراء جميع الآراء في المسائل العقدية التي تناولها الغزالي ومنها الكشف، واستنباط

---

(1) انظر: كتاب الغزالي (الإحياء) في الميزان، رؤية نقدية ووقفة موضوعية، ملتقى أهل الحديث، (موقع إلكتروني).

(2) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج327/19.

(3) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج241/6-243.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج550/10-551.

(5) برر ابن تيمية موقف الغزالي من إيراده أحاديث ضعيفة بأنه لم ينشأ بين محدثين، لم يتلق الحديث عن أصحابه، وكذلك اعترف الغزالي نفسه أنه لم يكن محدثاً، قائلاً: " أنا مزجي البضاعة في الحديث". انظر: ابن تيمية والتصوف، مصطفى حلمي، ص296، والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ العراقي، ص7.

(6) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج551/10-552.

(7) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج339/19.

(8) المنهج الانتقائي: هو منهج يتم من خلاله اعتماد رأي أو فكرة أيًا كان مصدرها؛ يمتاز بالانتقائية في اختيار المصادر والروايات حتى لو كانت شاذة أو ضعيفة، المهم أن تتناسب مع النتائج المقررة عند المستشرق، يتم خلاله التركيز على السلبيات، وإهمال الإيجابيات. انظر: مقالًا بعنوان: مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، ثائر الحلاق، ص290 ،مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، أمجاد الربيعة.

الأخطاء العقدية التي خالف فيها الغزالي منهج أهل السنة والجماعة، ثم ترجيح الرأي الصواب مع الدليل على صحته، وليس التسليم بأن الكشف من مصادر التشريع.

ب. مخالفة المنهج المطلوب في الدراسة، كان لا بد للمستشرق(ماكدونالدMacdonald) اتباع المنهج الاستقرائي، والاستنباطي، والنقدي، لأنه تناول هنا كتابًا معروفًا يسهل استقراؤه، وبيان ما فيه من حق وباطل.

ج. التناقض بين المستشرقين، فهنا المستشرق ماكدونالد(ماكدونالدMacdonald) يشيد بكتاب الإحياء ومؤلفه الغزالي، في حين أن المستشرق (كارديهGardet) اعتبره رائد الفرقة الإسماعيلية الباطنية [1]، وهذا دليل على مخالفتهم للمنهج العلمي.

د. استخدام أسلوب التشكيك، مثل قوله: "أقام بناء مذهب صوفي لطف فيه من القول بوحدة الوجود أو قضى عليه قضاءً تاماً"، " قد يكون الغزالي صاحب مذهب"، وغير ذلك من عبارات التشكيك.

هـ. إغفال بعض المناهج الضرورية في مثل هذا المقام، المختلف فيها بين المدارس الفكرية الإسلامية، كالمنهج التحليلي، والمنهج النقدي من جهة المخالفين، أو المنهج المقارن بين المختلفين.

و. التحيز لبعض الشخصيات، والكتب، ومن ذلك تحيز المستشرق لطور معرفي من أطوار شخصية الغزالي، ولكتابه الإحياء، وهذا مخالف للمنهجية العلمية التي تتسم بالإنصاف والموضوعية عند كتابة البحث العلمي.

يمكن الخلوص مما سبق إلى أن المستشرق قد فصل بين المناهج العلمية، فقد استخدم المنهج الاستقرائي بصورة انتقائية اجتزائية، وكان يجدر به أن يستخدم المنهج الاستقرائي الشمولي، والمنهج الاستنباطي النقدي، لأن الكِتاب فيه مباحث ومسائل ضعيفة، وأوهام قد وقع فيها الغزالي، وقد وضح العديد من العلماء ذلك، لذا كان على المستشرق حتى لا يقع في مخالفات علمية التنويه إلى ما فيه من إيجابيات وسلبيات.

ثانياً: التشكيك في حادثة الإسراء والمعراج.

لا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات الله العظيمة الدالة على صدق محمد ﷺ، وعلى علو منزلته عند الله ﷻ ، كما تعتبر من الدلائل على قدرة الله، قال الله سبحانه وتعالى:

---

(1) انظر: الفصل الأول، ص43.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء1، وقد اختلف الناس في الإسراء والمعراج، هل كان بالروح، أم بالجسد والروح معاً، فاستغل أصحاب الهوى من ملاحدة، ومستشرقين هذا الاختلاف في التشكيك بحقيقته، وممن طعن فيه المستشرقان (ف. بول. ت. ولت – F.Buhl OA.T. Welet) كما يتضح في النص التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرقان (ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) في مادة محمد ﷺ، قولهما: "وقد ثابر محمد ﷺ في سعيه إلى العثور على ميدان جديد لنشاطه خارج مكة، رغم استقباله السيئ في الطائف، فقد تكون تجربة الإسراء والمعراج قد رفعت من معنوياته لو أنها كانت قد حدثت في تلك الفترة حتى لو أنها كانت بالروح لا بالجسد" [(1)]، يتناول المستشرقان في النص السابق حادثة الإسراء والمعراج بنوع من التشكيك، كما يزعمان أنها كانت بالروح لا بالجسد.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المعلوم أن حادثة الإسراء والمعراج كانت تطييباً من الله لخاطر النبي ﷺ بعد ما لقيه من اضطهاد، وتعنت في مكة، وما تعرض له من استهزاء، ورفض في الطائف، وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء، وثبت صحة أخبارها لصدق ناقليها، وأن رواتها يستحيل تواطؤهم على الكذب، فنتج عن ذلك إجماع المسلمين على صحتها[(2)]؛ ولكن أبى المستشرقان إلا التشكيك في هذه المعجزة التي تُعد من دلائل نبوة محمد ﷺ، ومن المغالطات التي أورداها في النص السابق:

أ. التشكيك في وقت حدوثها.

يحاول المستشرقان (ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) التشكيك في الوقت الذي حدثت فيه الإسراء والمعراج، فقد تواترت الروايات على حدوثها بعد البعثة[(3)]، رغم

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، محمد ﷺ نبي الإسلام، ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet، ج9125/29.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5/5–45.

(3) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج197/7.

وجود بعض الروايات التي توحي بغير ذلك، إلا أن العلماء قد أحسنوا توجيه هذه الروايات [1]، ومن الأدلة الثابتة على ذلك في حديث الإسراء {قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ}[2]، فربما يكون المستشرقان قد تناولا خلال كتابتهم المقال الروايات غير الواضحة، أو ربما أرادا من وراء ذلك هدم هذه المعجزة العظيمة لعدم قدرتهم على استيعابها، نظراً للمقاييس المادية التي ينظرون من خلالها لما وراء الطبيعة.

ب. ادعاء أن الإسراء كان بروح النبي ﷺ لا بجسده.

اختلف الناس في الإسراء، فالبعض قال إنه بالروح لا بالجسد، ومنهم من قال إنه كان بالروح والجسد معاً، لكن أكثر العلماء قالوا إن الإسراء كان بالبدن والروح معاً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ الإسراء1، فلفظ العبد عبارة عن الروح والجسد، وكذلك كما ورد في الرواية أنه ركب البراق خلال الرحلة، والدواب لا تحمل إلا الأجساد، ولا تحتاج الروح لذلك [3]، وأيضاً لو كان بالروح فقط لما كانت معجزة تدل على نبوته، ولا حجة على رسالته[4].

ومن خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرقين (ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) تجاهلا الأدلة الصريحة؛ الصحيحة؛ التي تثبت وقوع حادثة الإسراء والمعراج بعد البعثة، وأنها كانت بالروح والجسد، وهي معجزة من المعجزات التي تثبت نبوته ﷺ.

3. **النقد المنهجي:**

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرقان (ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) ما يلي:

أ. الاقتصار على استخدام المنهج التاريخي في حديثهما عن الإسراء والمعراج، مع القصور في استخدامه، فقد أورد المستشرقان الحادثة مع إغفال الحوادث التي تثبت حقيقة وقوعها.

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج45/5.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب المعراج، 52/5، حديث رقم3887.

(3) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص223، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج43/5.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج350/17.

ب. إغفال المستشرقين للمنهج المقارن، وذلك لأنه تناول مسألة خلافية بين فريقين، فكان من باب أولى أن يعرض آراء الفريقين، ثم يرجح بينهما باستخدام المنهج النقدي.

ج. استخدام الألفاظ التشكيكية، ومن هذه الألفاظ قولهما:

- " قد تكون تجربة الإسراء والمعراج"، من المعلوم أن حرف "قد" إذا دخل على الفعل المضارع فإنه يفيد التقليل[1]، أي هنا يقلل من احتمالية حدوث الإسراء والمعراج (أيضًا قد تأتي "قد" للتحقيق).
- " لو أنها كانت" فحرف "لو" هنا يفيد الامتناع، أي لو ثبت حدوث الإسراء والمعراج مع امتناع حدوثه[2].

ومما سبق يُستنتج أن هناك من المستشرقين من خالف المنهج العلمي في الاستدلال، خاصة في تعاملهم مع الأصول الاعتقادية في العقيدة الإسلامية، وانتهجوا بعض المناهج العلمية القاصرة، ومن ذلك الاقتصار على منهج معين لا يوفي الدراسة حقها؛ بل يؤدي إلى خلل واضح في حقيقة الأمر المدروس.

المطلب الثاني: الاقتصار على منهج معين في الدراسة.

من سمات البحث العلمي الترابط بين أجزاء البحث العلمي المختلفة، وانسجامها، كما يجب أن يكون هناك ترابط تسلسلي منطقي، وتاريخي أو موضوعي يربط بين أجزائه، ولا يتحقق ذلك إلا باستخدام المناهج العلمية بطريقة متكاملة دون إخلال، وهذا ما تغافل عنه المستشرقون خلال دراساتهم لمسائل العقيدة الإسلامية، حيث اقتصرت بعض دراساتهم على استخدام منهج معين، نتج عنه قصور في منهجية البحث العلمي الصحيحة، وبالتالي قصور في وضوح الحقيقة، وبيانها، ويتضح ذلك من خلال تتبع بعض النماذج في دائرة المعارف الإسلامية، كما يلي:

أولاً: الانتقاص من الأنصار.

دأب المستشرقون على التنقص من صحابة رسول الله ﷺ، والحط من قدرهم، وذلك باستخدام بعض الوسائل السلبية، مثل تضخيم أخطائهم، ادعاء سوء نيتهم في أفعالهم، تجاهل

---

(1) انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك الجياني، ج443/1، وشرح مختصر قواعد الإعراب، الفوزان، ص83.

(2) انظر: الجني الداني في حروف المعاني، المرادي، ص278، وشرح التصريح على التوضيح في النحو، الأزهري، ج423/2.

فضلهم بطريقة متعمدة، وكل ذلك في سبيل النيل من الإسلام، وتشويه سيرة رسول الله ﷺ، كما يتضح فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ركندورفReckendorf) [1] في مادة (أنصار)، قوله: "وسيطرت روح التضحية على الأنصار فكانوا يغيثون الفقير بالرغم مما في ذلك من إثقال لكاهلهم، وفيما عدا ذلك نجد الأنصار قد قصروا مساعدتهم أول الأمر على الذود عن الدين، ولم يساهموا في الحروب الأولى التي وجهت إلى مكة، وكانت قلة حماسهم في المبادرة إلى الجهاد كثيرًا ما تقلق بال النبي ﷺ حتى آثر الاعتماد على عون الله" [2]، لا يكل المستشرقون عن الطعن بالسيرة النبوية، فلم يسلم الصحابة من طعونهم، وفي النص السابق يزيف المستشرق (ركندورف Reckendorf) الحقائق من التشكيك في مساهمة الأنصار في نصر الدعوة الإسلامية، بطيب خاطرهم ورضاهم، والكذب على رسول الله ﷺ بأنه فقد الثقة في أصحابه الأنصار.

2. النقد العلمي للمضمون:

في النص السابق بعض المغالطات العلمية التي نسبها المستشرق (ركندورف Reckendorf) للأنصار وهم بريئون منها، وسيتم بيانها على النحو الآتي:

أ. ادعاء كراهية الأنصار الإنفاق على الفقراء.

هذا الادعاء مخالف لجميع الروايات التي وردت في حفاوة الأنصار بالرسول ﷺ، وأصحابه المهاجرين، فعندما هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة تركوا الأموال والأولاد في مكة، وهاجروا لا يملكون إلا اليسير، فاستقبلهم أهل المدينة بالترحاب، والسرور، وآخى الرسول بين المهاجرين، والأنصار، فكان الأنصار نعم السند للمهاجرين، قاسموا المهاجرين بيوتهم، وأموالهم، ومتاعهم، ومن الأدلة التي وردت في ذلك:

---

(1) ركندورفReckendorf : (1863–1924م) مستشرق يهودي، ولد في هايدليبرج، درس في برلين اللغات السامية، والسنسكريتية، والصينية، كان من أعلام النحو، من مؤلفاته: " العلاقات النحوية في اللغة العربية" مستبعداً مذاهب قدماء النحاة وشواهدهم؛ مستنداً إلى كتب اللغة في أمثاله وشواهده. انظر: المستشرقون، العقيقي، ص731.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، أنصار، ركندورف Reckendorf، ج1381/5.

الدليل الأول: ما حصل بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع ﷺ، حيث عرض سعد على عبد الرحمن مشاركته في المال بالمناصفة، بل خيّره بين إحدى زوجتيه كي يطلقها لأجله، إلا أن عبد الرحمن أبَى أن يأخذ شيء، وطلب منه أن يدله على السوق ليعمل بكد يده[1].

الدليل الثاني: عرض بعضهم على النبي ﷺ أن يقسم الأراضي الزراعية بينهم، وبين إخوانهم من المهاجرين، لكن النبي ﷺ رفض، وطلب مشاركتهم بالحصاد فقط [2]، وأيضّا عندما طلب رسول الله ﷺ من الأنصار استضافة بعض المهاجرين الذين لا يملكون شيئًا فكان الأنصار يتسابقون في استضافتهم، حتى فقراء الأنصار كانوا يحرمون أنفسهم وأولادهم من الطعام ويكرمون المهاجرين تلبية لطلب رسول الله ﷺ [3].

مما سبق من الأدلة يتضح بطلان ادعاء المستشرق(ركندورف Reckendorf) بأن الأنصار كانت تنفق على فقراء المسلمين وهم مكرهون، بل كانوا يتسابقون في ذلك، لأجل نيل رضا الله ؛ ورضا رسوله ﷺ.

ب. ادعاء المستشرق (ركندورف Reckendorf) تقاعس الأنصار عن الجهاد مع رسول ﷺ في بداية الهجرة.

وهذه مغالطة أخرى يريد بها المستشرق الطعن بالأنصار من خلال بيان إخلالهم بوعدهم لرسول الله ﷺ عندما بايعهم على النصرة، والقتل في سبيل الله، ويرد على كلامه، موقف العباس بن عبادة بن نضلة بعد مبايعة النبي ﷺ مباشرة في مكة قبل الهجرة إلى المدينة حيث قال للنبي ﷺ:{ وَاَللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ: إنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إلَى رِحَالِكُمْ} [4]، كما أن حماسهم، وعدم تقصيرهم ظهر واضحاً جلياً في موقعة بدر، عندما شاورهم النبي ﷺ في قتال قريش، وكان أول

---

(1) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، 31/5، حديث رقم 3780.

(2) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، 32/5، حديث رقم 3782.

(3) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، 34/5، حديث رقم 3789.

(4) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج448/1.

قتال يتشاركون فيه مع المهاجرين، فرد عبادة بن الصامت مسئول الأنصار بأنه لو أمرتنا خوض البحر نخوضه في سبيل الله[1].

ج. التشكيك في ثقة النبي ﷺ بأصحابه.

يحاول المستشرق (ركندورف Reckendorf) التشكيك في الثقة القائمة بين رسول الله ﷺ وأصحابه، بادعائه أن النبي ﷺ قلق من قلة حماسهم للجهاد، فلجأ إلى الله تعالى عوضًا عنهم، ويرد على ذلك أن النبي ﷺ معتمد على الله في كل أمره، سواء نصره الأنصار، أم خذلوه، فالرسول ﷺ أحسن البشر ظنًّا بالله تعالى، فهو على يقين بنصر الله، ودليل ذلك من المواقف العصيبة التى مر بها رسول الله ﷺ: عندما هاجر هو وأبو بكر ولحقهم المشركون لقتلهم، كان على يقين بنصر الله له، ولو خذله العالم أجمع، قال تعالى ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ التوبة40، كما أن ثقته بأصحابه وثقة أصحابه به بقيت قائمة دلائلها كثيرة في كتب السير، ومن ذلك موقف سعد بن معاذ ﷺ عند استعداد الصحابة لغزوة بدر، حيث أخبر رسول الله ﷺ بثقة الأنصار به، وبرسالته، وأنهم معه حتى لو خاض البحر[2].

ومما سبق يتضح بطلان ادعاءات المستشرق(ركندورف Reckendorf) فإن الأنصار قدموا العون بالنفس، والمال لإخوانهم المهاجرين فقيرهم، وغنيهم، رغبة بما عند الله ﷻ، وحاربوا مع رسول ﷺ لأجل نصرة الدين، ونشر الدعوة برضاهم، واختيارهم، وليسوا مكرهين كما يحاول أن يوهم المستشرق.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها (ركندورف Reckendorf) ما يلي:

أ. مخالفة ضوابط المنهج التاريخي حيث لم يكن دقيقًا في بيان موقف الأنصار من فقراء المسلمين ومخالفته المنهج التحليلي في بيان موقف الأنصار من الجهاد في بداية الدعوة، حيث أسقط المستشرق بعض الأدلة، والمواقف التي تتجلى فيها مناقب الأنصار، وكل ذلك في سبيل تحقيق الهدف الذي يسعى إليه المستشرقون وهو الطعن في السيرة النبوية.

---

(1) انظر: صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة بدر، 1403/3، حديث رقم1779.

(2) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج615/1.

ب. تعدي استخدام المنهج الوصفي إلي شخصنة التوصيف، ويتضح ذلك من خلال طعنه في الأنصار، بادعائه خذلانهم لرسول الله ﷺ.

ج. استخدام العديد من الأساليب الموهمة مثل انتهاجه منهج الإسقاط، وذلك من خلال إخفاء بعض الأحداث، وحذفها حتى يتوهم القارئ خلاف الواقع.

د. تعميم الحكم على جميع الأنصار، فلا يمكن إنكار أن يكون هناك من استثقل إغاثة الفقراء، ومن تخاذل عن الجهاد من المنافقين.

ثانياً: ادعاء أن البكاء هو السمت العام للزهد والتصوف.

الزهد والتصوف من مصطلحات الفكر الإسلامي ذي الحدين، فإن زادا عن الحد الشرعي انقلبا إلى مغالاة، مخالفة للآداب الشرعية التي بينها الله تعالى، ورسوله ﷺ، وقد غالى بعض الصوفية في إثبات حب الله، وإظهار الخشية والخوف منه إلى أن وقعوا في المحظور ومن ذلك تعذيب النفس بالبكاء المستمر، والصوم الدائم، أو عدم النوم، وغير ذلك من الأمور التي فوق طاقة البشر[1]، وهنا يحاول المستشرق (ف مايرF. Meier) بيان أن هذا هو الزهد والتصوف الذي يحبذه الإسلام، كما يتضح مما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ف مايرF. Meier) في مادة " بكاء"، قوله: " ويتسم الزهد والتصوف في العهد الإسلامي الأول بشعور قوى بالذنب، وندم شديد، وذلة وخشوع وحزن، وكان الضحك مستقبحًا، والبكاء هو المظهر الخارجي لهذا المسلك، وقد ورد في القرآن الكريم (سورة الإسراء، الآية 109) ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾، وورد فيه (سورة مريم الآية 58) ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾، ثم إن الحديث الشريف يقر علاوة على ذلك كله ذرف الدموع في العبادات ويثنى عليه، ويقال إن النبي ﷺ بكى بصوت مسموع في بعض الأوقات، وهو يؤدى فريضة الصلاة، ويروى أن الخليفتين أبا بكر وعمر انتهجا المسلك نفسه، ومن الممكن أن نورد قائمة طويلة بأسماء الزهاد البكائين، أو على الأقل الذين امتدحوا البكاء، من كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم" [2]، وقوله في موضع

---

(1) مسند أحمد، ابن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، 169/21، حديث رقم13534.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، بكاء، ف. مايرF. Meier ، ج6/ 1817.

آخر: "ومع ذلك فإن المسلمين أنفسهم كانوا مدركين كل الإدراك أن بكاءهم الذي أثارته تقواهم له مثيل في المجال اليهودي – المسيحي وتدل عليه بجلاء شواهد كدموع آدم، ونوح (مشتق من ناح)، ويعقوب وداود، وسليمان، ويوحنا المعمدان، ويسوع ورهبان عديدين" [1].

2. النقد العلمي للمضمون:

يستخدم المستشرق المنهج الوصفي في التعبير عن حالة الزهد، والتصوف في العهد الأول للإسلام، معتبراً أن البكاء من النتائج الهامة المعبرة عن ذلك، مستشهداً بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وبكاء بعض الصحابة والتابعين في سبيل إثبات نتيجته، ومما سبق يُلحظ أن المستشرق أورد العديد من المغالطات:

أ. ادعاء أن البكاء هو المظهر الخارجي لكل من الزهد والتصوف.

- ليس الزهد كما يحاول أن يوهم المستشرق(ف. ماير F. Meier) أنه مرتبط بالندم، والحزن، وعدم الفرح، بل أورد العديد من العلماء تعريفات توضح مفهوم الزهد، منهم ابن تيمية، وسفيان الثوري، والإمام أحمد بن حنبل فقد ذكروا أن الزهد قصر الأمل، وترك ما لا ينفع في الآخرة، ومن ذلك ترك الحرام وترك كل ما يشغل عن الله ﷻ، وليس كما يفهم بعض الزهاد بأنه لبس الغليظ[2]، وليس كما يحاول أن يصور المستشرق، فالنبي ﷺ المعصوم عن الخطأ كان يضحك، ويمازح الناس، ويبكي في صلاته لكن بكاءه ليس بكاء من ندم على ذنبه، بل يبكي خشوعاً لله، وحمداً له، {قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ}[3]، ويبكي عند حدوث مصيبة كالموت { ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﵁: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ}[4]، كذلك الصحابة والتابعين، يبكون تذللاً لله، وخضوعاً، وطمعاً في العفو والمغفرة على تقصيرهم، وعند المصائب.
- أما التصوف في مراحله الأولى فكان يغلب على بعض أصحابه جانب العبادة، والبعد عن الناس، وأحياناً يغلب على بعضهم الخوف الشديد، والبكاء المستمر، ومن هؤلاء عامر بن

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، بكاء، ف. ماير F. Meier ، ج1822/6.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج12/2، 14.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الصلاة/ باب البكاء في الصلاة، 238/1، حديث رقم904.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز/باب قول الرسول ﷺ {إنا بك لمحزونون}، 83/2، حديث رقم1303.

عبد الله بن الزبير، الذي كان يواصل في صومه ثلاثاً ويقول له والده: "رأيت أبا بكر وعمر ولم يكونا هكذا" [1]، فقد كان الصفاء الروحي يأتي بدون تكلف عند السلف نتيجة التربية المتكاملة، البكاء كان نابعاً من ذلك، وليس من التشدد على النفس، والتفتيش عن الوسواس، والخطرات لجلب الحزن والهم على النفس، وتعذيبها بالبكاء المستمر، كما كان يفعل من يسمونهم بالبكائين.

- أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ الإسراء 109، فالاستدلال بها استدلال خاطئ، حيث إن تفسير الآية كما أورد العديد من علماء التفسير منهم (الطبري)، و(القرطبي)، و(ابن كثير) أن الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب، عندما نزل القرآن على محمد ﷺ بكوا من المواعظ، والعبر التي جاءت في القرآن الكريم بما يتوافق مع ما ورد في كتبهم، فكان بكاؤهم خضوعاً لأمر الله، وطاعة له، وشكراً لما أنعم عليهم بأن أدركوا الرسول الذي أُنزل عليه القرآن [2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ مريم 58 يعني أن الأنبياء عليهم السلام عندما سمعوا كلام الله، المتضمن حججه ودلائله، وبراهينه، سجدوا لله خاضعين، مستكينين، شاكرين له على ما أنعم عليهم من النعم [3].

ب. دعوى المساواة بين البكاء عند المسلمين بما عند اليهود والنصارى.

يحاول المستشرقون بشتى الطرق ربط الإسلام باليهودية، والنصرانية، ومن ذلك دعوى المستشرق (ف. ماير F. Meier) السابقة، ويرد على ذلك بأن اليهودية، والنصرانية، والإسلام تخرج من مشكاة واحدة، فالتقوى في كل الديانات السماوية لها نفس المفهوم، والتأثير على النفس، أما إن كان يقصد التقوى النابعة عن الزهد المتشدد كما عند الرهبان فقد بين القرآن الكريم هذه المسألة في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ الحديد27، وفسرها العلماء أن النصارى بعد عيسى عليه السلام فرضوا على أنفسهم هذه الرهبانية يريدون بها التقرب لله، فحملوا أنفسهم على المشاق كالامتناع عن المأكل والمشرب والزواج، واتخاذ الصوامع بيوتًا، ثم خالفوا ذلك لأن النفس تأبى مخالفة الفطرة فلم يتحملوا التشدد على أنفسهم[4].

---

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج253/9.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج17/ 579، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج341/10، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5/ 128.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج242/5.

(4) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج42/2، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج263/17.

(ومن أخطائهم التي وقعوا فيها الاستدلال بالأنبياء على كونهم يهودًا ونصارى)

ومن نماذج بكاء الأنبياء في الكتاب المقدس: بكاء إبراهيم عليه السلام حزناً على موت زوجته سارة،<< فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا>>[1]، وبكاء يوسف عليه السلام فرحًا عند لقاء إخوته <<ثُمَّ وَقَعَ عَلَى عُنُقِ بَنْيَامِينَ أَخِيهِ وَبَكَى، وَبَكَى بَنْيَامِينُ عَلَى عُنُقِهِ، وَقَبَّلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ وَبَكَى عَلَيْهِمْ، وَبَعْدَ ذلِكَ تَكَلَّمَ إِخْوَتُهُ مَعَهُ>> [2].

3. النقد المنهجي:

خالف المستشرق (ف. ماير F. Meier) المنهجية العلمية فيما يلي:

أ. خلل في استخدام المنهج التحليلي، ويظهر ذلك بتحليله لفروع مسألة الزهد والتصوف دون الاهتمام بأصل المسألة، حيث إنه اهتم بالبكاء الذي يُعد سمة تابعة له، وليس من السمات الأساسية للمسألة.

ب. الاقتصار على المنهج الوصفي، واستخدامه بصورة اجتزائية، وذلك بجمع المعلومات، والأدلة المرتبطة بحالات البكاء دون تحليلها بطريقة منهجية صحيحة.

ج. الاستدلال بالآيات القرآنية في غير موضعها.

د. الاستدلال بأفعال رسول الله ﷺ دون إيراد الأدلة على ذلك، كالاستدلال ببكاء الرسول ﷺ دون توضيح أسباب هذا البكاء، وأفعال الصحابة.

هـ. تعميم الحكم، ومن ذلك اعتبار ظاهرة البكاء من العلامات الأساسية المرتبطة بالزهد والتصوف.

و. التخليط بين المضامين، كالتخليط بين البكائين الذين خالفوا السلف، وبين بكاء السلف الذي لا يكون تكلفاً.

وخلاصة ما سبق وُجد أن بعض المستشرقين خالفوا المناهج العلمية في الاستدلال، وقد ظهر ذلك جلياً في دائرة المعارف الإسلامية، حيث اقتصر بعض المستشرقين على بعض المناهج العلمية خلال دراساتهم، في حين أن الدراسة تتطلب أكثر من منهج لتوضيح المادة العلمية التي أوردها المستشرق في دراسته، مما أدى إلى خلل واضح، كإخفاء بعض الأحداث، وتشويه لبعض الحقائق التي عرضها.

---

(1) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح، 23: 2.

(2) المرجع السابق، الإصحاح، 45 :14-15.

المطلب الثالث: استخدام الخرافة في عرض المسائل العلمية.

لم تسلم الدراسات الإسلامية، وخاصة العقدية من التشويش السلبي في تداول الخرافات لعرض المسائل العلمية، ومن المعلوم أن الخرافة تقوم على فكرة؛ أو اعتقاد قائم على مجرد تخيلات، ترفضها العقول السوية، وقد لجأ إلى استخدام الطريقة الخرافية كثير ممن لم يؤمن بالمسائل الغيبية، وخاصة المسائل الدينية التي تتعلق بالوحي، واليوم الآخر، ويرجع ذلك إما لقصور فهمه؛ أو إنكاره للوحي، وممن استخدم هذه الطريقة بعض المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية، كما يتضح مما يلي:

أولاً: تصوير الجنة بصورة خرافية تتناقض مع حقيقتها.

يُعد الإيمان بالجنة جزءًا من اليوم الآخر؛ الذي هو ركن من أركان الإيمان، والجنة أمر غيبي لا يتم العلم بها إلا من مصادر التشريع الأساسية فقط، إلا أن هناك فئة ممن قدمت العقل على النقل صورتها بصورة عقلية بحتة، ومن هؤلاء بعض المستشرقين، كالمستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) كما يتضح فيما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(كارا ده فو B. Carra De Vaux) في مادة جنة، قوله: " وقد تمثلت الجنة في عصر متأخر في صورة هَرَم أو مخروط له طبقات ثمان، وهو يزيد طبقة على ما في جهنم من طبقات، ذلك أنه كان يعتقد أن المقربين سيكونون أكثر عددًا من المغضوب عليهم، وكلما تصاعدت هذه الطبقات، زادت المادة التي بُنيت منها نفاسة... وهي تستقر على أنواع من البحار لها أسماء مجردة كبحر البقاء "المنقسم"، وبحر الخلود، وبحر "الرب " ويمتد فوق الهرم عالم (الملكوت " وعالم (الجبروت) وعرش الله ودار المقربين"[1]، وقال في موضع آخر: "وقد تردد ذكر جهنم وفكرة جهنم كثيرًا في القرآن، على أنه لم تكن صورة محددة تمام التحديد، فالواقع أنه في بعض الآيات يتحدث عن جهنم وكأنها شيء يُحمل، ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى** ﴾ الفجر 22–23، وفي هذه الآية يمثل جهنم على صورة الحيوان، فهي أشبه بوحش هائل فغر فاه وكشف عن أنيابه وتأهب لالتهام المغضوب عليهم"[2]، وهنا اعتمد المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) على خياله في سرد حقائق عن الجنة؛ ومن ذلك ادعاؤه أن الجنة عبارة عن هرم مقسم إلى طبقات، وأن

(1) دائرة المعارف الإسلامية، الجنة، كارا ده فو B. Carra De Vaux، ج3242/11–3243.

(2) انظر: المرجع السابق، جهنم، كارا ده فو B. Carra de Vaux، ج3254/11–3254.

عدد أهل الجنة أكثر من عدد أهل النار، والنار عبارة عن حيوان يستعد للهجوم على المذنبين، وتفسيره هذا حسب فهمه لآيات القرآن الكريم التي ذكرت جهنم، وفيما ذكره المستشرق العديد من المغالطات، وهي على النحو الآتي:

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) عددًا من الخرافات والأساطير التي لا علاقة لها بالجنة، أو بالنار، بل مخالفة لما ورد في حقهم بالقرآن الكريم؛ والسنة النبوية، ومن هذه المغالطات:

أ. تمثيل الجنة بالهرم المخروطي، والنار بالحيوان المفترس.

ادعى المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) أن الجنة عبارة عن هرم مخروطي؛ مكون من ثمانية طبقات، مخالفاً بهذا الادعاء ما ورد في حقها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومن الأدلة على ذلك:

- ما يدل على أن الجنة درجات ومنازل ومقامات:

قوله تعالى: ﴿ **هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ آل عمران163، ﴿ **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ الأنفال4[1]، وقال رسول الله ﷺ: {إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ}[2].

- أما ما يدلل على نفاسة مادتها، قول رسول الله ﷺ: { ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[3] اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ}[4].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج13/4.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب درجات المجاهدين في سبيل الله، 16/4، حديث رقم2790.

(3) جنابذ: جمع جنبذة وهي القبة.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب ذكر إدريس عليه السلام، 135/4، حديث رقم3342، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة، 148/1، حديث رقم163.

- أما ادعائه أنها تستقر على بحار فلا دليل على ادعاءاته، أما ما ورد في السنة على ذلك: {رُفِعْتُ إِلَى السِّدْرَةِ، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ، وَأَمَّا البَاطِنَانِ: فَنَهَرَانِ فِي الجَنَّةِ}[1].

ب. ادعاء عدم وضوح ماهية النار.

ادعى المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) أن جهنم ذكرت كثيراً في القرآن الكريم، ولكن دون وضوح لماهيتها، وصورها حسب تفسيره للآية ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ الفجر 22–23، بأنها تظهر على هيئة حيوان مفترس؛ يهجم لِيَلْتَهم المغضوب عليهم، فهو ادعاء، وتصوير باطل، فقد ورد وصف جهنم بالعديد من الآيات، والأحاديث الصحيحة، وقد فهمها الصحابة ومن تبعهم من السلف الصالح دون أي لبس، ومن الأدلة في وصف النار:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ الأنبياء98، وأيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ الحج 19–20:
- قول رسول الله ﷺ: { نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ}[2]، وقال أيضاً: {تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق تقول: إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر وبالمصورين}[3].
- أما تفسير آية الفجر(22–23) التي استدل بها على قوله فقد فسرها العلماء ومنهم الطبري، والقرطبي بتفسير آخر، وهو أن جهنم تقاد بسبعين ألف زمام، ويمسك كل زمام سبعين ألف ملك، لها تغيظ، وزفير، حتى توضع على يسار العرش[4]، وفي ذلك قال

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأشربة/ باب شرب اللبن، 109/7، حديث رقم5610.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، 2184/4، حديث رقم 2843.

(3) صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني، ج74/6، حديث رقم 2574، صححه الألباني.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج55/20، جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، ج419/24.

رسول الله ﷺ :{يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا}[1].

ج. الطعن في صحة الأحاديث، يتضح ذلك من ادعائه بأن عدد أهل الجنة أكثر من أهل النار.

أما ادعاؤه بأن عدد أهل الجنة أكثر من عدد أهل النار فهذا قول باطل، مخالف لما ورد بالأدلة الصحيحة من أن عدد أهل النار أكثر من عدد أهل الجنة، قال رسول ﷺ: {أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ}[2].

3. النقد المنهجي:

لقد وقع المستشرق(كارا ده فو Carra De Vaux) في العديد من المخالفات المنهجية التي لا تُقبل من أي باحث يتبع المنهج العلمي في مقالاته وأبحاثه، منها:

أ. استخدامه طريقة خرافية في التعامل مع الحقائق الغيبية، تُظهر تأثر الباحث بالأساطير الوثنية التي وجدت بالكتاب المقدس عند النصارى.

ب. ضعف المصادر التي استقى منها معلوماته، فكل ما أخبر عنه بحق الجنة خيالات لا صحة لها، كما أنه لم يورد أي دليل يثبت فيه من أين استقى معلوماته، وأقوال المتأخرين التي استند عليها ليست بحجة على الإسلام.

ج. ترك المنهج الاستقرائي في عرضه لحقيقة الجنة والنار، فلم يستقرئ جميع الآيات والأحاديث الصحيحة التي وردت في وصف الجنة والنار، لتجنب الوقوع في مثل هذا الخطأ الفاحش الذي لا يغفل عنه أهل العلم.

د. إخضاع الحقائق الغيبية للتحليل العقلي، في حين أنه لا بد من الإيمان بهذا الغيب كما أخبر عنه الله ﷻ، مع الاعتراف بالعجز عن إدراك حقيقته، وعدم الخوض فيه لأنه سيؤدي حتماً للتشبيه، أو التجسيم.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، 2184/4، حديث رقم2842.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق/ باب الحشر، 110/8، حديث رقم 6529.

هـ. عدم التزامه الموضوعية عند دراسته للغيب، وذلك مخالف للمنهجية العلمية التي يجب على الباحث اتباعها، ويظهر ذلك من خلال التلاعب بعقائد المسلمين، وتفسيرها طبقًا لمسوغ آمن به مسبقًا، في حين أنه لابد له من الرجوع إلى الكتاب، والسنة، والأخذ منها دون سرد تلك الأساطير والخرافات، فالكتب قد ذكرتها بصورة واضحة جلية.

ومما سبق يتضح أن بعض المستشرقين لجأوا إلى طريقة الخرافة في التعامل مع المسائل الغيبية، لعدم إدراكهم حقيقة أن الغيب من اختصاص الله تعالى، ولا يمكن الإلمام بحقيقته، سواء من الناحية العقلية، لمحدودية العقل البشري، أو من الناحية التجريبية التي سيطرت على فكرهم الغربي، فحالت بينهم وبين فهم هذه الحقائق، وبعضهم لجأ إليها لأن الغيب في ديانتهم غامض، أو لا يؤمنون به، وكما لا يمكن تجاهل أن المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux) فرنسي كاثوليكي متعصب جداً ضد الإسلام والمسلمين [(1)].

ثانياً: توصيف الملائكة بصورة خيالية.

يُعد الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان الستة، لقوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾ البقرة285، ويكون الإيمان بهم إجمالًا، أما من ذكروا في القرآن والسنة فيجب الإيمان بهم تفصيلًا، مثل جبريل وميكائيل، وإسرافيل وغيرهم، ومن المعلوم أن إسرافيل عليه السلام قد وردت بعض صفاته في السنة النبوية، لذا لا بد من الاكتفاء بما ورد، وعدم تصويره بغير ذلك كما فعلت بعض الفرق، والمستشرقين.

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (فنسنك A. J Wensinck) في مادة (إسرافيل)، قوله: "وهذا الملك هائل الحجم: فبينما قدماه تصلان إلى ما تحت الأرض السابعة إذ تبلغ رأسه عمد عرش الرحمن، وله أربعة أجنحة أحدها في المغرب؛ والثاني في المشرق؛ وواحد يغطى جسده؛ وواحد يتقى به جلال الله، وجسمه مغطى بالشعر والأفواه والألسنة، وهو يعتبر الملك الذى يقرأ قضاء الله من اللوح المحفوظ ويبلغه إلى الموكل به من رؤساء الملائكة، وهو ينظر إلى جهنم ثلاث مرات في النهار؛ ومثلها في الليل؛ ويزعج من الأسى، ويبكى بكاء مرًّا حتى لتغمر دموعه الأرض، وقد سمى بصاحب الصور بذلك لأنه يمسك بالصور في فمه دومًا حتى يستطيع أن ينفخ فيه متى أمر الله النفخة التي تبعث الناس من قبورهم، ويقال أيضًا إن إسرافيل هو أول من

---

(1) انظر: المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، البهي، ص23.

يبعث يوم القيامة ويقف على الصخرة المقدسة في بيت المقدس، ويعطى الإشارة التي تعيد الموتى إلى الحياة، وحسبما يروى أن موسيقاه ستطرب سكان الجنة"[1]، لم تسلم الملائكة من خيالات المستشرقين، وشطحاتهم، ففي النص السابق يصور المستشرق (فنسنك A. J Wensinck) حقيقة الملك إسرافيل بطريقة خرافية، تتلاءم مع طبيعة الفكر المادي الذي يعتنقه، ويتضح ذلك فيما يلي:

2. النقد العلمي للمضمون:

بتتبع النص السابق الذي أورده المستشرق (فنسنك A. J Wensinck) يُلحظ أنه يعج بالخرافات المنسوبة إلى (إسرافيل) عليه السلام، التي لا صلة لها بحقيقته كما وردت بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، ممزوجة ببعض الحقائق، ومن أوجه مغالطاته التي وردت في النص:

أ. تصويره إسرافيل بصورة مخالفة لحقيقته التي بينها الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

من المعلوم أن الملائكة عالم غيبي لا يمكن معرفته إلا عن طريق ما جاء به الوحي، وفي النص السابق يُلحظ أن المستشرق اعتمد على الخيالات، والقصص بدلاً من الرجوع للكتاب والسنة، ويرد على قوله:

- هناك أدلة في السنة النبوية يُذكر فيها بعض أوصاف إسرافيل عليه السلام منها عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "وإن ملكًا من حملة العرش يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه في الأرض السفلى، ومرق رأسه من السماء السابعة، والخالق أعظم من المخلوق" [2] .
- قَالَ كعب الأحبار في وصف إسرافيل عليه السلام للسيدة عائشة رضي الله عنها: {لَهُ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ جَنَاحَانِ فِي الْهَوَاءِ وَجَنَاحٌ قَدْ تَسَرْبَلَ بِهِ، وَجَنَاحٌ عَلَى كَاهِلِهِ وَالْعَرْشُ عَلَى كَاهِلِهِ وَالْقَلَمُ عَلَى أُذُنِهِ، فَإِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ كَتَبَ الْقَلَمُ، ثُمَّ دَرَسَتِ الْمَلَائِكَةُ وَمَلَكُ الصُّورِ جَاثٍ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتَيْهِ وَقَدْ نَصَبَ الْأُخْرَى مُلْتَقِمَ الصُّورِ مَحْنِيًا ظَهْرُهُ شَاخِصًا بَصَرُهُ يَنْظُرُ إِلَى إِسْرَافِيلَ وَقَدْ أُمِرَ إِذَا رَأَى إِسْرَافِيلَ قَدْ ضَمَّ جَنَاحَيْهِ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ}[3]،

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، إسرافيل، فنسنك A. J Wensinck، ج724/3-725.

(2) كشف الخفاء، العجلوني، ج358/1، أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسبه قوة ومعناه صحيح.

(3) حلية الأولياء، الأصبهاني، ج47/6،ج65/6، وهو حديث ضعيف في طريق الحلية لأن فيه علي بن زيد بن جدعان لكنه ورد بطريق حسن من جهة الطبراني في الأوسط كما يقول الهيثمي في مجمع الزوائد 331/10.

ومن خلال ما سبق من الأدلة يتبين أن هناك اتفاقًا مع ما أورده المستشرق من وجود أجنحة لإسرافيل عليه السلام، لكن لا يوجد أدلة توضح ادعاءه بأن جسمه مغطى بالشعر والأفواه والألسنة،

ب. ادعاؤه بكاء إسرافيل عليه السلام (صاحب الصور) حتى تغمر دموعه الأرض.

- يدعي المستشرق فنسك أن إسرافيل يبكي حتى تغمر دموعه الأرض خوفًا من جهنم، وهذا الادعاء فيه تلفيق، فلا يمكن إنكار خوف الملائكة جهنم لكن ليس كما يصور المستشرق.

- أما تسميته بصاحب الصور، فهذا مؤكد بالكاتب والسنة، قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾ الزمر68، وقد بين القرطبي أن إسرافيل هو صاحب الصور[1]، وكذلك من السنة قَالَ رسول الله ﷺ: {كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ } [2]. [3]

- أما القول بأن موسيقاه ستطرب أهل الجنة، فهذا مخالف لما ورد بحق إسرافيل عليه السلام، فما ورد كان يبين جمال صوته فقط، قال الاوزاعي: " قال بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع، فما يبقى ملك في السماوات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله ﷻ وعزتي وجلالي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري"[4].

من خلال ما سبق وُجد أن المستشرق (فنسنك A. J Wensinck) قد مزج في مقاله بين الحقائق، والخرافات، فإسرافيل عليه السلام كما ورد له أجنحة، ويتولى اللوح المحفوظ؛ كما بين مالك بن أنس وغيره من السلف في قوله:" اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ فِي جَبْهَةِ إِسْرَافِيلَ"[5]، وهو من أوكله الله بالنفخ في الصور، أما وصفه بأن جسمه مغطى بالشعر؛ والأفواه، والألسنة، وأن دموعه غمرت الأرض فهذا لا صله له بالكتاب والسنة.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج279/15.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ باب وما جاء في سورة الزمر، ج372/5، حديث رقم 3243.

(3) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج369/11.

(4) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص176.

(5) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير،ج14/1.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (كارا ده فو Carra De Vaux):

أ. استخدامه المنهج الوصفي بطريقة مغلوطة، ويتضح ذلك من خلال وصفه لإسرافيل عليه السلام بأوصاف لم ترد في الكتب والسنة، فكان من باب أولى الرجوع للكتب التخصصية في ذلك.

ب. التأثر بالقصص التي وردت في الأديان السابقة، وظهور هذا التأثر واضحًا عند دراستهم للإسلام، من أدلة ذلك تأثره بالقصص التلمودية، في قوله " ويبكي بكاءً مراً حتى لتغمر دموعه الأرض"، مما أدى لدمج الأمور الغيبية مع الخرافات والأساطير.

ج. عدم التزام الموضوعية عند دراسة الغيب، ويظهر ذلك باستخدام منهجًا مبتورًا في عرض الحقائق العقدية، وتجاهل كثيرًا من الأدلة التي كان من المفترض على دائرة المعارف الإسلامية أن تتناولها عند الكتابة عن أمور الغيب كالملائكة.

د. المبالغة في التطرق لدقائق الأمور الغيبية، متبعين منهج الديانات السابقة، ومن ذلك الخوض في أدق التفاصيل كأشكال الملائكة، وصفاتهم، وكيفية معيشتهم، مع العلم بأن هذه الأمور ليس لها نفع، بل يكتفى من ذلك بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرقين لم يعتمدوا موقفًا موضوعيًا عند دراستهم للحقائق الغيبية في العقائد الإسلامية، ويرجع ذلك إلى إسقاط خلفياتهم الفكرية على دراستهم، فبعضهم تعامل معها بمنهجية مادية عقلانية خاصة من لا يؤمن بالغيب منهم، وبعضهم تعامل معها بحقد وعصبية دينية كاليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بالرسالة المحمدية فحاولوا تشويه هذه الحقائق بدس الخرافات والأساطير فيها.

المطلب الرابع: التخلي عن الالتزام بضوابط المناهج العلمية في عرض الحقائق الشرعية.

أعلن المستشرق (مونتجمري وات Montgomery Watt) عن استخدام المنهج العلمي في كتابه (محمد في مكة): "أما قرائي من المسلمين، فإنني أقول لهم شيئاً مشابهاً، فقد حاولت- مع الالتزام بالمقاييس العلمية التاريخية الغربية- ألا أقول شيئاً يفهم منه رفض أي مبدأ من مبادئ الإسلام الأساسية، إذ لا يجوز أن تكون هناك هوة لا يمكن عبورها بين الثقافة الغربية والإسلام، فاذا كانت بعض النتائج التي توصل اليها علماء الغرب، لا يتقبلها المسلمون، فربما كان السبب في ذلك: أن علماء الغرب لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن

استنتاجاتهم تحتاج الى مراجعة، حتى من وجهة النظر التاريخية البحتة، ومن الناحية الأخرى، ربما كان صحيحاً ذلك القول الذى مؤداه أن هناك مجالاً لشيء من إعادة صياغة العقيدة الاسلامية، بدون أي تغيير في الأساسيات"[1]، وعند تتبع بعض مقالاته التي لاقت شهرة واسعة في الأوساط الأكاديمية والعلمية الغربية والعربية، وخاصة في الدائرة وُجد أنه خالف ادعاءه، ولم يلتزم بقواعد البحث العلمي، ومن نماذج ذلك:

أولاً: التعريض بأبي بكر الصديق ﷺ، والتقليل من شأنه:

وقف المستشرقون من صحابة رسول الله ﷺ في غالب مقالاتهم مواقف سلبية، تقوم على الغمز ؛ واللمز ؛ والتقليل من شأنهم، وخاصة الخلفاء الراشدين، لما لهم من عظيم فضل في نشر الإسلام، وهذا ما ظهر في أقوال المستشرق (وات Watt)، وبيانه على النحو التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (مونتجمري وات Montgomery Watt) في مادة (أبي بكر الصديق)، قوله: " ولقد بقى بمكة حين هاجرت كثرة من المسلمين إلى الحبشة، وكانت هذه مسألة غامضة، فلقد كان يظن أن المهاجرين كانوا يعارضون سياسة فريق من المسلمين كان يتزعمهم أبو بكر، وعلى أي حال فالخبر المأثور هو أن المهاجرين قد رحلوا فراراً من الاضطهاد... وكان أبو بكر يشترى الأرقاء ويطلق سراحهم،... وإن دل على إخلاص أبى بكر للدعوة، لا يبرر التبرير كله نقصان ثروته إلى 5000 درهم عند الهجرة، والقول بأنه كان ثمة ضغط اقتصادي مارسه كبار تجار مكة أمر مشكوك فيه... وغدا مركزه الخاص في الجماعة ملحوظاً بزواج النبي من ابنته عائشة، وكان شريكاً في جميع الحملات التي قادها محمد ﷺ ، وكان دوماً إلى جانبه على استعداد لأن يساعده بالنصيحة والرأي "[2]، وهنا يحاول المستشرق (وات Watt) الطعن في الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ وذلك بادعاء غموض سبب عدم هجرته إلى الحبشة مع من هاجر، وأن من هاجر كان بسبب خلاف سياسي بينهم وبين أبي بكر وجماعته، كما يشكك في سبب نفاذ ثروة أبي بكرﷺ الطائلة، ويزيف حقيقة مكانة أبي بكرﷺ عند رسول الله ﷺ مدعياً أنه نالها بسبب علاقة النسب بينهم، وفي أقوال المستشرق (وات Watt) العديد من المغالطات التي سيتم إيضاحها فيما يلي:

---

(1) محمد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، ص40–41.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، أبو بكر، مونتجمري وات Montgomery Watt، ج1/299.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

زيف المستشرق العديد من الحقائق التي وردت صحتها بالأسانيد الصحيحة، المتواترة، التي لا لبس فيها ولا غموض، وفيما يلي إبراز أهم المغالطات التي أوردها المستشرق؛ مع الرد عليه:

أ. ادعاء أن سبب الهجرة انقسام المسلمين والتناحر الداخلي في المجتمع المسلم.

- من المعلوم أن سبب الهجرة هو الهرب من الاضطهاد الشديد الذي تعرض له المؤمنون في مكة، من ضرب وتنكيل، وقتل، وهناك أدلة في السنة النبوية الصحيحة، تذكر ما تعرض له المسلمون من عذاب في مكة، مما كان دافعًا لهجرتهم مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم[1]، منها: حديث عائشة رضي الله عنها؛ عندما سُئلت عن الهجرة' فقالت: {لاَ هِجْرَةَ اليَوْمَ، كَانَ المُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ، وَاليَوْمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ}[2]، وغير ذلك العديد من الروايات ذات الأسانيد الصحيحة، ولكن لسنا هنا بصدد إيراد هذه الروايات، فهذه الروايات ترد على ادعاء المستشرق (وات Watt) أن سبب الهجرة هو وقوع خلاف سياسي في مكة بين المسلمين أدى إلى انقسامهم، فريق بقى في مكة بقيادة أبي بكرﷺ، وفريق هاجر للحبشة.

- أما عدم هجرة أبي بكر للحبشة، فأمر مخالف للصواب، لأن أبي بكر الصديق عندما ابتلي المسلمون، خرج للهجرة بعد أن طلب الإذن من رسول الله ﷺ، وقد ورد ذلك في حديث {عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَالَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ: أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي، وَضَيَّقُوا عَلَيَّ، قَالَ: وَلِم؟ فو الله إِنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ، وَتُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي، فَرَجَعَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، قَامَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَا يَعْرِضَنَّ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ، قَالَتْ: فَكَفُّوا عَنْهُ}، وقد وردت هذه القصة في العديد من كتب السيرة[3]، وذكر ذلك المستشرق في سياق مقاله بشيء من الإبهام.

---

(1) انظر: السيرة النبوية، هشام بن عبد الملك، ج1/ 321-322.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة، 57/5، حديث رقم 3900.

(3) انظر: السيرة النبوية، هشام بن عبد الملك، ج372/1، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج2/ 471، والسيرة النبوية(من البداية والنهاية)، ابن كثير، ج2/ 63.

ب. التشكيك في إنفاق أبي بكر الصديق ﷺ.

يحاول المستشرق التشكيك في أسباب نقصان ثروة أبي بكر الصديق ﷺ عند الهجرة، نافياً أن يكون السبب وراء ذلك عتق أبي بكر للموالي، أو ما تعرض له المؤمنون من محاربة اقتصادهم.

ويرد على ما ذكره المستشرق أمران:

الأول: ما جاء في كتب السيرة من أن أبي بكر ﷺ قد أنفق الكثير من المال لعتق الأرقاء[1]

الثاني: ما جاء في كتب السنن أنه عندما حض رسول الله ﷺ أصحابه على الصدقات، كان أبو بكر ﷺ أول من جاء بماله كله -أربعة آلاف درهم- {فقال له رسول اللَّهِ ﷺ: ما أبقيت لِأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله} [2].

ج. ارجاع مكانة الصديق إلى النسب لا إلى البذل والتضحية في سبيل الله.

يحاول المستشرق هنا أن يوهم بأن زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة رضي الله عنها كان له دور في علو شأن أبي بكر، ومن المعلوم أن مكانة أبي بكر قبل مصاهرته للنبي ﷺ كانت مرموقة، فهو أول من أسلم، وأعلن إسلامه على الملأ، وهو رفيق النبي ﷺ في الهجرة، وهو من لقبه النبي ﷺ بصديق الأمة، وهو من قال فيه النبي ﷺ: {مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِها يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ}[3].

ومن خلال ما سبق يُمكن الخلوص إلى أن مساعي المستشرقين لا تكل في سبيل التشكيك في السيرة النبوية، فلم يسلم صحابة رسول الله ﷺ من الطعن والغمز، خاصة الخلفاء الراشدين، كأبي بكر الصديق، لما لهم من دور أساسي في قيام الدولة الإسلامية.

---

(1) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج317/1-319.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الزكاة/ باب الرخصة في ذلك، 129/2، حديث رقم 1678، سنن الترمذي، أبواب المناقب، ج56/6، حديث رقم 3675.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب/ باب مناقب أبي بكر الصديق، 609/5، حديث رقم 3661، وصححه الألباني.

3. النقد المنهجي:

في هذا المقال تناول المستشرق شخصية أبي بكر الصديق للحديث عنها، مستخدماً المنهج الوصفي، والتاريخي، ولكنه وقع في العديد من المخالفات المنهجية ومنها:

أ. ترك الالتزام بضوابط المناهج العلمية، من صدق وأمانة، حيث وُجد خلل في استخدام المنهج التاريخي، ظهر من خلال تزييف المستشرق بعض الحقائق للطعن في شخصية الصديق ﷺ.

ب. المبالغة في النفي والتشكيك غير المنهجي، ويظهر ذلك في عباراته " لا يبرر ذلك"؛ " أمر مشكوك فيه".

ج. استخدام مغلوط للمنهج التحليلي، حيث قام المستشرق بتحليل بعض الحقائق طبقًا لهواه الذي يخدم هدفًا يسعى لتحقيقه.

د. إسقاط الواقع على الوقائع التاريخية في تفسير الحقائق التاريخية، فمثلاً الواقع يدل على حب السلطة، وبذل ما في الوسع للوصول إليها، فهنا أظهر المستشرق أن زواج النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها ابنة الصديق، كان وراءه هدف يسعى أبو بكر للوصول إليه، وهو إعلاء مركزه في الجماعة.

هـ. فقد المنهج النقدي في الدراسة؛ لأن ذلك يدعوه إلى إيراد آراء المخالفين له، ثم الترجيح بناء على قوة الدليل.

من خلال ما سبق يُلحظ عدم التزام المستشرق (وات Watt) بالمنهجية العلمية في سرد الحقائق التاريخية، وتحليلها، ويتضح ذلك من خلال إسقاطه لبعض الحقائق، وتزويره لبعضها، في سبيل تحقيق أهدافه من تشكيك في السيرة النبوية، وطعن في الصحابة.

ثانياً: تشويه سيرة أمهات المؤمنين، خاصة السيدة عائشة رضي الله عنها.

لقد كان للمستشرقين العديد من المواقف السلبية في حق أزواج النبي ﷺ، خاصة عائشة رضي الله عنها، لعلو مكانتها؛ وقربها من رسول الله ﷺ، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: {كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ}[1]، والنص التالي يدلل على موقف المستشرق (وات Watt) السلبي من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ التحريم10، 158/4، حديث رقم3411.

عرض المضمون:

سرد المستشرق (مونتجمري وات Montgomery,Watt) مقالاً تحدث فيه عن سيرة السيدة عائشة رضي الله عنها، مستعرضاً فيه قصة زواجها من النبي ﷺ مبيناً مقامها عند النبي ﷺ، وحادثة الإفك، ثم تحدث عن موقف السيدة عائشة من مقتل عثمان ﵁، ومن خلافة علي﵁، وحادثة الجمل [1].

ولكن تخلل مقاله العديد من الاتهامات في حق أم المؤمنين، مثل قوله: " وكانت عائشة فيما يظهر فائقة الجمال طفلة وشابة"[2]، وقوله: " وجلست عائشة تنتظر حتى عثر عليها آخر الأمر صفوان بن المعطل السلمى، فعاد بها في حراسته إلى المدينة، وكان ذلك (في رأى البعض) زلة كبيرة في الظروف التي كانت سائدة آنذاك"[3]، وقوله أيضاً: "على أن هذه الروايات لا تبرر الرأي الذى ذهب إليه (لامنسLammens) [4] بقوله: ومع ذلك فقد كان بين زوجات النبي ﷺ فيما يبدو حزبان، أحدهما تقوده عائشة وحفصة بنت عمر، وينتصر لسياسة أبويهما، والآخر تقوده أم سلمة من قبيلة مخزوم المكية" [5]، وقوله: " ولما زاد سلطان محمد ﷺ زادت حياة زوجاته يسرًا وارتفعت مكانتهن في المجتمع ولقبن بأمهات المؤمنين"[6]، وقوله في موضع آخر: " وقد وصفت في الأزمنة المتأخرة بأنها كانت مثالًا للتقوى، ولكن ليس من اليسير أن نتبين السند في هذا القول"[7].

1. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق العديد من الدعاوى التي لا دليل عليها، ومن ذلك:

---

(1) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مونتجمري وات Montgomery,Watt، عائشة بنت أبي بكر، ج22/ 7037-7040.

(2) المرجع السابق، ج22/7038.

(3) المرجع نفسه، ج22/7038.

(4) المستشرق لامنسLammens : (1862-1937م) مستشرق فرنسي، رهباني، درس اللاهوت، من مؤلفاته: دراسات عن "حكم الخليفة الأموي معاوية الأول"، و"الحكام الثلاث: أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة"، "إخلاص محمد". انظر: المستشرقون، العقيقي، ص1068-1069.

(5) دائرة المعارف الإسلامية، مونتجومري وات Montgomery,Watt، عائشة بنت أبي بكر، ج 22/7039.

(6) المرجع السابق، ص7039.

(7) المرجع نفسه، ج 22/.7040

أ. التعريض بأم المؤمنين عائشة، بقصد التنقص منها.

لم يشتهر عن أم المؤمنين أنها كانت فائقة الجمال، بل ما قيل عنها أن النبي ﷺ كان يلقبها "بالحميراء"، { عَن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ الحَبَشَةُ المَسْجِدَ يَلْعَبُونَ، فَقَالَ لِي: يَا حُمَيْرَاءُ، أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ}[1]، فما الغرض من قوله في هذا الموقف؟؟.هل مقصوده لجمالها طمع فيها صفوان والعياذ بالله ! مع العلم أن الحجاب كان مفروضاً في ذلك الوقت، ولم يرها نهائياً.

ب. وما أطلق عليه زلة كبيرة مقصودة في حادثة الإفك، فإذا أراد به الوقوع في الفاحشة، فقد برأها الله من فوق سبع سموات، وقد ورد ذلك في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، أما إذا أراد به مخالفة العرف الاجتماعي بعودتها مع صفوان بن المعطل لوحدها فقد شهد على علو أخلاقها وأخلاق صفوان معظم أهل قريش.

ج. ادعاء (لامنسLammens) انقسام أمهات المؤمنين إلى أحزاب سياسية.

استعانة المستشرق (وات Watt) برأي (لامنسLammens) وهو معارض له، لا داعي لوجوده، كما أن أمهات المؤمنين لم ينقسموا إلى حزبين سياسيين، بل كان مجرد حادثة سببها الغيرة، والغيرة من الأمور الجائزة في حق المرأة، فهي مجبولة عليها، كما أن الصحابة ﷺ كانوا يحبون أن يهدوا رسول الله ﷺ في يوم عائشة، وقد ورد في صحيح البخاري، أن نساء النبي ﷺ كانوا حزبين، حزب عائشة وحفصة وسودة وصفية، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نسائه، حزب أم سلمة طلبنّ من رسول الله أن يطلب من الناس أن تكون هداياهم له في أي بيت من بيوت نسائه، ولا يخصون ذلك فقط عندما يكون في بيت عائشة رضي الله عنها، فطلب منهم رسول الله ألا يغاروا من عائشة فهي الوحيدة التي نزل علبه الوحي وهو في ثوبها[2]، ومن الحديث يتضح أن المسألة مرجعها غيرة النساء.

---

(1) السنن الكبرى، النسائي، كتاب عشرة النساء /باب إباحة الرجل لزوجته النظر في اللعب، 181/2، حديث رقم8902.

(2) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب من أهدى إلى صاحبه، 156/3، حديث رقم 2581.

د. **ادعاء المستشرق (وات Watt) ترف نساء النبي ﷺ نتيجة اتساع سلطانه.**

أما ادعاؤه بأن حياة الرسول ﷺ ونسائه أصبحت أكثر ترفاً، مع علو شأن الإسلام، فهذا مخالف للواقع، فالنبي ﷺ تمر على بيته الشهور ولا يوقد فيها نار، كما يأتي بيته من يسأل الصدقة فلا يجد ما يقيتهم، ومما يدل على ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها عندما جاءتها امرأة معها طفلتان تطلب الصدقة فلم تجد في بيتها إلا تمرة، أعطتها للسائلة فقسمتها السائلة بين طفلتيها(1)، كما أن النبي ﷺ مات ولم يكن في بيته عند عائشة رضي الله عنها إلا الشعير، فكان هذا طعامها حتى نفذ يشبع من خبز الشعير(2)، وكذلك نسائه كانوا يضقن من حياة التقشف، فقد كانت عائشة رضي الله عنها توزع كل ما يأتيها رغم أن درعها مرقع زهدًا بالدنيا وما فيها(3).

هـ. **الطعن في تقوى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.**

يدعي المستشرق (وات Watt) أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفت بالتقوى بالأزمنة المتأخرة، مع عدم وجود دليل على قوله، فجميع المصادر الموثوقة تدحض قوله، ففضل السيدة عائشة ثابت، وقد وردت الأحاديث الصحيحة كما سبق بيانه، كما أن تقواها وزهدها ظهرا جلياً في أفعالها،{ بَعَثَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَائِشَةَ بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ يَكُونُ مِائَةَ أَلْفٍ فَدَعَتْ بِطَبَقٍ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صَائِمَةٌ، فَجَعَلَتْ تَقْسِمُ فِي النَّاسِ، قال فلما أمست قالت: يا جارية هاتي فِطْرِي. فَقَالَتْ أُمُّ ذَرَّةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا اسْتَطَعْتِ فِيمَا أَنْفَقْتِ أَنْ تَشْتَرِيَ بِدِرْهَمٍ لَحْمًا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: لا تُعَنِّفِينِي، لَوْ كُنْتِ أَذْكَرْتِنِي لَفَعَلْتُ}(4).

يُستخلص مما سبق محاولات المستشرق(وات Watt) التشكيك في عفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مستغلاً حادثة الإفك، وكونها ابنة الصديق الرفيق المقرب للنبي ﷺ، وكل ذلك في سبيل الوصول إلى هدفه وهو الطعن في السنة النبوية حيث تعد عائشة رضي الله عنها من المكثرين من رواية الأحاديث عن رسول الله ﷺ، { فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا

---

(1) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة، 110/2، حديث رقم 1418.

(2) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب فرض الخمس/ باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته، 81/4، حديث رقم 3097.

(3) انظر: المصنف، ابن أبي شيبة، 230/19، حديث رقم 35885.

(4) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج53/8.

أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا}[1]، وقد بلغ عدد ما روته من الأحاديث ألفين ومئتين وعشرة أحاديث [2].

2. النقد المنهجي:

ومما سبق يُلحظ مخالفة المستشرق للمنهجية العلمية في سرده التاريخي لسيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، كما يظهر فيما يلي:

أ. التخلي عن الالتزام بمقاييس المنهج العلمية، ومن ذلك استخدام المناهج التاريخي الاستردادي بصورة مغلوطة، فقد أورد سيرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها دون الالتزام بعرض المادة التاريخية عرضاً أميناً وموضوعياً.

ب. استخدام أسلوب الإسقاط للأدلة، رغم أن المكتبة الإسلامية زاخرة بالأدلة والمصادر التي تخدم بحثه، وتجنبه الوقوع في المغالطات.

ج. إسقاط الفكر المادي على العصر النبوي، وادخاله في إطار وضعي، ويتضح ذلك من خلال اعتبار النبي ﷺ كباقي البشر، يفتنه السلطان ويغريه الترف.

د. الاستدلال المخالف برأي المستشرق (لامنسLammens)، دون الحاجة إليه.

ومن خلال ما سبق تُوصل إلى أن بعض المستشرقين يعلن عن التزامه بمنهج معين خلال دراسته للعقيدة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي مع مراعاته للحيادية؛ والموضوعية، إلا أنهم يخالفون ما يدعونه؛ ويجانبون الصواب؛ ويحيدون عن المنهج.

(1) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب/باب فضل عائشة رضي الله عنها، 705/5، حديث رقم 3883.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج428/3.

المبحث الثاني:

مغالطات المستشرقين الاستدلالية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

في الدراسات الإسلامية لا بد من تتبع منهجية استدلالية معينة تقوم على احترام النص الشرعي وتعظيمه، وجعله الأصل في مسائل العقيدة، مع التزام الأمانة العلمية في التعامل مع النصوص، مع الإلمام باللغة العربية، لفهم اللفظ ودلالة النص، والرجوع لأقوال السلف الموافقة للنصوص، حتى يتم تجنب أي لبس في فهم النص، ومن خلال تتتبع نصوص دائرة المعارف الإسلامية لُحِظَ إيراد المستشرقين كثير من المغالطات في استدلالاتهم، وهذا ما سيتم بيانه على النحو التالي:

المطلب الأول: تضعيف حجية الاستدلال الصحيح المخالف لهم.

تعددت المسائل العقدية التي أوردها المستشرقون خلال أبحاثهم؛ ومقالاتهم في دائرة المعارف الإسلامية، ويُلحظ أن بعض المستشرقين عند إيرادهم الأدلة يسعون إلى تضعيف الدليل الصحيح، إذا كان مخالفًا للفكرة التي ينوون إثباتها، فيتصدرون لذلك الدليل إما بتفتيته وتجزئته بنزع منه ما يريد؛ وترك باقي الدليل، أو بتأويله وإخراجه عن معناه الحقيقي، إلى غير ذلك من الأساليب السلبية، كما في النماذج التالية:

أولاً: التشكيك في وفاء الرسول ﷺ بالعهود.

بذل العديد من المستشرقين جهودهم في سبيل التشكيك في أخلاق رسول الله ﷺ، ووصفوه بصفات لا تليق بأخلاق الأنبياء، ومن ذلك ما يلي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(جولدتسيهر Goldziher) في مادة (أهل الكتاب)، قوله: "ويعد التقصير في حماية أهل الكتاب إثماً كبيراً في الإسلام، وبالطبع لا يمكن أن يتخذ ما فعله النبي ﷺ ببنى النضير وبني قريظة مثلًا يقاس عليه، على أنه رغم نزعة التعصب التي كان يُعَبَّر عنها بعبارات شديدة، كانت القاعدة المتبعة في معاملة الذميين هي التي وردت في الحديث المروى عن النبي ﷺ: "من آذى يهودياً أو نصرانياً كنت خصماً له يوم القيامة"[(1)]، يحاول المستشرق اتهام النبي ﷺ بطريق غير مباشر بنقضه للعهد مع بني النضير؛ وبني قريظة، مخالفاً بذلك ما يدعو الناس إليه من حسن معاملة أهل الذمة.

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، جولدتسيهر Goldziher، أهل الكتاب، ج1399/5.

2. النقد العلمي للمضمون:

يجتهد المستشرق (جولدتسيهر Goldziher) في التشكيك في أخلاق النبي ﷺ، ومن ذلك اتهامه بالتقصير في حماية أهل الذمة من اليهود؛ والنصارى، ويُرد على ادعاءات المستشرق ما يلي :

مخالفة النبي ﷺ لعهده مع بني النضير؛ وبني قريظة.

القرآن الكريم والسنة النبوية تدعو إلى الوفاء بالعهود، والأدلة على ذلك كثيرة، وخير من يلتزم بطاعة الله وتنفذ أوامره النبي ﷺ، ومن أدلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ النحل91، وقول رسول الله ﷺ: {أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ}(1)، أما محاولة المستشرق الخفية اتهام النبي ﷺ بالتقصير في حمايتهم، فيرد عليه بأن كلتا القبيلتين هم من نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ:

- بنو النضير قد أمنهم الرسول ﷺ بالمدينة، لكنهم هم من خانوا العهد وذلك عندما قتل أحد أصحاب رسول الله ﷺ رجلين من بني عامر خطأً، وكان بنو عامر حلفاء لبني النضير، ذهب الرسول ﷺ إلى بني النضير وكان معه أبو بكر، وعمر ﷺ لدفع دية الرجلين القتيلين، إلا أن بني النضير دبروا مكيدة لقتل الرسول ﷺ بإلقاء صخرة كبيرة عليه وهو جالس عندهم، لكن الله كشف أمرهم، وبعد ذلك طلب منهم الرسول الجلاء من المدينة لخيانتهم العهد الذي بينهم وبينه، والقصة مشهورة في كتب السير(2).
- بنو قريظة فقد خانوا رسول الله ﷺ، ونقضوا العهد، في غزوة الأحزاب، حيث اتفق بنو قريظة على نصرة قريش عند محاصرتها المدينة، ومعاداة رسول الله ﷺ، وقد ذكر القرآن هذه الواقعة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب 10، والمقصود إذ جاءوكم من فوقكم هم

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب علامة المنافق، 16/1، حديث رقم34، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان خصال المنافق، 78/1، حديث رقم58.

(2) انظر: المغازي، الواقدي، ج1/ 374-368.

بنو قريظة، ومن أسفل منكم هم قريش، لكن الله نصر رسوله، والمؤمنين[1]، وبعد ذلك سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة بأمر من الله، وحاصرهم، حتى استسلموا، وحكم رسول الله فيهم سعد بن معاذ، فحكم بقتلهم، وسبي نسائهم، وتقسيم أموالهم لخيانتهم للعهد[2].

ومن خلال ما سبق يتضح نقض بني النضير، وبني قريظة للعهد مع رسول الله ﷺ، وليس كما يحاول الكاتب أن يوهم، والنبي ﷺ أولى الناس بامتثال أوامر الله التي يدعو إليها، كما أن أهل الكتاب لهم حقوق، وعليهم واجبات في الدولة الإسلامية، وقد بينها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسار عليها السلف الصالح.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق (جولدتسيهر Goldziher):

أ. توهين حجية الدليل بمناقضته لواقع الفعل، ومن ذلك إيراد المستشرق الأدلة الصحيحة على معاملة أهل الذمة في الإسلام، ثم إيهامه بعدم قياس ما حصل مع بني النضير؛ وبني قريظة على هذه الأدلة.

ب. استخدام أسلوب التشكيك للطعن في أخلاق النبي ﷺ، ومن ذلك قوله: " لا يمكن أن يتخذ ما فعله النبي ﷺ ببنى النضير وبني قريظة مثلًا يقاس عليه".

ويمكن الخلوص مما سبق إلى أن منهجية المستشرقين كالمستشرق (جولدتسيهر Goldziher) في التعامل مع السيرة النبوية تظهر واضحة من خلال مقالاتهم، ومن ذلك طعنه في سيرة؛ وأخلاق النبي ﷺ، من خلال تشكيكه بوفائه بالعهود التي يبرمها مع أعدائه، مستخدماً أسلوب المدح بالنبي ﷺ من جهة، وفي المقابل الاعتراض على موقفه من بني قريظة، وبني النضير.

ثانياً: الطعن في سيرة النبي ﷺ قبل البعثة.

بذل المستشرقون جهداً كبيرًا لينالوا من النبي ﷺ، فشككوا في سيرته المطهرة، سواء قبل البعثة؛ أو بعدها، بهدف هدم الدين الإسلامي، وهذا على النحو الآتي:

---

(1) انظر: المغازي، الواقدي، ج494/2، 503-504.

(2) انظر: المرجع السابق، ج2/ 511-512.

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرقان(ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) في مادة (محمد ﷺ)، قولهما: " فقصة تطهير قلبه من العلقة السوداء مثلاً قد لا تكون غير تفسير للآية الأولى من سورة الشرح {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}، كذلك فإنه من الأوفق رفض تصديق ما قيل عن رحلاته للتجارة إلى الشام أثناء طفولته في صحبة أبى طالب، ثم كتاجر فيما بعد لحساب خديجة، فالقالب الذى صيغت فيه هذه الروايات (كما في قصة الراهب المسيحي بحيرا) يُوحى بأنها روايات هادفة، أما عن قصة دور ﷺ في إعادة بناء الكعبة فهي أيضاً غير جديرة بالتصديق"[1]، بهذه الدعاوى، يظهر لكل ذي لب محاولات المستشرقين (ف. بول. ت. ولت F.Buhl – OA.T. Welet) تزييف الحقائق، من خلال إنكار بعض إرهاصات النبوة [2]، كحادثة شق الصدر، وتظليل الغمام للنبي ﷺ أثناء رحلته إلى الشام، وموقفه أثناء بناء الكعبة قبل البعثة.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

يسرد المستشرقان (ف. بول. ت. ولت F.Buhl – OA.T. Welet) بعض الروايات عن حياة النبي ﷺ قبل بعثته، بأسلوب التشكيك، والتكذيب لهذه الروايات، دون أن يبذلوا أدنى جهد للتحقق من صحتها، أو كذبها، وتتضح مغالطاتهم، كالآتي:

أ. ادعاء أن حادثة شق الصدر تجسيد لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الشرح1.

يدحض هذا الاتهام غير المباشر الذي يسوقه المستشرقان خلال مقالهم، الروايات الصحيحة التي أثبتت وقوعها، ومن هذه الروايات عن أنس ﷺ { أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، فَأَتَاهُ آتٍ فَأَخَذَهُ فَشَقَّ بَطْنَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَرَمَى بِهَا، وَقَالَ: هَذِهِ نَصِيبُ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ فَأَقْبَلَ الصِّبْيَانُ إِلَى ظِئْرِهِ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَاسْتَقْبَلَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدِ انْتَقَعَ لَوْنُهُ " قَالَ أَنَسٌ: "

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ف. بول. ت. ولت F.Buhl – OA.T. Welet، محمد ﷺ، ج9113/29–9114.

(2) إرهاصات النبوة: ما يصدر من النبي ﷺ قبل النبوة من أمر خارق للعادة تمهيدًا لها، أي هي توطئة، وإعلام بمجيء الرسول. النبوات، ابن تيمية، ج133/1، و التعريفات، الجرجاني، ص16.

فَلَقَدْ كُنَّا نَرَى أَثَرَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ}[1]، وهذه الرواية تثبت حدوث شق الصدر قبل البعثة، أما تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فقد فسرها علماء التفسير ومنهم القرطبي؛ وابن كثير أنها شرح القلب بالإسلام، وامتلاؤه حُكماً وعلماً[2]، وخلال تفسيرها أورد القرطبي حادثة شق الصدر التي حصلت بعد البعثة قبل الإسراء والمعراج[3].

ب. التشكيك في رحلاته التجارية إلى الشام، وموقف الراهب بحيرا، ونسطورا.

يذكر المستشرق في النص السابق أن لا يمكن تصديق ما قيل عن تجارة النبي ﷺ مع عمه، ومع خديجة رضي الله عنها، ويرد على ادعاءاته الباطلة فيما يلي:

- أما خروجه بالتجارة مع عمه أبي طالب إلى الشام قبل البعثة، ولقائه بالراهب (بحيرا)[4]، فقد وردت الرواية في كتب السنن[5]، وقد اجتهد العلماء في تحري صحة؛ وسقم الروايات التي وردت في هذه الكتب، وهذه الرواية أثبت الألباني صحتها [6]، بينما خالف الذهبي في تعليقه على المستدرك الحاكم في صحتها[7].
- أما تجارته ﷺ لخديجة رضي الله عنها فقد وردت في كتب دلائل النبوة[8]، والسير والمغازي[9]، وأثبتت خروج النبي ﷺ في تجارة للسيدة خديجة برفقة غلامها ميسرة، وسؤال الراهب نسطورا ميسرة عن النبي ﷺ.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله ﷺ، 146/1، حديث رقم162، ومسند أحمد، ابن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة/ مسند أنس بن مالك، 251/19، حديث رقم12221.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج104/20– 105، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ 429.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله ﷺ، 147/1، حديث رقم163.

(4) انظر: دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، ص168–170، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي، ج24/2–29، صححه الألباني، موسوعة الألباني في العقيدة، ج243/8–252..

(5) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب المناقب/ باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ ، 19/6، حديث رقم3620، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ من كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي من دلائل النبوة، 672/2، حديث رقم4229، صححها الألباني، موسوعة الألباني في العقيدة، ج243/8–252..

(6) صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني، حديث رقم 3620، وحكم الألباني على هذه الرواية بالصحة.

(7) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، من كتاب آيات رسول الله ﷺ التي هي من دلائل النبوة، 672/2، حديث رقم4229.

(8) انظر: دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، ص172.

(9) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج1/ 187–188.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الموقف السلبي الذي اتخذه المستشرقان (ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) من الروايات التي تتعلق بتجارة النبي ﷺ مع عمه أبي طالب، والسيدة خديجة رضي الله عنها هو موقف شخصي ربما أرادا من نفيه التشكيك في إرهاصات النبوة، وكذلك ادعاؤهم أنها روايات هادفة، فيه طعن صريح بصحة الروايات، وإيهام للقارئ بأن النبوة من تأليف النبي ﷺ، وبمساعدة أقربائه.

ج. تكذيب مشاركته بناء الكعبة مع قريش قبل البعثة.

وردت هذه الرواية في كتب الصحاح، وتكذيبها مخالفة للمنهج العلمي، { سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا بُنِيَتِ الكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَبَّاسٌ يَنْقُلاَنِ الحِجَارَةَ، فَقَالَ العَبَّاسُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ، فَخَرَّ إِلَى الأَرْضِ، وَطَمَحَتْ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَرِنِي إِزَارِي» فَشَدَّهُ عَلَيْهِ}(1)، وقد اختلفت القبائل من يضع الحجر الأسود مكانه بعد أن أتموا بناءها، وفي النهاية استقر الأمر على النبي ﷺ، بعد أن فض الخلاف بينهم بحكمته(2).

ومما سبق يتضح جرأة؛ وافتراء المستشرقين (ف. بول. ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) في كلامهما، حيث حاولا الطعن بالسيرة النبوية بدون برهان؛ أو دليل، ومن ذلك التكذيب العلني لبعض الروايات الصحيحة، وعدم تحققهم من صحة ؛ وسُقم بعض الروايات.

3. النقد المنهجي:

من أشهر المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرقان(ف. بول، ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet):

أ. تزييف الحقائق، من خلال تضعيف حجية الاستدلال الصحيح بها، لعدم خضوعها للتحليل العقلي الذي ينتهجه المستشرقون، ويظهر ذلك من خلال التشكيك في حادثة شق الصدر التي تعتبر من إرهاصات النبوة.

ب. مخالفة المنهج العلمي بعدم دراسة الروايات دراسة موضوعية، للتحقق من صحتها؛ أو ضعفها.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج/ باب فضل مكة، 146/2، حديث رقم1582.

(2) انظر: السيرة، ابن اسحاق، 107، والسيرة النبوية، ابن هشام، ج197/1.

ج. التكذيب الصريح لروايات صحيحة وردت في كتب الصحاح، وهذا مخالفة للمنهج العلمي، والموضوعية التي يجب أن يلتزم بها الباحث.

د. عدم إيراد أدلة تخدم أقوالهم، وتثبت صحة ادعاءاتهم.

هـ. التشكيك في كتب المغازي والسير، التي خلدت سيرة النبي ﷺ.

ومن خلال ما سبق يُلحظ أن محاولات المستشرقين الطعن بالسيرة النبوية لا تكل، ومن ذلك طعنهم في سيرته قبل البعثة، لدحض إرهاصات النبوة ، وبذلك يزلزلون الأسس التي بُنيت عليها النبوة، فإن لم يستطيعوا التشكيك بالنبوة فعلى الأقل يخلقون بلبلة حولها، إلا أن الله يأبى إلا أن يخذلهم ويبين ادعاءاتهم الباطلة، ويدحضها بحفظ السيرة النبوية بالتواتر والروايات الصحيحة.

المطلب الثاني: تناقض الاستدلال في المسألة الواحدة.

الاستدلال الصحيح يقوم على عدم التناقض عند إيراد الأدلة في المسألة الواحدة، فالتناقض يرفضه كل ذي عقل، ورغم ذلك وُجد العديد من المستشرقين الذين خالفوا المنهجية الصحيحة في الاستدلال، وكان التناقض سمة من سماتهم، ومن تناقضاتهم أنهم كانوا يوردون المسألة بما يوافق أهواءهم، وأغراضهم ثم بعد ذلك ينقضونها بنصوص أخرى مخالفة لاستدلالهم الأول، ويظهر ذلك في بعض نصوص دائرة المعارف الإسلامية التي أعدها جهابذة الاستشراق، ومن نماذج ذلك:

أولاً: تمجيد الفرق البدعية.

يحرص المستشرقون على نصرة الطوائف والفرق الضالة، إما بتزكيتها، أو تبرئتها من انحرافاتها، وكذلك بالإعلاء من شأن أئمتها، وهذا على النحو الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(مركوليوث D.S Margoliouth) في مادة (الشاذلية)، قوله: " وإذا نحن صرفنا النظر عن هذا العلم الخفي فإن شيوخ الطريقة الشاذلية كانوا سنيين متشددين، والحقيقة أن أصحاب هذه الطريقة كانوا إذا انكشف لهم شيء يخالف السنة أنكروه مراعاة لها، ومع ذلك فإن بعض ما قاله الشاذلية كان سببًا في نقد ابن تيمية لهم، لكن اليافعي المؤرخ (جـ 4، ص142) نقد أصحاب ابن تيمية"[1]، بذل المستشرقون جهداً كبيرًا في نصرة الطرق الصوفية

(1) دائرة المعارف الإسلامية، مركوليوث D.S Margoliouth، الشاذلية، ج6064/19-6065.

البدعية، ومن ذلك ادعاء المستشرق أن شيوخ الطريقة الشاذلية متمسكون بالسنة النبوية، ويعبر عن استغرابه من نقد ابن تيمية لبعض أقوالهم رغم سنيتهم.

2. النقد العلمي للمضمون:

ذكر المستشرق (مركوليوث Margoliouth) العديد من المغالطات، التي تحمل بين طياتها المدح والتمجيد للطريقة الشاذلية، رغم أنه ذكر بعض الأمور التي تميز طريقتهم، وهذه الأمور مخالفة للسنة النبوية، كما يتضح فيما يلي:

أ. ادعاء عدم تمسك الشاذلية بالسنة النبوية.

يدعي المستشرق (مركوليوث Margoliouth) التزام أصحاب الطريقة الشاذلية بالسنة النبوية، بل والتشدد في تطبيقها، حتى وصل بهم الأمر ترك الكشف الذي يُعد من المصادر الأصيلة عندهم إن كان فيه ما يخالف السنة كما يدعون، ويرد على ادعائه هذا أن أبا الحسن الشاذلي[1] رئيس الطائفة الشاذلية الصوفية له مخالفات عقدية بينها العلماء، من ذلك:

- ادعاؤهم نسبتهم إلى آل البيت، حيث ينتهي نسبهم إلى الحسن بن علي رضي الله عنه بزعمهم، وهذا مخالف للحقيقة.
- ادعاؤهم أن القطب عندهم هو من يضع التشريع، فهو من يشرع الأذكار والأوراد التي على حسب زعمهم توصلهم للعرش، حيث إن هذا الذكر فيه قوة روحانية دافعة، تجعل الذاكر يري رسول الله ﷺ، وكذلك يرى الله ﷻ[2]، ومن أورادهم " وزج بي في بحار الأحادية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحسّ إلا بها" [3].
- الكثير من أذكارهم؛ وأورادهم تعطيل للأمر والنهي، ومخالفة للأذكار المشروعة، وقد ذكر ابن تيمية قولاً للشاذلي، يردده إذا عظم عليه الأمر والنهي: " يَكُونُ الْجَمْعُ فِي قَلْبِك

---

(1) أبو الحسن الشاذلي: علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف ابن هرمز الشاذلي المغربي (591-656هـ)، رأس الطائفة الشاذلية الصوفية، من ألقابه: الغوث، قطب الزمان، علم المهتدين، زمزم الأسرار، صاحب الأوراد المسماة "حزب الشاذلي". انظر: الأعلام، الزركلي،ج4/304-305، والطبقات الكبرى، الشعراني، ص296.

(2) انظر: الرد على الخرافيين، سفر الحوالي، ص8-9، 80-81.

(3) النفحة العلية في الأوراد الشاذلية، زكي، ص16، وشعر البرعي بين الكتاب والسنة، ابن عبد الرحمن، ص10.

مَشْهُودًا، وَالْفَرْقُ عَلَى لِسَانِك مَوْجُودًا"، من قوله في حزب الفتح: "بحرمة النبي الهادي، وبحرمة الاثنين والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية، وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك، وبحرمة سيدة آي القرآن من كلامك، وبحرمة السبع المثاني، والقرآن العظيم بين كتبك... اكفني كل طالب يطلبني من خلقك بالحق، أو بغير الحق في الدنيا والآخرة" [1].

- يجوزون الكرامات للأولياء، والفجار والكفار [2].
- من بعض أقوال الشاذلي المخالفة للسنة: " رأيت رسول الله ﷺ فقلت ما حقيقة المتابعة؟ فقال رؤية المتبوع عند كل شيء، ومع كل شيء، وفي كل شيء" [3]، وقوله: " سمعت هاتفاً يقول كم تدندن مع من يدندن؟ وتعريفي يغنيك عن علم الأولين والآخرين، ما عدا الرسول ﷺ، وعلم النبيين عليهم السلام"[4]، وقوله أيضاً في وصف الفناء بالله: " وهناك يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه، ثم قال" يارب أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك، وهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى، وهو طريق المحبين الذين هم أبدال النبيين عليهم الصلاة والسلام"[5]، ويظهر من أقواله العديد من المخالفات العقدية، منها القول بعقيدة وحدة الوجود، وادعاء أنهم أبدال للأنبياء.

ب. استغراب المستشرق من نقد ابن تيمية للشاذلية.

حادت الطريقة الشاذلية عن السنة النبوية، وليس كما يوهم المستشرق، فتصدى لها كثير من العلماء لبيان باطلها، منهم ابن تيمية الذي تصدى للطريقة الشاذلية من باب الدفاع عن الدين، بإحقاق الحق؛ وإبطال الباطل، فكان رده على ما وجده من باطل في طريقتهم[6]، ولا داعٍ لاستغراب المستشرق (مركوليوث Margoliouth) فهكذا يتعامل ابن تيمية مع كل المخالفين، وليس فقط مع الشاذلية.

- فردود ابن تيمية إذًا هي على ادعاءاتهم الباطلة، ومن ذلك ادعاؤهم أن الشاذلي هو الغوث الفرد القطب الجامع يعلم ما يعلمه الله ويَقْدر على ما يقدر عليه، وادعاؤهم أيضًا أن هذا

(1) النفحة العلية في أوراد الشاذلية، زكي، ص145.
(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج226/14.
(3) الطبقات الكبرى، الشعراني، ص298.
(4) المرجع السابق، ص299.
(5) المرجع نفسه، ص307.
(6) لمزيد من التفصيل: انظر كتاب الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق، ابن تيمية.

العلم انتقل إليهم من النبي ﷺ؛ ثم الحسن، حتى وصل إلى أبي الحسن الشاذلي[1]، ومن مخالفاتهم أيضًا إيرادهم الأحاديث المكذوبة والموضوعة عن رسول الله ﷺ في أذكارهم، وأورادهم ؛ وإذا سئلوا عن ذلك أنكروا، وادعوا اتباعهم للشرع[2]، كذلك إيرادهم الأدعية المخالفة للسنة، ومن ذلك قولهم: " نسألكَ العصمةَ في الحركات والكلمات والإرادات والخَطَرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب" فهذا من الاعتداء في الدعاء الذي نهى عنه الله ﷻ[3].

- كما ويورد المستشرق أن اليافعي[4] نقد أصحاب ابن تيمية، دون أن يذكر سبب نقده لهم، والسبب في ذلك أن اليافعي نفسه كان له كلام في ذم ابن تيمية، لذلك بعض الحنابلة المتعصبين لابن تيمية غمزوا اليافعي بالكلام، وممن غمزه الضياء الحموي لقوله في قصيدة له (يا ليلة فيها السعادة والمنى...لقد صغرت في جنبها ليلة القدر)[5]، ومن كلام اليافعي في حق ابن تيمية: "وبعد فاسمع كلامًا قد تقوّله   قاضي القضاة تقي الـدين وانتبـه

... أعني ابن تيمية الحبر الذي شهدت   بفضله فضلاء النـاس والنبـــه"[6]

- ومن مخالفات اليافعي أيضًا قوله: "أنه لما قصد المدينة لزيارة النبي ﷺ، قال: لا أدخل المدينة حتى يأذن لي رسول الله ﷺ، قال: فوقفت على باب المدينة أربعة عشر يوماً، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا عبدالله أنا في الدنيا نبيك، وفى الآخرة شفيعك، وفى الجنة رفيقك، وأعلم أن في اليمن عشرة أنفس من زارهم فقد زارني، ومن جفاهم فقد جفاني"، وهذا القول مقتبس من حديث ضعيف للرسول ﷺ، فإن تم مناقشتهم بدرجة الحديث دافعوا عنه ليس ذبًّا عن سنة رسول الله ﷺ، بل لأنه يبطل دعواهم[7].

---

(1) انظر: الحسنة والسيئة، ابن تيمية، ص117.

(2) انظر: الرد على الخرافيين، سفر الحوالي، ص116.

(3) انظر: الرد على الشاذلي في حزبيه، ابن تيمية، ص11-12.

(4) اليافعي: عفيف الدين، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، (698-768هـ)، متصوف، من شافعية اليمن، من مصنفاته: " نشر المحاسن الغالية، في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية"، " مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان". انظر: الأعلام، الزركلي، ج72/4.

(5) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، ج20/3، رقم2121، و شذرات الذهب، ابن العماد العكري، ج363/8.

(6) المقالات السنية في تبرئة شيخ الإسلام ابن تيمية، عبد الرحمن دمشقية، ص83-84.

(7) انظر: الرد على الخرافيين، سفر الحوالي، ص116.

ومن خلال ما سبق يتضح مدى مخالفة الطريقة الشاذلية للسنة النبوية، ومن ذلك ادعاؤهم علم الغيب، وإذن رسول الله ﷺ لبعضهم عند الروضة، وإيرادهم أذكارًا وأورادًا مخالفة للعقيدة، واستنادهم على كثيرًا من الأحاديث الضعيفة، بينما المستشرق (مركوليوث Margoliouth) يسعى لإثبات عدم مخالفتهم للسنة النبوية.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق (مركوليوث Margoliouth):

أ. التناقض في الاستدلال، ويتضح ذلك من خلال إيراده أن الشاذلية لا يحيدون عن السنة النبوية، حتى لو خالف ذلك كشفهم، وبعد ذلك يورد أن ابن تيمية وأصحابه قد وقفوا لهم بالمرصاد، فإن كانوا ملازمين للسنة فلم يقف لهم أهل السلف؟؟، كما أنه يورد الأمور التي يعتقدون بها، وهي أمور مخالفة للقرآن، والسنة.

ب. الإيهام في إيراد الأدلة من أجل الترويج لباطل الطوائف الضالة، ومن ذلك تمجيد الطريقة الشاذلية بادعاء أنها لم تخالف الكتاب، والسنة النبوية.

ج. الغموض في تناول بعض الحقائق، وذلك بالتهرب من الحقيقة التي تثبت عدم صدق المستشرقين، ومن ذلك قول المستشرق (مركوليوث Margoliouth):

– " وإذا نحن صرفنا النظر عن هذا العلم الخفي"، لِم لَم يوضح هذا العلم؟

– وقوله: "كانوا إذا انكشف لهم شيء يخالف السنة أنكروه مراعاة لها" ما الأدلة على أقواله؟

د. تمجيد أئمة البدع ونصرتهم، ومن ذلك إبراز الطرق الصوفية، وإحياء أئمتها، وأفكارهم، وأذكارهم، وتبرئتهم من الانحراف.

من خلال ما سبق يُلحظ أن المستشرقين حريصون على تزكية شيوخ الطرق الصوفية، وتعظيمهم، وتبرئتهم من الانحراف، وذلك بادعاء عدم مخالفتهم للسنة النبوية، رغم وضوح الأدلة على مخالفاتهم، وذلك مدخل هام بالنسبة إليهم للطعن بالإسلام حيث إنهم يعدون هذه الفرق إسلامية خالصة.

ثانياً: الطعن في حجية السنة النبوية.

تُعد السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، وكلاهما وحي من الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم3-4، إلا أن السنة النبوية ألفاظها من النبي ﷺ نفسه، وقد بين العلماء منهم الشافعي، وابن تيمية اتفاق المسلمين على حجيتها[1].

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (يوسف شاخت Joseph Schacht) في مادة (أصول)، قوله: "كما أن بعض الأحكام التي وضعها محمد ﷺ لم ترد في القرآن، وهى عادة قليلة الأهمية، ولم تطبق تطبيقًا عامًا بالرغم من صدورها عن النبي ﷺ، ومن أول الأمر لم توضع حجية النبي ﷺ في الإسلام موضع الشك حتى في الأمور التي لم ينص عليها الكِتاب، ولكن في الوقت نفسه كانت أفعاله تعتبر بشرية بحتة حتى ما مس منها أمور الدين، فكانت بهذا لا تعتبر معصومة عن الخطأ، ونقدت هذه الأفعال أكثر من مرة، وكأن الكِتاب نفسه يلومه أحيانًا على بعض أفعاله (سورة 61، الآية 1).... إذا كان الجانب الأكبر من الفقه ينهض على سنة محمد (صحيحها وزائفها)، فقد اعتبر المسلمون أن السنة منزهة عن الخطأ، ومن الصعب أن تجد هذا الرأي في القرآن (سورة آل عمران، الآية 29؛ سورة النساء، الآية 62؛ سورة النحل، الآية 46؛ سورة الأحزاب، الآية 21؛ سورة النجم، الآية 3)"[2]، في النص السابق يحاول المستشرق (شاخت Schacht) التقليل من شأن السنة النبوية، والطعن في عصمتها، مستدلاً ببعض الآيات التي تؤيد رأيه، ثم بعد ذلك يورد أن السنة عند المسلمين معصومة، مستدلاً كذلك ببعض الآيات التي استند عليها المسلمون.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المعلوم أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق الأمة، لهذا وجب الإيمان بكل ما أُوتوه، قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ الحشر7، أما العصمة في غير ما يتعلق بالرسالة، فإنهم معصومون عن الكبائر والصغائر المتعمدة، أما الصغائر غير المتعمدة فلا يقرون عليها؛ بل يعاتبهم بها الله، ويتوبون منها ويستغفرون الله، ولا يعني أن توبتهم تنافي الكمال بل التوبة وعدم الرجوع للذنب ترفع صاحبها أعظم مما كان

(1) انظر: الأم، الشافعي، ج258/8، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج232/20، وإعلام الموقعين من رب العالمين، ابن القيم، ج282/2.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، يوسف شاخت Joseph Schacht، أصول، ج834/3، 836-837.

قبلها[1]، ويلاحظ بالنص السابق تشكيك المستشرق (شاخت Schacht) بعصمة السنة النبوية، وفيما يلي بيان لأبرز مغالطاته:

أ. التشكيك في عصمة السنة النبوية من الخطأ.

يسعى المستشرق (شاخت Schacht) للتقليل من شأن السنة النبوية؛ والتشكيك في حجيتها، وذلك من خلال ادعائه أن الأحكام الموجودة فيها لم ترد في القرآن، ويرد على قوله بأن العلماء قد بينوا أن السنة جاءت مع القرآن بثلاثة أوجه: جاءت موافقة له مثل تحريمها الربا، والخمر كما ورد بالقرآن، والثاني؛ جاءت مفسرة للقرآن مثل تفسير كيفية الحج، والصلاة، ومقادير الزكاة، والثالث؛ جاءت بأحكام سكت عنها القرآن مثل حكم تحريم الجمع بين البنت وعمتها؛ أو خالتها[2]، وغير ذلك من الأحكام، فهنا لم يفرق المستشرق (شاخت Schacht) بين الأوجه الثلاثة، مما أدى إلى التباس الأمر عليه، مما دعاه إلى إصدار الأحكام دون تريث طاعناً بالسنة النبوية.

ب. ادعاء عدم تطبيق الأمور الدينية التي أوردتها السنة.

وهذا ادعاء باطل لا دليل عليه، فكثير من الأمور الدينية جاءت مجملة في القرآن الكريم، وجاءت السنة النبوية وفصلتها، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ البقرة43؛ فقد جاء الأمر بالصلاة مجملاً، لا يعرف كيفيتها؛ ولا عددها، وكل ما يتعلق بها لم يتم معرفته إلا من السنة النبوية؛ قال رسول الله ﷺ: { صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي}[3]، وكذلك الحج؛ قال رسول الله ﷺ: { خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ}[4]، فكيف سيعرف المسلمون الصلاة والحج وغير ذلك من الأمور دون الرجوع للسنة النبوية!.

ج. ادعاء لوم الله ﷻ للرسول ﷺ في القرآن الكريم على بعض أفعاله.

أورد المستشرق (شاخت Schacht) على هذا الادعاء دليلًا من القرآن الكريم وهو(سورة 61، الآية 1)، وبالرجوع للسورة على المصحف العثماني ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الصف 1، فربما يقصد سورة أخرى لكن اختلاف الطبعة التي اعتمدها أثناء كتابة مقاله، فلم يوجد بالمصادر ما يوضح المصدر الذي اعتمده، أما إن

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج289/10-293.

(2) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ج307/2-310.

(3) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، الدارمي، ج541/4، حديث رقم1658، صححه الألباني.

(4) إرواء الغليل، الألباني، ج271/4، حديث رقم 1074، صححه الألباني.

كان يقصد لوم الله له على بعض أفعاله كلومه لتصرفه مع ابن أم مكتوم في (سورة عبس)، وغيرها من المواقف، فقد بين العلماء هذه الأمور بمزيد من التفصيل، وذلك أن الله لم يقر رسوله على أخطائه، بل بينها له، وعاتبه عليها، لكن هذه الأمور لا تنفي عصمة السنة النبوية(1).

د. ادعاء عدم وجود أدلة في القرآن تثبت عصمة السنة، وإيراده لبعض الآيات التي تؤيد قوله حسب دعواه.

الآيات التي استدل بها المستشرق (شاخت Schacht) هي: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران29، ﴿ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ النساء62، ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ النحل46، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب21، ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ النجم3، كما يتضح من الآيات بعضها لا علاقة له بادعائه كآية آل عمران؛ والنساء، والنحل، وبعضها يخالف ادعائه، بل يثبت حجية السنة النبوية، وعصمتها كآية الأحزاب؛ والنجم.

ومما سبق يتضح تناقض ادعاءات المستشرق (شاخت Schacht)، وكذلك عدم فهمه لنصوص القرآن الكريم، إما لعجمته، وعدم معرفته للغة العربية، وكذلك عدم اطلاعه على كتب التفاسير التي تزيل اللبس عنه، وإما لتحقيق بعض الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها المستشرقون ألا وهو الطعن بالسنة النبوية، وإثبات عدم عصمتها، وأنها من صنع البشر لذلك فهي معرضة للأخطاء.

1. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (شاخت Schacht):

أ. تناقض الاستدلال في المسألة الواحدة، ويتضح ذلك من تناقض موقفه من حجية السنة النبوية، وعصمتها، ففي بداية النص يدعي عدم أخذ المسلمين بالسنة حتى في أمور

---

(1) لمزيد من التفصيل انظر: أصول الإيمان، البغدادي، ص135، والروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ، ابن الوزير، ج1/231-232، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر متولي، ص709-716.

الدين، وعدم تطبيقها، ثم بعد ذلك يذكر أن جانبًا كبيرًا من الفقه قائم على السنة لأنها معصومة من الخطأ عند المسلمين.

ب. الطعن بالسنة النبوية، من خلال اتهامها باحتوائها على أمور لم ترد في القرآن، وهذه الأمور قليلة الأهمية، وهذا مخالف لما بينه العلماء من أن السنة هي وحي كالقرآن، وما جاء بها من أحكام لم ترد في القرآن فهو نفس الأهمية.

ج. مصادرة الأحكام، وتعميمها، ومن ذلك الحكم على جميع أفعال النبي بأنها غير معصومة من الخطأ، لأنه بشر، وقد وردت في ذلك الأدلة الصريحة التي تثبت عصمة النبي ﷺ في أمور الدين، بينما في الأمور الاجتهادية، وأمور الدنيا إن أخطأ فالله لا يقره على خطئه.

د. الاستدلال الخاطئ؛ ومن ذلك استدلاله بآيات من القرآن الكريم لا تتوافق مع ما يدعيه من عدم نزاهة السنة من الخطأ.

ومما سبق يمكن الخلوص إلى تخبط المستشرقين في تناولهم لبعض المسائل الدينية، يظهر ذلك من خلال تناقضهم عند إيراد مسألة معينة، فإنهم يوردون رأيًا ثم بعد ذلك يوردون نقيضه، إما لعدم فهمهم للمسألة بسبب عجمتهم، وعدم إحاطتهم باللغة العربية، وكذلك عدم استيفائهم جميع الأدلة في المسألة، أو لتحقيق غاياتهم وأهدافهم من نصرة لبعض الفرق الضالة، وتمجيد لأئمتها، أو تشكيك، وطعن في المسألة التي تناولوها خلال دراستهم.

المطلب الثالث: الإطالة في أوجه الاستدلال بدون فائدة محققة.

من مميزات الاستدلال الصحيح عدم الإطالة في توجيه المسألة، بل يجب مراعاة الوسطية من حيث تناول المسألة، أو أوجه الاستدلال المرافقة للمسألة، فلا تورد بإيجاز مخل، ولا بإفراط ممل، " فَإِنَّ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا"[1]، وهذا ما سار عليه العلماء الوسطيون الملتزمون بآداب البحث العلمي، ولكن نَلحظ أن هناك من خالف هذه المنهجية كبعض المستشرقين الذين كانت لهم كتابات بدائرة المعارف الإسلامية، ومن أمثلة ذلك:

أولاً: ربط الشفاعة عند المسلمين بفهم أهل الكتاب.

لا يكل المستشرقون عن محاولاتهم الدائمة في التعامل مع الإسلام على أنه مستمد من الديانات السابقة، وذلك بإرجاعه إلى مصادر خارجية كالنصرانية، واليهودية، ولا يمكن إنكار أنه

(1) الأمثال في الحديث النبوي، أبي الشيخ الأصبهاني، ص417، حديث رقم373، ضعفه الألباني، السلسلة الضعيفة، ج1163/14.

يوجد تشابه بين الديانات، مرجعه وحدانية المصدر، ومشكلة المستشرقين أنهم يتعاملون مع الأديان كأنها منفصلة عن بعضها، لا رابط بينها، وذلك لإفراغ الإسلام من مضمونه[1]، وهذا اضطرهم إلى إضافة المزيد من الاستدلالات، كما يتضح في النماذج التالية:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(فنسنك A.J.Wensinck) في مادة (شفاعة)، قوله: " وقد وردت نصوص في هذا المعنى في الديانات الأخرى، ففي سفر أيوب (الإصحاح 33، فقرة 23 وما بعدها، والنص فيه فساد) يذكر ملائكة يتوسطون للإنسان لتخليصه من الموت، وفى سفر أيوب (الإصحاح الخامس، فقرة 91) يذكر قديسين (ويجب أن نفهم من كلمة "قديسين" هنا أنها تدل على الملائكة) يلجأ الإنسان إليهم عند الشدّة، وهناك بشر قديس تذكر شفاعته في العهد القديم وهو إبراهيم (في حكاية أخبار سدوم وعمورية)، وفى الكتب النصرانية التي لا يُعترف بأنها موحى بها، وكذلك في الكتب المنحولة كثيرًا ما نجد أن لتلك الطوائف بعينها الوظيفة نفسها...، وفى كتب النصرانية الأولى تتكرر الفكرة نفسها[2]، يسعى المستشرق (فنسنكWensinck) جاهداً، لإثبات أن الشفاعة في الإسلام، تتبُع من الشفاعة التي وردت بالديانات الأخرى، مستدلاً ببعض الفقرات التي وردت في الكتب اليهودية والنصرانية التي تذكر بعض أنواع الشفاعات عندهم.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المعلوم أن مفهوم الشفاعة كان واضحاً في الكتاب والسنة النبوية، كما أجاد علماء السلف في تفسيرها، وإيضاح ما أُلبس منها على بعض المسلمين، وهنا يُلحظ أن المستشرق (فنسنكWensinck) قد أطال في إيراد الأدلة التي لا فائدة منها، ويتضح ذلك كما يلي:

أ. إيراد بعض أنواع الشفاعة التي وردت في الكتاب المقدس.

هناك العديد من الشفاعات التي وردت في الكتاب المقدس وشرحه منها الشفاعة التوسلية وهي خاصة بالقديسين، والشفاعة هنا بمعنى طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات تقدم إلى الله بواسطة إنسان لديه جرأة وشجاعة[3]، وشفاعة الملائكة(الرسل)أي القديسين، وغيرها من الشفاعات.

---

(1) انظر: الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله النعيم، ص34.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، فنسنك Wensinck، شفاعة، ج20/6287-6288.

(3) انظر: شفاعة القديسين، الشماس موريس ويصا ديمتريوس، ص41، وعبادة أموات أم هي شفاعة القديسين، جورج حبيب بباوي، ص34.

أورد المستشرق (فنسنكWensinck) بعض أنواع الشفاعات التي يؤمنون بها ومنها:

- **شفاعة الملائكة** مستدلًا بما ورد في سفر أيوب الإصحاح (33: فقرة23) حيث ذُكر فيها أن الله أرسل وسيطًا من الملائكة (رسول من البشر) وهو أليهوم –ملاك مرسل– إلى أيوب ﷺ ليرد على تساؤلاته لم أصابه الله بالأمراض والآلام التي جعلته على حافة الموت وهو بار، فبين له أليهوم أن الله يؤدبه بالألم لتقديسه[1]، <<إِنْ وُجِدَ عِنْدَهُ مُرْسَلٌ، وَسِيطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَلْفٍ لِيُعْلِنَ لِلإِنْسَانِ اسْتِقَامَتَهُ، يَتَرَاءَفُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: أُطْلِقُهُ عَنِ الْهُبُوطِ إِلَى الْحُفْرَةِ، قَدْ وَجَدْتُ فِدْيَةً>>أيوب(33: 23–24).
- **شفاعة القديسين:** ومنها شفاعة إبراهيم ﷺ من أجل سدوم وعمورة التي يسكن فيها لوط ابن أخيه، حيث طلب من الله ألا يهلك المدينة لوجود بعض البارين فيها، وقد أجاب الله له طلبه.(تكوين 18:22–32) [2].

ومن خلال ما سبق يُلحظ أن الشفاعة عنهم تختلف عن الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، فعندنا الشفاعة هي: "السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم" [3]، أو التوسط للآخرين لجلب منفعة أو دفع مضرة[4]، وللشفاعة شروط لا بد من تحققها في الشافع والمشفوع [5]، وقد تكون في أمور الدنيا كالشفاعة لدى أصحاب الجاه والسلطان[6]، فهناك شفاعات يوم القيامة ومنها شفاعة النبي محمد ﷺ وهي الشفاعة العظمي وغيرها، وهناك شفاعات غير الرسول ﷺ مثل شفاعة الملائكة، والنبيين، والشهداء، والصيام والقرآن وغيرها من الشفاعات [7].

ب. تفسير الشفاعة من كتب ضعيفة.

تحدث المستشرق (فنسنكWensinck) عن الشفاعة، ولكنه استند خلال مقاله إلى بعض الكتب الضعيفة غير المعترف فيها، وبعض الكتب المنحولة، فكيف لمستشرق يُعد من كبار المستشرقين ذوي الاطلاع الواسع على المصادر الأصيلة أن يلجأ في مقاله للكتب

---

(1) الأنباتكلا هيمانوت، شرح الكتاب المقدس، العهد القديم، القمص أنطونيوس فكري، سفر أيوب، (33:23) . https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations

(2) انظر: شفاعة القديسين، الشماس موريس ويصا ديمتريوس، ص43.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج485/2.

(4) انظر: شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، ص688.

(5) انظر: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين، الجديع، ص71–82.

(6) انظر: المرجع السابق، ص38.

(7) انظر: المرجع نفسه، ص62–68.

الضعيفة مع علمه بضعفها لتفسير مسألة مهمة في العقائد وهي مسألة الشفاعة التي تعد من العقائد الأساسية في الدين المسيحي!

ومن خلال ما سبق يُلحظ اختلاف واضح بين الشفاعة التي أوردها المستشرق (فنسنكWensinck) في النصوص السابقة، وبين الشفاعة عند أهل السنة والجماعة، فالنصوص التي أوردها لا تفسر الشفاعة بمعناها الدقيق كما فسرتها العقيدة الإسلامية، كما أن المستشرق (فنسنكWensinck) استطرد في ذكر الأدلة من الكتاب المقدس، ومن كتب النصارى لتفسير الشفاعة، دون داعٍ لذلك لأن مقاله في الشفاعة عند المسلمين فقط، فليس هو دراسة مقارنة لإيراد كل هذه الأدلة.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (فنسنكWensinck) في مقاله:

أ. الإطالة في أوجه الاستدلال دون حاجة لذلك، ومن ذلك إيراد المستشرق أدلة لا تتضمن فكرة الشفاعة بصورة واضحة، والاستدلال بعدد من المراجع والمصادر دون الحاجة إليها.

ب. المصادر التي اعتمد عليها لا تعد حجة عند المسلمين في تفسير المعاني الشرعية.

ج. التأصيل الفكري لفكرة أن الدين الإسلامي منحول عن دين اليهودية والنصرانية.

د. الاستعانة بكتب ذكر أن فيها فسادًا، وكتب غير معترف فيها، يُعد ضعفًا منهجيًّا لدى الباحث، كان من باب أولى عدم الاستدلال بها.

من خلال ما سبق يُلحظ مخالفة المستشرق (فنسنكWensinck) الذي يُعد من جهابذة الاستشراق للمنهجية العلمية، وذلك بالاستدلال بأدلة واهية وفاسدة، وبالاستدلال بكتب لا يعترف بها، وكتب منحولة.

ثانياً: التلاعب في معنى الأعراف الشرعي.

لا يخفى على كل ذي لب اهتمام المستشرقين بالقرآن الكريم، فقد قاموا بترجمته إلى العديد من اللغات الأوربية، ورافق ذلك دراسات حول نصوصه لمعرفة مضمونه، فذهبوا مذاهب شتى في تفسيره، وأوردوا عدة تأويلات الغرض منها التشكيك في صحته، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق (باريه R.Paret) في (مادة الأعراف)، قوله: " جمع عرف، وهو ما ارتفع من الشيء: سور تحدث عنه القرآن في مشهد من مشاهد الحساب في الآخرة (سورة الأعراف، الآية 46) يفصل بين أصحاب الجنة وأصحاب النار: {... وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ... }... " (انظر الآية 48 من هذه السورة: "أصحاب الأعراف")، وتفسير هذه الآية مثار جدل؛ يذهب (بل Bell) مذهبًا مشكوكًا فيه فيقول إن الأعراف هي الإعراف ويترجم الآية بما يأتي: "ويهيمن على الإعراف رجال يعرفون... "؛ ويذهب (أندريا T. Andrae) إلى أن "أصحاب الأعراف" هم فيما يرجح أصحاب المراتب العليا في الجنة: "الذين يستطيعون أن يشرفوا بأنظارهم على الجنة والنار جميعًا، وربما كانت الإشارة في هذه الآية تنصرف إلى رسل الله خاصة الذين يعودون إلى العمل في اليوم الآخر للتمييز بين الصالح والطالح، والتفسير المأثور هو أن "أصحاب الأعراف" هم فاعل الجملة التي جاءت في آخر الآية 46: " لم يدخلوها" وفى الآية 47 من السورة نفسها، ووفقًا لذلك يكون مقام هؤلاء، إلى حين على كل حال، لا في الجنة ولا في النار، وإنما هم في مقام أو حالة وسط، ونتيجة لهذا التفسير جعل للأعراف معنى البرزخ"[1]، يحاول المستشرق (باريه Paret) تفسير بعض نصوص القرآن مستنداً على أقوال مستشرقين أُخر، متجاهلاً كتب التفسير المتخصصة، التي تناولت المسألة بشيء من التفصيل، والوضوح.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

أورد المستشرق (باريه Paret) عدة تفاسير لمصطلح الأعراف منها الصحيح ومنها السقيم، مستشهدًا على بالأدلة التي تحتوي على بعض المغالطات منها:

أ. **الاحتفاء بدراسات المستشرقين السابقة رغم ضعفها.**

شرح المستشرق (باريه Paret) تفسير لفظ الأعراف، التي وردت في قوله تعالى: **﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾**الأعراف46، وقوله تعالى: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾** الأعراف48، بأنه حجاب، أو سور بين الجنة والنار، جمع (عُرْف)، وكل ما ارتفع عن الأرض يسمى عُرف عند العرب[2]، وهذا من الحق الذي ذكره المستشرق، لكن ما أخطأ به المستشرق الاستشهاد بقول المستشرق (بل Bell) الذي عد مذهبه

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، باريه R.Paret، برزخ، ج869/3-870.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج418/3.

في تفسير الأعراف مذهب شكوكي فكان من باب أولى أن لا يستشهد به، وكذلك المستشرق (أندريا T. Andrae) الذي فسر الرجال الموجودين على الأعراف بأنهم أصحاب المراتب العليا في الجنة ينظرون منه إلى أهل الجنة والنار، أو هم رسل لله مهمتهم التمييز بين الصالح والطالح، وبالرجوع لكتب التفسير وُجد أن العلماء اختلفوا في من يكون على الأعراف:

- قيل: عليه العباس، وحمزة، وعلي بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب ﷺ.
- وقيل: عليه ملائكة هي الموكلة بالسور، مهمتهم التمييز بين الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة.
- قيل: أن من عليه قوم أنبياء.
- قيل: أنهم أُناس لهم صغائر من الذنوب، ولكنها لم تُكَفر بالدنيا، فيحبسون عن الجنة حتى يُكَفِرون عن هذه الصغائر.
- قيل: قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم.
- قيل: قوم قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا [1].
- قيل: {سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم آخر مَنْ يفصل بينهم من العباد، وإذا فرغ ربُّ العالمين من فصله بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلكم الجنة، وأنتم عُتَقَائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم}[2].

ب. التفسير المغلوط للأعراف بأنها البرزخ.

لم يرد في كتب التفاسير بأن الأعراف بمعنى البرزخ، فالأعراف قد ذكرت معناها سابقًا، أما البرزخ فهو المكان الذي بين الدنيا والآخرة تقيم فيه الأنفس إلى يوم القيامة[3]، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون 100، أي هو حاجز بين الموت والرجوع للدنيا، أو حاجز بين الموت والبعث [4]، كما أن أهل الأعراف يكونون هناك يوم القيامة عند الحساب، بينما البرزخ بين الموت والبعث.

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج457/12-460، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج211/7-212.

(2) جامع البيان، الطبري، ج461/12، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج3/ 463.

(3) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج75/3، والروح، ابن القيم، ص73.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج150/12.

من خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرق(باريه Paret) كان بإمكانه أن يورد آراء المفسرين في مسألة أهل الأعراف التي قال إنها مثار جدل، بدل من لجوئه إلى آراء المستشرقين التي عدها مشكوكًا فيها لتفسير مسألة تخص المسلمين، وقد تطرق لهذه المسألة علماء التفسير فهم أولى بالأخذ عنهم، وكذلك تفسير المستشرق للأعراف بأنها البرزخ لا دليل عليه، ولعل الإشكال الذي أُلبس فيه على المستشرق أن كليهما مرحلة وسطية بين أمرين، فالأعراف بين الجنة والنار، والبرزخ بين الموت والبعث.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (باريه Paret) عدد من المغالطات المنهجية، من أبرزها:

أ. إيراد عدد من الاستدلالات التي لا حاجة لها، ومن ذلك استدلاله بآراء مستشرقين أُخر تفسيراتهم مغلوطة، لا فائدة منها.

ب. قصور في الاعتماد على مصادر التفسير التي تُعد مصادر متخصصة في تفسير الآيات التي أُشكلت على المستشرق.

ج. تزييف الحقائق، وذلك بإيراد تفسيرات خاطئة لا دليل عليها، ومن ذلك تفسير الأعراف بأنها بمعنى البرزخ.

د. انتهاج الطريقة العقلية في محاكمة النصوص المتعلقة بالحقائق الغيبية، أدى به إلى التخبط والتشكيك في تفسير الأعراف، والإطالة في إيراد الأدلة.

المطلب الرابع: قصور الفهم عن إدراك حقائق النصوص.

يُعد فهم النصوص؛ أو الأقوال المراد دراستها هو المدخل الأساسي للباحث لكي يستطيع تحليلها، والاستفادة منها، ومعرفة نقاط القوة؛ والضعف فيها، كما يمنحه فهمها القدرة على إعادة صياغتها دون الإخلال بالمعنى المراد منها، ولكن هناك بعض المستشرقين في دائرة المعارف الإسلامية قد التبس عليهم الأمر فقصرت مداركهم عن فهم بعض النصوص، مما ترتب على ذلك إصدارهم أحكامًا خاطئة، كانت مدخلاً للطعن في الإسلام؛ خاصة الطعن بالأنبياء، وعصمتهم، ومن نماذج ذلك:

أولاً: التداخل في فهم نصوص القرآن الكريم.

أُشكلت بعض الآيات القرآنية وخاصة المتشابهات على كثير من الناس منهم المستشرقين، لذلك كان لابد من الرجوع لأولى العلم لتدارك هذه الإشكالات، وفهم القرآن الكريم

فهماً صحيحاً، وفيما يلي بعض النصوص التي أُشكل فهمها على المستشرقين، حيث فسروها بفهمهم القاصر مما أدى إلى التباس الأمر عليهم.

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (كارادى فو B.Carra de Vaux) في مادة (داود ﷺ)، قوله: " وقد وردت في آية أخرى قضية خصمين دخلا على داود متظاهرين بأنهما يسألانه أن يحكم بينهما بالحق، والواقع أنهما جاءا ليعرضا بخطيئته (سورة ص، الآيات 20 – 25)، وقد جاء في الآية 16 من سورة ص، ذكر توبة داود... ثم إننا نتبين من الجمع بين الآية 82[1] من سورة المائدة والآية 61 [2]من سورة البقرة أن داود قد عاقب الخارجين على سنن بنى إسرائيل يوم السبت بمسخهم قردة"[3].

2. النقد العلمي للمضمون:

من أبرز المغالطات التي ساقها المستشرق (كارادى فو B.Carra de Vaux):

أ. الطعن في عصمة الأنبياء.

من المعلوم أن الجمهور متفقون على عصمة الأنبياء في تبليغ الرسالة وطاعتهم واجبة، ومعصومون من تعمد الذنوب صغيرها وكبيرها، ويجوزون عليهم الصغائر دون قصد، لكن لا يقرون عليها[4]، وفي النص السابق يُلحظ أن المستشرق يُلمح بأن داود ﷺ قد ارتكب خطيئة كانت سببًا في طلبه التوبة من الله تعالى، دون ذكر ماهية الخطيئة بل اكتفى بالإشارة إلى الآيات التي تروي المسألة، وفي ذلك تلميح خفي من المستشرق بعدم عصمة النبي داود ﷺ، وهنا لا بد من بيان هذه المسألة حتى لا يلتبس الأمر على القارئ، فالآيات التي استدل بها من سورة ص (21–26)[5]و (17)[6] وهذه الآيات تحكي قصة داود ﷺ مع الخصمين اللذين

---

(1) رقم الآية 82 من سورة المائدة هي 78بالمصحف العثماني.

(2) رقم الآية 61 من سورة البقرة هي 65 بالمصحف العثماني.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، كارادى فو B.Carra de Vaux، داودﷺ، ج4843/15.

(4) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، ص155، والروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ، ابن الوزير، ج231/1–232.

(5) ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ص21–26.

(6) ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص17

تسوروا المحراب دون إذن، ليحكم بينهم في قضية النعاج، وقيل إنما جاءا إنهما ملكان جاءا لكي يوجها داود عليه السلام لأنه تزوج امرأة أوريا، وقد خاض العديد في هذه المسألة واستغلها بعضهم للتنقيص من الأنبياء والطعن في عصمتهم، أما التفسير الذي ينزه النبي داود عليه السلام هو:

- أنه طلب من أوريا التنازل عن زوجته له، وهذا قول مباح بالشرع ودليله أن النبي عندما آخى بين سعد بن الربيع، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أراد الربيع التنازل عن نصف ماله، وإحدى زوجاته بعد تطليقها لعبد الرحمن، وقد أقر رسول الله ﷺ هذا الفعل ولم ينكره، فكان من المباح.
- أو أنه عزه في الخطاب أي غلبه بحجته، فكان أن تنازل عنها له حياءً، وليس قهرًا كما توهم بعضهم لمكانة داود عليه السلام وقدرته[1].
- أو أن سبب طلبه المغفرة من الله، هو على الفزع الذي أصابه عندما دخل عليه الخصمان؛ لأنه ظن أنهما أرادا قتله، وكذلك لتسرعه في الحكم عليهما، أو أنه سمح حجة أحد الخصمين قبل أن يسمع الآخر وهو الرأي الأقرب للصواب [2].

وليس كما توهم بعضهم بأن داود عليه السلام فُتن بزوجة أوريا، فأرسل أوريا عدة مرات للحرب لكي يقتل حتى يضم زوجته لنسائه، فعندما مات أوريا وتزوج زوجته ندم على فعله، وطلب التوبة من الله [3] فهذا لا يليق بحق الأنبياء المنزهين عن الكبائر والصغائر عمدًا، ويؤيد ذلك موقف علي رضي الله عنه حيث قال: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين [4]، ومعاذ الله أن يكون السبب قتل شخص ليحصل على مالا يملكه، أما ندمه فيرجع لفعله مباحًا كان غيره من المباحات أولى منه في حق مكانتهم كأنبياء ورسل[5].

ومن خلال ما سبق يتضح أن المستشرقين لا يألون عن الطعن في الأنبياء بشتى الطرق، ومن ذلك أن ينسبوا للأنبياء ما لا يليق بهم إما بقصد، أو دون قصد نتيجة قصور فهمهم لحقائق النصوص، فكان من باب أولى الدقة عند تناول بعض المسائل وخاصة ما يتعلق بالإلهيات والنبوات والسمعيات.

---

(1) انظر: تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، ابن خمير، 32-36.

(2) انظر: عصمة الأنبياء في الكتاب والسنة، محمد ضيف الله، ص137-140.

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، ج21/175-188.

(4) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج5/27-28.

(5) انظر: تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، ابن خمير، ص31-32.

ب. التفسير المغلوط لآيات القرآن الكريم.

أورد المستشرق أن داود عليه السلام عاقب بني إسرائيل بمسخهم قردة وليس الله ﷻ، واستدل على قوله بالآية 87 من سورة المائدة، والآية 65 من سورة البقرة، وبالرجوع لكتب التفسير وُجد أن:

فسر العديد من علماء التفسير منهم الطبري، والقرطبي، وابن كثير قوله تعالى:

- ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ المائدة78، فقد فسرها علماء التفسير كالطبري، والقرطبي، وابن كثير أن الله لعنهم في الكتابين، الذين لعنوا على لسان داود عليه السلام في الزبور مسخوا قردة هم أصحاب السبت، والذين لعنوا على لسان عيسى عليه السلام مسخوا خنازير هم من كفروا بالمائدة[1]، وقد ذكر الطبري في أحد تأويلاته، أنه لعن الذين كفروا من بني إسرائيل نتيجة دعوة داود عليهم، حيث ذكروا أن داود عليه السلام مر على نفر من بني إسرائيل وهم في بيت، فسأل من في البيت؟ قالوا خنازير، فدعا عليهم أن يجعلهم الله خنازير فاستجيب له، أما عيسى عليه السلام فقد دعا على من افترى عليه وعلى أمه بأن يجعلهم خنازير فاستجيب له[2].
- وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ البقرة 65، هذه الآية نزلت تحكي عن المخالفين لأمر الله من بني إسرائيل، حيث أن الله منعهم من الصيد يوم السبت، إلا أنهم كانوا يربطون الحيتان سراً في يوم الجمعة ولا يصيدونها، ثم يعودون يوم الأحد ليأخذوها، ويأكلوا ويبيعوا منها، فلما جاهروا بفعلهم نهاهم الصالحون عن فعلهم هذا، فرفضوا الانصياع لهم، وخالفوا عهد الله وميثاقه من تعظيم السبت، مما أدى إلى اعتزال الصالحين لهم، وبعد مدة افتقدهم الصالحون في مجالسهم، فذهبوا يبحثون عنهم في بيوتهم، فنظروا فإذا هم قردة خاسئين[3].

ومن خلال ما سبق يتضح أن العقاب في الآية الأولى (المائدة78) كان لبني إسرائيل زمن داود عليه السلام، فكانت اللعنة عليهم، والمسخ نتيجة لدعوته عليهم، وكذلك لرضاهم بالباطل الذي

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج10/489-495، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج6/252-253، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج3/160-161.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج10/490.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/440، و جامع البيان، الطبري، ج2/167-174، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/288-291.

يفعله العصاة منهم، أما في الآية الثانية فكان العقاب في زمن موسى بالمسخ لمعارضتهم أمر الله بكسر حرمة يوم السبت، واستحلال الصيد فيه.

1. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (كارادى فوCarra de Vaux):

أ. قصور الفهم عن إدراك دلالة النصوص؛ والأقوال، ويتضح ذلك من خلال اقتصار المستشرق على جزء من تفسير النص دون الاستطراد في التفسير الكلي له، وفهمه ثم إيراد ما يريده دون نقص.

ب. الاقتصار على مصادر محددة منها(تفسير الطبري)، و(مروج الذهب للمسعودي)، و(قصص الأنبياء للثعلبي) دون الرجوع لكتب وتفاسير أخرى، فمن المعلوم أن الكتب التي اعتمدوها تحوى كثيرًا من الإسرائيليات، وتحتاج إلى من يعرف هذه الإسرائيليات ليميزها عن غيرها.

ج. الجرأة على تفسير القرآن الكريم، واستخراج الأحكام من آياته حسب الهوى، ومن ذلك قول المستشرق: " ثم إننا نتبين من الجمع بين الآيتين" هل تملك من العلوم ما يحق لك الجمع بين الآيتين، كما أن الله هو من عاقب بالمسخ وليس داود عليه السلام، حيث كان المسخ نتيجة لدعوة داود على قومه، فاستجاب الله عز وجل له.

ثانياً: ادعاء تناقض ما أتى به محمد ﷺ، وما أتى به الأنبياء الآخرون.

كان للمستشرقين دور بارز في دراسة السيرة النبوية، بما فيها قصص الأنبياء السابقين، وقد درسها كثير من المستشرقين مثل جولد تسهير، ومونتجمري وات، وجوستاف لوبون، وغيرهم، وقد وضعوا عددًا من المصنفات فيها، ومع ذلك لا تزال كتاباتهم تحمل بين طياتها النظرة السلبية للإسلام، ومن أمثلة ذلك النماذج الآتية:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(بول Fr.Buhl) في مادة (صالح عليه السلام)، قوله: " ومما يستلفت النظر بالإضافة إلى ذلك أن قصتي (صالح) و(هود) تناقضان الدعوة المألوفة التي أتى بها (محمد) ﷺ في سور العهد المكي، من حيث إنه قال إنه لم يرسل من قبله نبي إلى العرب (سورة القصص، الآية؛ 46 سورة السجدة، الآية 3؛ سورة سبأ، الآية 44؛ سورة يس، الآية 6) وقد وردت قصتا هذين النبيين في أقدم السور المكية، مثل سورة النجم، الآية 50 وما بعدها، وسورة

البروج، الآية 17 وما بعدها، وسورة الفجر، الآية 9، وسورة الشمس، الآية 11 وما بعدها؛ كما ترد كثيرًا في السور التي تليها"[1]، يدعي المستشرق (بول Fr.Buhl) في النص السابق وجود تناقض بين آيات القرآن الكريم التي تورد عدم وجود نبي سابق للعرب قبل محمد ﷺ –كما فهم من الآيات– وبين الآيات التي أوردت قصة صالح ؛ وهود في العهد المكي.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

يدعي المستشرق (بول Fr.Buhl) تناقض ما جاء به صالح، وهود مع ما جاء به محمد ﷺ حيث يقول: " أنه لم يرسل من قبله نبي للعرب"، ويستشهد على ادعائه بالعديد من الآيات، وقد أخطأ (بول Fr.Buhl) في قوله، ويتضح ذلك كالآتي:

أ. ادعاء عدم وجود نذير للعرب قبل دعوة محمد ﷺ.

يدعي المستشرق (بول Fr.Buhl) أن بعض الآيات بالسور المكية تبين أن الله تعالى لم يرسل للعرب أي نذير قبل محمد ﷺ، ومن الآيات التي استدل بها (القصص46) و(السجدة 3) و(سبأ44) و(يس6)، وبالرجوع للآيات وتفسيرها تبين ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص46، فالمقصود بالقوم هنا: العرب، أي أن العرب لم تشاهد أخبار الأمم السابقة كقوم صالح، وهود، وأوحينا إليك أخبارهم رحمة بالقوم الذين أرسلت لهم لتنذرهم، وتحذرهم مما حصل للأمم السابقة [2].
- أما قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَما آتَيْناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَما أَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ سبأ44، فمعناها: أنهم لم يقرؤوا في الكتب التي أُنزلت عليهم، أو سمعوا من الرسل التي بُعثت فيهم، أن ما جئت به باطل، فلا معنى لتكذيبهم لك[3].
- وقوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ يس6، معناها: لتنذرهم كما أُنذر آباؤهم، ومن معانيها أيضاً أنه قد يكون بلغ العرب بالتواتر أخبار الأنبياء، أي أنهم لم

(1) دائرة المعارف الإسلامية، بول Fr.Buhl، صالح عليه السلام، ج21/6458-6459.
(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13/292.
(3) انظر: المرجع السابق، ج14/310.

ينذروا برسول من أنفسهم، أيضاً ربما بلغهم خبر الأنبياء لكنهم غفلوا عنه، وأعرضوا، ونسوه، أو يكون هذا خطاب لقوم لم يبلغهم خبر نبي[1].

فالآيات السابقة تفسيرها ليس كما فهمها المستشرق (بول Fr.Buhl)، من عدم وجود أنبياء قبل النبي ﷺ في العرب، بل المعنى الصحيح: كان هناك بعض الرسل، لكن لم تصل أخبارهم لقوم محمد ﷺ، أو ربما وصلت لكن أغفلوها وأعرضوا عنها، فلا تناقض كما ادعى، فسورة (يس) لا تنفي الإنذار لآبائهم بل تثبته، كما أن هناك العديد من الآيات في العهد المكي التي تقرر أن العرب كان فيهم أنبياء قبل النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ الحج 78.

ب. ادعاء تناقض قصتي صالح وهود مع دعوة محمد ﷺ بعدم وجود نذير.

يدعي المستشرق (بول Fr.Buhl) أن الآيات المكية التي أوردت قصتي صالح وهود تناقض الآيات المكية التي تبين وجود نذير قبل محمد ﷺ، وبالرجوع للآيات التي تحكي قصتي صالح وهود كما أوردها المستشرق وُجد أنها لا تتعارض، أو تتناقض مع الآيات التي تبين عدم وجود نذير قبل محمد ﷺ كما يدعي، والآيات هي:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى، وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ النجم 50-51، وقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ البروج17، ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ الفجر 9، ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا، إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ الشمس11-12، بل يخبر الله ﷻ فيها النبي محمد ﷺ أخبار الأمم الكافرة السابقة المكذبة للأنبياء، وما فعل الله بهم عقاباً لتكذيبهم؛ ومعاداتهم الأنبياء، ومن هؤلاء قوم عاد؛ وثمود؛ وفرعون، يخبره بذلك ليسليه، ويؤنسه بها [2].

ومن خلال ما سبق يُلحظ التخبط الذي يقع فيه المستشرقون في تفسيرهم لآيات القرآن الكريم، ويرجع ذلك لعدد من الأسباب منها عجمتهم التي أدت لعدم إدراكهم لحقائق النصوص، وجهلهم باللغة العربية وأساليبها، وكذلك الاقتصار على فهمهم وتفسيرهم للآيات تبعًا لأهوائهم الشخصية دون الرجوع للمراجع التخصصية التي تزيل عنهم أي إشكال في الفهم.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (بول Fr.Buhl):

---

(1) انظر: المرجع نفسه، ج6/15.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج297/19.

أ. قصور الفهم عن إدراك دلالة النص، ومن ذلك عدم فهم المستشرق (بول Fr.Buhl) لتفسير الآيات التي تثبت وجود أنبياء سابقين للعرب.

ب. فقدان المُكنة العلمية عند الكتابة والتصنيف في القرآن الكريم وعلومه، مع الجهل بكثير من الآيات القرآنية، ومن ذلك جهل المستشرق (بول Fr.Buhl) بالآيات التي تقرر أن العرب جاءهم منذرون، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ ﴾ فاطر 24، وتعني سلف فيها نبي[1].

ج. إغفال المصادر التخصصية التي تزيل الإشكال في فهم آيات القرآن الكريم، ومن ذلك كتب التفسير المعتمدة كتفسير القرطبي، والطبري، وابن كثير، وغيرهم.

د. إصدار الأحكام بادعاء التناقض، واستخدام استدلالات غير متطابقة مع الادعاءات، مخالف لمنهجية البحث العلمي.

من خلال ما سبق يُمكن الخلوص إلى أن عددًا من المستشرقين أبحروا في الدراسات القرآنية، رغم أن بضاعتهم مزجاة في هذا العلم، حيث تميز منهجهم الاستدلالي على الأصول المنهجية في دراستهم للعقيدة الإسلامية بالقصور، وذلك يرجع لعدة أسباب منها: عدم إحاطتهم باللغة العربية، وأساليبها، وأدبياتها بسبب عجمتهم فكان لذلك تأثير كبير في تحريف تفسير النصوص، وأيضاً خلفياتهم الدينية وخاصة اليهودية والنصرانية التي أدت إلى رجوعهم الدائم لكتبهم المقدسة، وترك مصادر الاستدلال الأساسية القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعدم إحاطتهم بمقاصد الشرع، كما أنهم أعملوا العقل في أمور الغيب التي لا مجال للعقل في معرفتها إلا بالدليل الشرعي، وكذلك كانوا يضربون الأدلة الشرعية ببعضها في المسائل الخلافية مقتصرين على ذكر بعضها، وتفسيرها حسب أهوائهم؛ وآرائهم، وأيضاً استدلالهم بالعديد من الأحاديث الضعيفة والموضوعة في سبيل تحقيق مآربهم أدى كل ذلك إلى خلل واضح في كتاباتهم، التي شكلت مدخلاً واسعاً للتشكيك في نصوص القرآن الكريم، والطعن في السنة النبوية.

المطلب الخامس: استخدام المصطلحات المحتملة لأكثر من معنى في الاستدلال.

من المعلوم أن اللغة العربية تحوى كثيرًا من المصطلحات والألفاظ ذات الدلالات المحتملة لأكثر من معنى، ولم يخل القرآن الكريم، والسنة النبوية من تلك المصطلحات، لذلك اجتهد العلماء في وضع مؤلفات تفسر هذه الألفاظ لإزالة أي إشكال أو شبهة يمكن الوقوع

---

(1) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، أمين الخولي، تعليق على مادة صالح ﷺ، ج6463/21

فيها[1]، لكن المستشرقين إما جهلًا، أو قصدًا أغفلوا هذه الحقائق، وجعلوها بابًا للطعن في عقيدة المسلمين، ومن أمثلة ذلك:

أولًا: التدليس في صفات الأنبياء الخَلقية.

حاول عدد من المستشرقين الطعن بعصمة الأنبياء، كرميهم ببعض الصفات التي تخدش نبوتهم، واستخدموا في سبيل ذلك بعض الأساليب، كإطلاق مصطلحات وألفاظ موهمة ذات معانٍ متعددة، تحمل حقًّا وباطلًا، ومن أمثلة ذلك:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (بول Fr.Buhl) في مادة (شعيب) ﷺ، قوله: " ولكن وجوه القوم أنكروا مقالته وهددوه بالطرد هو وأتباعه، وقد كان شعيب عليه السلام ضعيفًا في قومه ولولا رهطه لرجموه (سورة هود الآية 91)[2]، وأدركتهم زلزال (زلزلة) عقابًا لهم فقضت عليهم في بيوتهم"[3]، يذكر المستشرق في النص السابق أن شعيبًا ﷺ كان ضعيفًا في قومه، متجاهلًا توضيح معنى ضعيف لتخدم هدفه الاستشراقي الموجه ضد العقيدة الإسلامية.

2. النقد العلمي للمضمون:

ذكر المستشرق بول Fr.Buhl خلال مقاله عن نبي الله شعيب ﷺ أنه كان ضعيفًا في قومه، ولولا عشيرته لتم رجمه، وفي ذلك أورد المستشرق بعض المغالطات منها:

أ. وصف شعيب ﷺ بالضعف دون تفسير حقيقة هذا الضعف.

من المعلوم أن الأنبياء جميعهم عليهم السلام اختصهم الله تعالى بصفات خاصة ليتحملوا النبوة والرسالة، منها صفات خُلقية، وخَلقية، ومن الصفات الخَلقية التي ميزهم بها عن غيرهم السلامة من العيوب والأمراض والنقائص المنفرة، وفي النص السابق يُلحظ أن المستشرق استدل بالقرآن لوصف شعيب ﷺ بالضعف، في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾هود91، دون أن يبين مراده من كلمة الضعف، وقد

---

(1) من أمثلة هذه المؤلفات: البرهان في علوم القرآن للزركشي، وكشف المعاني في المتشابه المثاني، لابن جماعة، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، صالح الشثري.

(2) ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ هود: 91.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، بول Fr.Buhl، مادة شعيب، ج6286/20.

ذكرت كتب اللغة أن الضعف هو خلاف القوة، إما أن يكون ضعفًا في الرأي والعقل، أو ضعفًا في الجسد[1]، بينما ذكرت بعض كتب التفسير أن معنى الضعف المراد في الآية ضعف البصر، وقلة المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة الأهل، والوحدة وعدم وجود الجند والأعوان التي يستطيع خلالها مواجهة المخالفين، والراجح في أغلب التفاسير هو ضعف البصر[2]، فكان من باب أولى أن يشير المستشرق للمعنى الذي يقصده لمنع أي التباس بالمعنى.

ب. ادعاء أن الله عاقبهم بالزلزال.

ادعى المستشرق بول Fr.Buhl أن الله عاقب قوم شعيب عليه السلام بالزلزال أو ربما خطأ ومراده من ذلك الزلزلة، ومن المعلوم أن الآيات قد وردت صريحة في ذكر عقابهم حيث أظلتهم السماء[3] بسحابة فيها شرر ولهب، ثم جاءت الصيحة [4] من السماء، والرجفة[5]من الأرض فزهقت أرواحهم، وخمدت أجسامهم [6].

من خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى قصور المستشرق (بول Fr.Buhl) في دراسته لسيرة النبي شعيب عليه السلام، ويظهر ذلك في عدم إلمامه كباحث بالمعاني المرادة من الآية الكريمة، مما ينتج عنه التباس للقارئ في فهم الآيات، فكان من باب أولى رجوع المستشرق لكتب التفسير حتى يتجنب التباس المعاني بالمصطلحات.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي وردت في النص السابق:

---

(1) انظر: العين، الفراهيدي، ج281/1، وتهذيب اللغة، الأزهري الهروي، ج305/1-306.

(2) انظر: جامع البيان، ج457/15-458، ومعالم التنزيل، البغوي، ج194/4، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج91/9.

(3) ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الشعراء189.

(4) ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ هود94.

(5) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ الأعراف91.

(6) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج197/4، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج92/9. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج448/3-449.

أ. استخدام الألفاظ والمصطلحات التي تحتمل أكثر من معنى، كاستخدام المستشرق (بول Fr.Buhl) كلمة ضعف التي تحتمل معنيين ضعف الجسد، وضعف العقل والرأي دون أن يوضح المعنى الذي يقصده في مقاله.

ب. إغفال إيراد المسألة الواحدة وأدلتها كاملة، وذلك بإيراد بعض الأدلة وإسقاط بعضها، ومن ذلك دعواه أن الله عاقب قوم شعيب عليه السلام بالزلزال(الزلزلة) فقط وليس بالصيحة.

من خلال ما سبق يُلحظ التباس الأمر على المستشرق (بول Fr.Buhl) في تفسيره لبعض المصطلحات التي تحتمل أكثر من معنى، ويرجع ذلك إما لعجمته وصعوبة فهم اللغة العربية، وإما لتحقيق غاية يهدف إليها من الطعن في الأنبياء، ومن ذلك اتهامهم بالضعف في الرأي والعقل، أو الضعف الجسدي بحيث لا يمكنه تحمل أعباء النبوة.

ثانيًا: استغلال تعدد معان التأويل لنشر مفاهيم مغلوطة.

اللغة العربية تحوى كثيرًا من المصطلحات التي تحتمل أكثر من معنى، من هذه المصطلحات (التأويل)، وقد استغل المستشرقون تعدد معانيه، والاختلاف فيه للتشكيك في القرآن الكريم، وتفسيره، كما في النموذج التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (باريه R. Patet) في مادة (التأويل)، قوله: " التأويل في الأصل معناه –بوجه عام– التفسير والشرح، وفي بعض آيات القرآن التي ترد فيها هذه اللفظة نراها تشير إشارة واضحة إلى الوحى الذي ينزل على النبي محمد ﷺ، وقد صار استعمال لفظ التأويل بعد ذلك مقصورًا على هذا المعنى الخاص، وكانت من ثم تعنى شرح معاني القرآن، وصارت حينًا ما مرادفة للفظة تفسير، ثم اكتسبت اللفظة نصيبًا أوفر من التخصيص فلم تقتصر على هذا المعنى وحده، وصارت اصطلاحًا يطلق على تفسير مادة القرآن؛ والتأويل في هذا المعنى الأخير يكون جزءًا إضافيًا هامًّا للشرح اللفظي الظاهري للقرآن الذي صار يسمى بالتفسير، ولم يجد علماء السنة مسوغًا لإنكاره ما دام لا يناقض المعنى الظاهر الحرفي للقرآن أو السنة، ولكن المسألة تغيرت عندما أصبح التأويل لا تراعى فيه هذه الشروط... والمدارس الفكرية التي لم تمرق من الإسلام ولكنها انحرفت إلى حد ما عن طريق السنة وجدت جميعها في التأويل أداة صالحة لجعل آرائهم متفقة مع المعنى الحرفي للقرآن؛ بل ذهبوا إلى حد استنباط آرائهم من نصوصه، وإلى جانب التفسير الحرفي لنصوص القرآن نشأ تفسير رمزي النزعة وجد في ثنايا القرآن أفكارًا بعيدة عن المألوف، وقد صارت المدارس المتطرفة ترى في هذا النقل والتحوير

للمعنى الظاهر السبيل الوحيد لتفهم القرآن، وبذلك أهملوا التفسير التقليدي؛ بل صارت أحكام القرآن في رأى أصحابها غير واجبة الاتباع"[1]، عدّ المستشرق (باريه R. Patet) معنى مصطلح التأويل تفسيرًا فقط، وأدخل في مضمونه معنى التأويل عند المتأخرين دون بيان ذلك.

2. النقد العلمي للمضمون:

في النص السابق تعامل المستشرق مع مصطلح التأويل بأحد معانيه المحتملة، فعده بمعنى التفسير، وفي ذلك ساق المستشرق مغالطة، وسيتم بيانها والرد عليها على النحو الآتي:

أ. ادعاء اقتصار لفظ التأويل على التفسير والشرح.

من المعلوم أن مصطلح التأويل لفظ متعدٍ لأكثر من معنى حسب سياقه في الجملة، فتارة يكون بمعنى تفسير الكلام ببيانه وإيضاحه كما في قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾ الأعراف53، وتارة بمعنى العاقبة والمرجع[2]، أي حقيقة ما يؤول الأمر إليه وإن كان موافقًا لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر كما في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ**﴾ يوسف100، فهذا هو التأويل عند السلف من الصحابة والتابعين وسائر أئمة المسلمين وأتباعهم، كما أن هناك معنى ثالثًا مرادفًا للمعنى الأول والثاني وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين كمجاهد وغيره ويراد به صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح لدليل يقترن بذلك [3]كما في قوله تعالى: ﴿**وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ آل عمران7، وليس كما ذهب المستشرق (باريه R. Patet) من اقتصاره على معنى التفسير والشرح فقط في بدايته.

ب. ادعاء أن مصطلح التأويل صار يطلق على تفسير مادة القرآن الكريم.

لا يمكن إنكار أن مصطلح (التأويل) قد اشتهر ابن جرير الطبري باستخدامه خلال تفسيره لآيات القرآن الكريم، كقوله: "القول في تأويل قوله كذا وكذا"[4]، ويقصد من ذلك تفسير قوله تعالى، كما أن مصطلح (التأويل) لم يقصر استخدامه على معنى تفسير القرآن بل استخدمه رسول الله ﷺ لمعنى آخر كما ورد عن عائشة رضي الله عنها {كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي "

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، باريه R. Patet، مادة تأويل، ج2158/7.

(2) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج504/4، ولسان العرب، ابن منظور، ج55/5.

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج11/1.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج114/1، 135، 146، وغيرها الكثير من المواضع.

يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ} [1]، ومعنى تأول القرآن أي كان يطبق القرآن ويعمل ما أمره الله به، وهذا من التفسير والبيان[2]، كما أن كثير من التابعين فسروه بمعنى التفسير عمومًا من غير أن يختص بالقرآن كما قال سفيان بن عينية: " السنة تأويل الأمر والنهي" أي هو فعل نفس المأمور به وترك المنهي عنه[3]بمعنى تفسير الأحكام الشرعية من أوامر ونواه، وليس كما يوهم المستشرق من اختصاص إطلاقه على تفسير القرآن الكريم؛ بل هو مصطلح متداول في القرآن والسنة وتراث السلف وإنتاجهم العلمي.

ج. ادعاء موافقة علماء السنة على مصطلح التأويل.

يدعي المستشرق أن علماء السنة لم ينكروا مصطلح التأويل إجمالًا لعدم تناقضه مع ظاهر القرآن والسنة، ويرد على أقواله:

- إن أراد بقوله أن علماء السنة لم تنكر مصطلح التأويل بالمعنى الأول والثاني كما أُسلف فكلامه صحيح.
- أما إن كان مراده يشتمل على التأويل بالمعنى الذي ورد عند المتأخرين فإن كلامه باطل، فقد أنكر السلف التأويل الذي يراد به صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك، وهذا المعنى وُجد في كلام الخلف[4]، حيث كان المؤولون يخرجون التأويلات عن سياقها اللغوي، مستعينين بغرائب المجازات والاستعارات، وقد شرع هؤلاء المؤولون لأنفسهم هذا المعنى للتأويل باللجوء إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران7، فظنوا أن المراد من التأويل هنا صرف النصوص عن معانيها، وأن الراسخين بالعلم هم من يعلمون هذا التأويل، ومن أسباب نشوء هذا الخلاف في مفهوم التأويل عند السلف والخلف بعض المسائل العقلية التي أُشكل أمرها عند الخلف فلم يستطيعوا تفسيرها طبقًا لمنهجهم العقلي إلا بتأويلهم لبعض النصوص الشرعية لتتناسب مع منهجهم الاستدلالي[5].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأذان/ باب التسبيح والدعاء في السجود، 163/1، حديث رقم817.

(2) انظر: فتح الباري، ابن رجب، ج272/2، حديث رقم817، نيل الأوطار، الشوكاني، ج286/2.

(3) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج206/1، والصواعق المرسلة، ابن القيم، ج187/1.

(4) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج11/1، و تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، ج33/28.

(5) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج11/1، 14-15.

د. إغفال ذكر انحراف الفرق نتيجة لتأويلهم الباطني.

ذكر المستشرق انحراف بعض الطوائف عن السنة لتأويلهم القرآن الكريم والسنة بما يتناسب مع آرائهم دون أن يبين إلى أي مدى وصل إليه هذا الانحراف، ومن الجدير بالذكر أن الأمر وصل ببعضهم إلى تأويل آيات الصفات وصرفها عن ظاهرها إلى معانٍ محتملة[1]ونتج عن ذلك نفي صفات الله ﷻ، وكذلك تأويل بعض الأحاديث وإخراجها عن مقتضاها، أدى كل ذلك بالنهاية إلى مخالفة القرآن والسنة، وخداع عوام الناس بالتلبيس عليهم من خلال تأويلاتهم الباطلة[2].

ومن خلال ما سبق يتضح الإشكال الذي غالط فيه المستشرق (باريه R. Patet) فربما اختلطت عليه معاني التأويل فلم يميز بين صحيحها وسقيمها، أو ربما استغل تعدد معاني مصطلح (التأويل) في التلبيس على القارئ.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية في النص السابق:

أ. استخدام المصطلحات التي تحتمل أكثر من معنى في ترويج مفاهيم فاسدة، ويظهر ذلك من اعتبار المستشرق (باريه R. Patet) أن مصطلح التأويل مصطلح مر بمراحل تطور، حيث كان في البداية بمعنى التفسير والشرح للقرآن، ثم تطور فصار جزءًا من تفسير القرآن، ثم بعد ذلك صرف اللفظ عن المعنى الراجح للمعنى المرجوح بوجود قرينة.

ب. الخلط بين المفاهيم عند السلف والخلف، كخلطه بين مفهوم التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به والذي يراد به عند السلف التفسير وهو حقيقة ما يؤول إليه الأمر، وبين مفهومه عند الخلف حيث يراد به عندهم تأويل النصوص وإخراجها عن مقتضاها.

ج. إهمال المراجع والمصادر التخصصية في علوم القرآن، لتجنب هذا اللبس في تفسير المصطلحات.

ومن خلال ما سبق وُجد أن بعض المستشرقين يستخدمون خلال استدلالاتهم مصطلحات تحتمل أكثر من معنى إما بدون قصد، أو بقصد مع إغفالهم بيان معانيها ودلالاتها كما بينها علماء أهل السنة، ملبسين على الناس الحق بالباطل فيها.

---

(1) انظر: أساس التقديس، الرازي، ص236.

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج325/5، ج286/4، ج18/1-19.

الفصل الثالث:

مغالطات المستشرقين المنهجية في التشكيك بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

الفصل الثالث:

مغالطات المستشرقين المنهجية في التشكيك بالعقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

اهتم المستشرقون كثيرًا بالتراث الإسلامي، ولا يمكن إنكار جهودهم في تحقيق عدد من كتب التراث، مع علمنا بأن اهتمامهم بهذا التراث نابعًا من حاجتهم إليه لا من أجلنا، لذا يُلحظ أن العديد من الدراسات الاستشراقية لم تتسم بالموضوعية، بل تعددت فيها الهنات والمغالطات المنهجية خاصة عند دراستهم للعقيدة الإسلامية، فنتج عن ذلك التشكيك بمجموعة من المسائل العقدية كما يبرز ذلك جليًا في دائرة المعارف الإسلامية.

المبحث الأول:

مخالفة المستشرقين الأسس العلمية في نقد العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

يتميز النقد العلمي الموضوعي بالشفافية والوضوح عند الدراسة، ويكون بدراسة المسائل وتحليلها، وبَيان السمين من الغث، ثم إصدار الحكم عليها بحيادية، ولكن وُجد بعض المستشرقين الذين خالفوا الأسس العلمية للنقد في دراسة العقيدة الإسلامية، حيث ظهر التطرف، والعصبية الدينية خلال دراساتهم، نتيجة سيطرة العاطفة أو الميل الشخصي عليها، كما اتسمت بعض دراساتهم بالعشوائية والارتجالية لاتباعهم الهوى، وخوضهم في دراسات تخصصية تنقُصهم فيها الثقافة والخبرة، وأحيانًا ظهر التكلف في بعض مقالاتهم، في حين أنه يجب على الباحث الجيد التزام الدقة في الحكم ببيان الإيجابيات والسلبيات قبل إصدار الحكم، مع إيراد الأدلة التي تدعم نقوده.

المطلب الأول: إهمال بيان منشأ النزاع والاختلاف الطارئ في المسائل العقدية.

ذكر المستشرقون في دائرة المعارف الإسلامية كثيرًا من المسائل العقدية التي كانت محل خلاف بين الفرق، وأوردوا آراء كل فرقة على حدة دون بيان السبب الذي أدى إلى هذا الخلاف، أو دون الترجيح بينهم، وبيان الرأي الصواب الموافق للسلف، أو أفردوا الرأي الضعيف أو المغلوط بالذكر على أنه الصواب، ومن نماذج ذلك:

أولًا: عدم فهم حقيقة الإيمان.

من المعلوم أن جمع من المستشرقين على دراية باللغة العربية، وبعضهم أجادها، ورغم ذلك يبقى لديهم قصور في فهم كثير من الدلالات اللفظية، والمعاني المحتملة خاصة في نصوص القرآن والسنة، التي لا بد لهم من الرجوع فيها لأهل هذا الفن، لمساعدتهم في فهم ما يلتبس عليهم، حتى يستطيعوا دراسة العقيدة الإسلامية دون الوقوع بالمغالطات، إلا أنهم خاضوا في دراسة العقيدة، وناقشوا كثيرًا من المسائل الخلافية بين الفرق، وفسروها بما يتناسب مع إدراكهم القاصر، مهملين ما يشاؤون من الأدلة التي تبين منشأ الخلافات بقصد أو بدون قصد كما يتضح فيما أورده المستشرق (ماكدونالد D.B. Macdonald) في النص الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالد D.B. Macdonald) في مادة (إيمان)، قوله: "ويفرق القرآن الكريم أحيانًا بين الإيمان والإسلام ولا يفرق بينهما أحيانًا أخرى، وعبارته في صلتهما بالعمل الصالح، واختلف علماء الكلام بعد ذلك فيهما، ولهذا نجد أن اصطلاح الفقهاء على معنى الإيمان يناقض اصطلاح المتكلمين، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولكن ما معنى الإيمان هنا؟ يقول البعض إنه عقد بالقلب، وأضاف آخرون إلى هذا "الشهادة باللسان"، وزاد غيرهم شيئًا آخر هو "العمل بالأركان"، قال بالرأي الأول (الأشاعرة) و(الماتريدية)، وقال (الأحناف) بالرأي الثاني؛ أما الثالث فهو قول (الخوارج)، وذهبت (الكرامية)[1] إلى أن الإيمان هو "التصديق باللسان"، أي "الإقرار،... وانتهى أهل السنة إلى رأى في الإيمان؛ وهو أن الإيمان هو التصديق بالقلب أي الاعتقاد والإقرار باللسان "القول" والعمل الصالح، والإقرار باللسان أقل درجات الإسلام، ومن صدق بقلبه وأقر بلسانه وعمل صالحًا دخل الجنة"[2]يلحظ أن المستشرق ماكدونالد سرد الأقوال في حقيقة الإيمان، دون بيان الفاسد من الصحيح منها، وأطلق عبارة عموم أهل السنة على علماء الكلام خلال بيانه لمفهوم الإيمان.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق عددًا من المغالطات خلال محاولاته بيان الفرق بين الإسلام والإيمان عند المسلمين، ومن أبرز مغالطاته:

أ. استخدام سياقات تحتمل أكثر من معنى.

ذكر المستشرق (ماكدونالد D.B. Macdonald) أن القرآن يفرق أحيانًا بين الإسلام والإيمان، وأحيانًا لا يفرق بينهما، فإن كان مقصود المستشرق الذم بمعنى أن القرآن مضطرب، لا يملك القدرة على التفريق بينهما فهذا معنى باطل يهدف من ورائه إلى التشكيك بالقرآن الكريم،

---

(1) فرقة الكرامية: ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، بعضهم عدها من الصفاتية، لأنهم بالغوا في إثبات الصفات إلى حد التشبيه والتجسيم، وهم طوائف بلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة، وزعيم الكرامية محمد بن كرَّام، لهم العديد من البدع منها: الإيمان نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد القلب وعمل الجوارح، وإن النبي ﷺ تجوز منه الكبائر سوى الكذب. انظر مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج233/1، والفرق بين الفرق، البغدادي، 203-214.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، ما كدونالد D.B. Macdonald، مادة إيمان، ج1434/5-1435.

أما إن كان مراده حقيقة عدم التفريق بينهما، فكلامه صحيح، فقد بيّن كثير من العلماء هذا الإشكال في فهم الفرق بين الإسلام والإيمان[1]، وذلك أن الإيمان والإسلام إذا ذكرا معًا فإن الإسلام يعني الانقياد الظاهري، والإيمان يعني الانقياد الباطني كما في قوله تعالى:﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الحجرات14، فهنا يتضح أن الإيمان أعلى رتبة من الإسلام، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ يونس84، فالإيمان والإسلام هنا بمعنى متقارب، أما إذا كانا منفصلين، فإن أحدهما يكون داخلًا في الآخر، أي إذا ذكر الإيمان على إطلاقه فإنه يعني تصديق القلوب وجميع ما يتعلق بالإسلام من قول وعمل، وإذا ذكر الإسلام على إطلاقه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران19، فهنا يعني الدين الذي بعث به جميع النبيين، ولا يقبل الله سواه، مخلصين له؛ طائعين لأوامره؛ تاركين لنواهيه، كما يقول أهل العلم إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والإسلام أوسع من الإيمان، أي ليس كل مسلم مؤمنًا[2].

ب. عدم التفريق بين علماء الكلام والسلف في الاستخدام.

من المعلوم أن علم الكلام علم مستحدث، كان أول ظهور له في أواخر عهد الصحابة ﷺ، ولم تكن معالمه واضحة، وكان أهل الكلام في بدايته متفقين مع أهل السنة في سائر المسائل العقدية، إلى أن ظهرت المعتزلة المخالفين لأهل السنة في تقرير العقائد[3]، فإن كان المستشرق يقصد بعلماء الكلام عموم المسلمين، فقوله باطل؛ لأن السلف لا يعدون من علماء الكلام ودليل ذلك ذمهم لمن اشتغل بعلم الكلام لأنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة[4]، كما أن السلف أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل بخلاف العديد من الفرق الكلامية، وإن كان مقصده من علماء الكلام العلماء المتكلمين بأصول الدين، الذين كانوا يقصدون بعلم الكلام علم التوحيد أو الفقه الأكبر فهؤلاء لم يحيدوا عن منهجية السلف[5] في مفهوم الإيمان فقد تم إيضاح أن

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج7/259-266

(2) انظر: المرجع السابق، ج7/259، 263-264.

(3) انظر: العقود الدرية من مناقب ابن تيمية، محمد عبد الهادي الدمشقي، ص250-252.

(4) انظر: ذم الكلام وأهله، الهروي، ج5/73، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ج1/373.

(5) انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني، ج1/110-111.

الخلاف بينهم لفظي، أما إن كان يشمل معهم الخوارج والجهمية، والمرجئة وغيرهم ممن خالفوا منهج السلف في مفهوم الإيمان، فهؤلاء الفرق قد بين العلماء خروجهم عن المنظومة الإسلامية[1].

ج. إيراد مفهوم مصطلح الإيمان عند بعض الفرق مع إهمال بيان منشأ النزاع.

من المعلوم أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة: هو عمل بالأركان وقول باللسان وتصديق بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[2]، ويدخل فيه الإسلام، يكون قولًا باللسان وعملًا بالأركان وتصديقًا بالجنان، أما النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة فهو **(نزاع لفظي)**، فالفقهاء القائلون بأن الإيمان قول متفقون مع علماء السنة بأن المذنبين داخلون تحت الذم والوعيد، وكذلك الذين ينفون اسم الإيمان عن الفاسق من أهل السنة متفقون على أنه غير مخلد في النار، فليس هناك خلاف بين الفقهاء في أصحاب الذنوب إن أقروا باطنًا وظاهرًا بما جاء به محمد ﷺ [3].

أما أقوال الفرق المنحرفة –التي ذكرها المستشرق– في الإيمان، فهو كما يلي:

الخوارج التي تزعم تخليد أصحاب الذنوب في النار، غلاة المرجئة الذين يدعون أنه لا يدخل أحد من أصحاب الذنوب النار حيث إن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص [4].

وقد رد عليهم علماء أهل السنة:

- الخوارج: خالفهم أهل السنة وبينوا أن أصحاب الذنوب كالسارق، والزاني، وشارب الخمر كانت لهم عقوبات وضحها القرآن والسنة النبوية كالقطع، والرجم، والجلد، ولم يعُدهم الإسلام مرتدين، وإن نفى عنهم الإيمان، وكذلك لا يعدون منافقين لأنهم لا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، بل عوقبوا على ذنب ظاهر[5].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج7/307-308، وموقف السلف من علم الكلام، السعيدي، (موقع إلكتروني).

(2) انظر: العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن حنبل، ص117.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج7/297.

(4) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، 44-46.

(5) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، ص47-51، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج7/297.

- أما المرجئة فكيف يساوون بين أهل الطاعة، وأهل المعصية، ﴿ **من جَاءَ بِالْحَسَنَة فَلَهُ عشر أَمْثَالهَا وَمن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يجزى إِلَّا مثلهَا وهم لَا يظْلمُونَ** ﴾الأنعام160، وبين العارف بالله وبدينه، والجاهل بالله وبدينه!، وكيف يعدون صاحب الكبيرة مؤمنًا والله تعالى سماه فاسقًا ﴿ **وَالَّذين يرْمونَ الْمُحْصنَات ثمَّ لم يَأْتُوا بأَرْبعَة شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جلدَة وَلَا تقبلُوا لَهُم شَهَادَة أبدا وَأُولَئِكَ هم الْفَاسِقُونَ** ﴾النور4 [1].

النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي ساقها المستشرق (D.B. Macdonald):

أ. إطلاق الأحكام وتعميمها، كإطلاقه مصطلح علماء الكلام على أهل السلف.

ب. إهمال بيان منشأ النزاع والاختلاف في المسائل العقدية، ومن ذلك عدم ذكره لأسباب الخلاف بين الفرق في حقيقة الإيمان.

ج. القصور في إيراد مضامين بعض القضايا الخلافية، لإيهام الخلاف بين أهل السنة والجماعة، وقد ذكر العلماء أن الخلاف لفظي فقط.

د. إهمال المراجع والمصادر التخصصية التي تتناول مسألة الإيمان بالتفصيل، وتوضح إشكالية فهم نصوص القرآن عند الفرق التي كانت السبب في اختلافهم.

ويمكن الخلوص بأن بعض المستشرقين يتجاهلون بقصد بيان منشأ النزاع والخلاف في بعض المسائل العقدية فيخالفون بذلك المنهجية العلمية، ويدلسون على القارئ، وباب لتزييف بعض الحقائق، خاصة فيما يتعلق بالفرق المنحرفة.

ثانياً: الغموض في بيان موقف الفرق من عذاب القبر.

ظهر بشكل واضح سمة التلبيس في عرض الحقائق الشرعية في منهج المستشرقين، خاصة في دائرة المعارف الإسلامية، وهو على النحو الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (د. جارديه L. Gardet) في مادة (القيامة)، قوله: "والقرآن لا يتحدث بصراحة عن إحياء الروح أو النفس بعد الموت في القبر، فالإنسان يموت، وبعد ذلك يعود للحياة يوم القيامة. وهنالك ثلاثة نصوص في القرآن ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ۖ

(1) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، 44-46.

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ غافر: 46، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران: 119، قد قدمها المتكلمون كشاهد على عذاب القبر، كذلك على النعيم الذى سينعم به الأبرار في القبر، وإضافة لهذه الآيات فهنالك أحاديث كثيرة صحيحة تؤكد ذلك، وعذاب القبر ذكر في غالبية كتب الفقه المعتمدة، لكن الأشاعرة يتهمون المعتزلة بإنكاره، لكن عبد الجبار، على العكس يؤكده في كتابه (شرح الأصول الخمسة)" [1]، ذكر المستشرق حقيقة عذاب القبر غير واضحة بالقرآن الكريم، وأن هناك خلافًا بين الأشاعرة والمعتزلة في حقيقته، حيث إن الأشاعرة تثبته في حين أن المعتزلة تنكره، دون أن يُبين سبب النزاع بين الطائفتين.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المعلوم أن عذاب القبر من مسائل الغيب التي لا يمكن معرفتها إلا من الكتاب والسنة، وقد تناول هذه المسألة كثير من العلماء بشيء من التفصيل وقد قامت الأدلة القطعية على ذلك، لكن يُلحظ أن المستشرق (د. جارديهL. Gardet) قد أورد المسألة بطريقة غير واضحة وكثيرة الأخطاء، ومن أبرز مغالطاته:

أ. ادعاء غموض القرآن في التحدث عن إحياء الروح أو النفس في القبر.

لقد ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية كثير من الأدلة التي تثبت أن الإنسان في قبره ترد إليه روحه، وأنه إما منعم أو معذب؛ لكن لا نعرف ماهية ذلك، لأن الغيب لا نعلمه إلا مما أخبرنا الله ورسوله به فعلينا الإيمان والتسليم والتصديق، أما ادعاء المستشرق (د. جارديه L. Gardet) أن القرآن الكريم لم يكن صريحًا في مسألة عود الروح إلى الميت فيرده ورود كثير من الأدلة الصريحة منها:

- قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ غافر11 ، وقوله أيضاً: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة 28 [2]، وقد فسر بعض العلماء الحياة الأولى بأنها الحياة في الدنيا، والحياة الثانية بعد الموت في البرزخ[3]، وكما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ {وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا... فَيُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، (د. جارديه L. Gardet)، مادة القيامة، ج8435/27.

(2) ومن أدلة ذلك أيضًا: النساء97، الأنفال50-51، محمد27.

(3) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج142/7، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج212/1.

الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ... فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَأَطَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ... فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ}[1].

ب.الاقتصار على أدلة المتكلمين عن عذاب القبر.

من المعلوم أن الأدلة على إثبات عذاب القبر كثيرة[2] وكما ذُكر سابقًا، وليس كما حصرها المستشرق نقلًا عن المتكلمين كما يدعي في كونها ثلاثة أدلة فقط، وفي الحقيقة أنه أورد فقط دليلين وهما:

- قوله تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ الْقِيَامَةْ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ أَشَدَّ الْعَذَاب** ﴾ غافر46، وهذه الآية أصل لأهل السنة والجماعة في إثبات عذاب القبر، حيث إن النار التي يعرض عليها آل فرعون أخبر الله أنها عذابهم في البرزخ، حتى لو فنيت أجسادهم بالبحر فإن العذاب ثابت عليهم[3].
- قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ آل عمران169، هذه الآيات تثبت أن الشهداء أحياء منعمون في البرزخ، فرحون بما أنعم الله عليهم[4].

ج.إهمال ذكر حقيقة عذاب القبر عند أهل السنة والجماعة.

يُعد الإيمان بحقيقة عذاب القبر من المسلمات الضرورية عند السلف، وذلك لورود آيات وأحاديث كثيرة كلها واضحة الدلالة لا لبس فيها ولا غموض، حيث اتفق أهل السلف على أن الميت في قبره يكون في نعيم أو عذاب، وهذا يحصل للبدن والروح، فالروح وإن فارقت البدن تبقى منعمة أو معذبة، أو أنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم والعذاب في القبر، فإذا كان يوم القيامة أُعيدت الأرواح للأبدان، وعود الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى[5].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم/ باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، 28/1، حديث رقم86، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب الكسوف/ باب ما عرض على النبي ﷺ، 624/2، حديث رقم905.

(2) انظر: مقال بعنوان: 12 دليلًا من القرآن على إثبات عذاب القبر ونعيمه، المطري (موقع إلكتروني).

(3) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج150/7-151.

(4) انظر: المرجع السابق، ج169/6-134.

(5) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج284/4، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص395.

ومن أدلة ذلك في الكتاب والسنة: قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾غافر 46، وقد فسرها العلماء أن آل فرعون يعرضون على النار بأوقات معينة صباحًا ومساءً وهم في قبورهم، حيث تكون أرواحهم في جوف طير سود تعرض كل يوم مرتين على النار، ويوم القيامة يلاقون أشد العذاب(1)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الأنعام93 فقد بينت الآيات أن الزاعمون أن الله تعالى قد أوحى إليهم كذبًا وافتراءً، فإن الملائكة عند سكرات الموت يعذبونهم؛ ويضربون وجوههم وأدبارهم بمطارق الحديد، وتقول لهم خلصوا أنفسكم من هذا العذاب إن أمكنكم(2)، واستدلوا أيضًا بحديث رسول الله ﷺ { إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}(3)، وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ { أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ}(4)، والأحاديث في مسألة عذاب القبر كثيرة ومتواترة (5)عن رسول الله ﷺ (6).

د. إهمال ذكر سبب النزاع في حقيقة عذاب القبر بين المعتزلة والأشاعرة.

أورد المستشرق (د. جارديهL. Gardet) أن الأشاعرة يتهمون المعتزلة بإنكارهم عذاب القبر، ولكن عبد الجبار في كتابه(شرح الأصول الخمسة) يؤكد حدوثه، دون إيضاحه المسألة وبيان سبب النزاع بينهم؛ بل ذكرها بشيء من التلبيس، ومن المعلوم أن الخلاف الذي وقع في

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج396/21-398، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج319/15.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج537/11-540، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج41/7-42.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز/ باب الميت يعرض عليه مقعده في الغداة والعشي، 99/2، حديث رقم 1379، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، 2199/4، حديث رقم 2866.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز/ باب الجريد على القبر، 95/2، حديث رقم 1361.

(5) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص396.

(6) لمزيد من التفاصيل: السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، ج592/2-614، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج283/4-299.

مسألة عذاب القبر يرجع إلى العذاب والنعيم هل يكون للبدن أو الروح حيث أثبت ذلك (الثاني) طائفة، وأنكره أكثرهم، ومن أقوال المخالفين بهذه المسألة:

- قول يذكر أن العذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، هذا قول كثير من أهل الكلام منهم المعتزلة وغيرهم [1].
- قول يذكر أن الروح بمفردها لا تتنعم ولا تتعذب؛ لأن الروح هي الحياة عندهم، ويؤيد هذا القول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة، وأصحاب أبي الحسن الأشعري (كالباقلاني) وغيرهم، فهؤلاء ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها، ويقرون بمعاد الأبدان فقط، وهذا قول باطل وضال خالفه (أبو المعالي الجويني)، وغيره [2].
- قول يذكر أن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب؛ بل لا يكون ذلك إلا يوم القيامة، ويؤيد هذا القول المعتزلة وغيرهم، بناء على أن الروح لا تبقى بعد فِراق البدن، وأن البدن لا يُنعم ولا يعذب، هذا قول باطل وشاذ[3].

أما ادعاء أن جميع المعتزلة أنكروا عذاب القبر فقد رد على ذلك كبار المعتزلة، ووضحوا أنهم يثبتون عذاب القبر ولم يخالفوا أهل السنة، أما سبب اختلافهم مع أهل السنة مرجعه أن العقل يمنع أن يعذب الميت وهو لا يسمع ولا يدرك ولا يتلذذ، فكيف تكون المساءلة والمعاقبة بعد الموت، لكنهم يثبتون الأخبار التي وردت في ذلك، كما بينوا أن (ضرار بن عمرو) هو الذي تفرد من المعتزلة بإنكار عذاب القبر ونعيمه[4]، بينما (بشر بن المعتمر) و(الجبائي) وسائر المعتزلة قد أثبتوه[5]، كما أن المستشرق تجاهل أن هناك من الأشاعرة من حذا حذو المعتزلة في إنكار عذاب القبر كما أُسلف.

وبالتالي يتبين أن أهل السنة والجماعة متفقون على ثبوت النعيم والعذاب في القبر، وقد خالف ذلك بعض الطوائف، وكان مرجع الخلاف هل النعيم والعذاب يكون للروح والبدن، أو أحدهما فقط، وسبب هذا الخلاف هو تقديم هذه الطوائف العقل على النقل فأولوا الآيات حتى

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج4/ 283-284.

(2) انظر: المرجع السابق، ج4/ 283-284.

(3) انظر: المرجع نفسه، ابن تيمية، ج4/ 283-284، و الروح، ابن القيم، ص51.

(4)انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، أبا القاسم البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي، ص201-202.

(5) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج4/55-56، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص69.

تتناسب مع أصولهم العقلية، فجميع هؤلاء في ضلال في أمر البرزخ لأنهم يقرون بالقيامة الكبرى فلا يكفرون، بخلاف الفلاسفة التي أنكرت المعاد الجسماني بالكلية فأجمع العلماء على كفرهم، والمستشرق (د. جارديه L. Gardet) ذكر المسألة بشيء من الغموض، والتلبيس فلم يوضح موقف السلف من المسألة، وكذلك حقيقة موقف المعتزلة.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (د. جارديه L. Gardet):

أ. إهمال بيان سبب الخلاف في بعض المسائل الخلافية، ومن ذلك عدم بيان المستشرق حقيقة الخلاف بين أهل السلف والمعتزلة في حقيقة عذاب القبر.

ب. التشكيك في المصادر الأصيلة في العقيدة الإسلامية، ومن ذلك ادعاء المستشرق أن نصوص القرآن لم توضح حقيقة عذاب القبر، رغم أن الآيات قد فسرها العلماء وأوضحوا المسألة بدعمها بكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة – ومن المعلوم أن السنة شارحة للقرآن– فكان من باب أولى أن يعود لشروحات القرآن الكريم حتى لا يلتبس عليه الأمر، أو على القارئ.

ج. تعميم الأحكام، ومن ذلك ادعاء أن كل المعتزلة أنكروا عذاب القبر، بينما الذي أنكره هو طائفة الضرارية من المعتزلة.

د. فقدان المصداقية في تصدير الحقائق، ويظهر ذلك من خلال تجاهل المستشرق موقف الأشاعرة من عذاب القبر فهناك من أنكره كالمعتزلة، وهناك من أثبته.

من خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرقين يناقشون بعض المسائل العقدية التي تُعد محل نزاع وخلاف بين الطوائف الإسلامية، بشيء من الإهمال في توضيح حقيقة هذا النزاع، وتعميم الأحكام رغم أن المخالف قد يكون فردًا من الفرقة.

المطلب الثاني: الترويج لطرق المخالفين لأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة.

دأب المستشرقون في خلال محاولاتهم التي لا تكل لطمس الحقيقة في استدعاء شخصيات مخالفة للعقيدة الإسلامية، وبذل الجهد في تبييض أفكارهم، من خلال تطويعها وإعادة تقديمها بصورة جديدة يتقبلها عوام المسلمين؛ وغيرهم، ممن زاده قليل في تمييز المخالفات العقدية، كما في النماذج الآتية:

أولاً: الإعلاء من شأن ابن عربي.

اهتم المستشرقون بشخصية ابن عربي اهتمامًا واضحًا ظهر جليًا في كتاباتهم؛ ودفاعهم عنه؛ ومدحه؛ وتحقيق كتبه؛ ونشرها، وأيضًا نصرة آرائه ومواقفه، ومن أدلة ذلك ما يأتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (فاير[1] T.H.Weir) في مادة (ابن عربي)، قوله: "أما فيما يختص بالعقائد الدينية فقد كان "باطنًا"، وابن عربي مع قيامه بفرائض الإسلام وتمسكه بعقائده، كان رائده الوحيد هو ذلك النور الباطني الذى أفاضه الله عليه على ما كان يعتقد، وذهب ابن عربي إلى أن الوجود كله واحد، وأنه ليس إلا مظهرًا للذات الإلهية، وعلى ذلك فالأديان المختلفة كانت في نظره متكافئة، ورغم أنه رأى النبي الأكرم، وعرف اسم الله الأعظم... واتهمه الناس بالزندقة،... ولقد هاجت(هاجم) مؤلفات ابن عربي الفقهاء فاتهموه بنشر مذاهب الزنادقة كمذهب "الحلول" ومذهب "الاتحاد" ومع ذلك فقد تشيع له كثيرون ودافعوا عن آرائه في حماسة"[2]، يسعى المستشرق إلى تبرئة ابن عربي، مدعيًا التزامه بالدين الإسلامي، مستدلًا على التزامه برؤيته للنبي ﷺ، ودافع كثير عنه عندما اتهمه العلماء بالزندقة، وتشييع كثير من الناس له عند موته.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (فاير T.H.Weir) العديد من المغالطات خلال مدحه لابن عربي منها:

أ. ادعاء التزام ابن عربي بالعقائد الإسلامية.

لابن عربي بعض المخالفات العقائدية التي كانت السبب في تكفير العلماء له [3]، ومن ذلك قوله بعقيدة وحدة الوجود (الاتحاد)، حيث عنده لا وجود إلا للحق، ويستحيل عنده أن يكون ثِم وجود محدث، فالحق هو الذي فاض على الأعيان والممكنات، فكان هو الظاهر فيه بحكم الأسماء، أي أن الكون افتقر للحق بسبب إفاضة الوجود، والحق افتقر للكون فظهرت الأسماء [4]، وأيضًا من عقائده الكفرية موقفه من حقيقة النار وأبديتها حيث ذكر أن الناس

---

(1) فاير T.H.Weir: لم أجد له ترجمة.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، فاير T.H.Weir، مادة ابن عربي، ج249/1، 251.

(3) انظر: الصفدية، ابن تيمية، ج244/1-245، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج48/23.

(4) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج298/4-299، ومصرع التصوف، البقاعي، ص154-155.

يعذبون فيها، ثم بعد ذلك تنقلب طبيعتهم وتصبح نارية فيتلذذون بها لموافقتها لطبعهم[1]، حيث أورد في كتابه (الفصوص)

فإن دخلوا دار الشقاء فإنهم — على لذة فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد — وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذابا من عذوبة طعمه — وذاك له كالقشر والقشر صاين[2]

ب.مدح ابن عربي بوصفه بأنه باطني.

من المعلوم أن كلمة باطن يدخل فيها ما يحتمل الحق والباطل:

- فإما بقصد بها العلم بما في القلوب من المعارف والأحوال، والعلم بالغيب الذي أخبرت به الرسل، وهذا العلم يكون فيه منه ما يتعلق بالظاهر كأعمال الجوارح، ومنه ما يتعلق بالباطن كأعمال القلوب، ومنه ما يشهده الناس بحواسهم، ومنه ما يتعلق بالغيب، وهذا هو العلم بأصول الدين فيه اعتقاد القلب أصل لقول اللسان، وعمل القلب أصل لعمل الجوارح، قال رسول الله ﷺ: { أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ}[3].
- أما إذا أريد بالعلم الباطن الذي يبطن عن أكثر الناس، فهذا نوعان:

- أحدهما باطل عندما يكون علمه الباطن مخالفًا لعلمه الظاهر، فهذا إما زنديق ملحد، أو جاهل ضال، مثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وغلاة الصوفية من أن للقرآن والإسلام باطنًا يخالف الظاهر فهؤلاء ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، من أمثلة ادعاءات باطنية الصوفية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾البقرة67 ادعوا أنها النفس، ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾النازعات17 ادعوا إنه القلب.

---

(1) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص427.

(2) فصوص الحكم، ابن عربي، ص94.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب فضل من استبرأ لدينه، 20/1، حديث رقم52، وصحيح مسلم، كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات، 1219/3، حديث رقم1599.

- أن يكون العلم الظاهر حقًا، أو باطلًا، فإن الباطن إذا لم يخالف الظاهر وعُلم أنه حق قُبل منه، وإن عُلم أنه باطل رُد، وأُمسك عنه.[1]

ومن تأويلات ابن عربي الباطنية الباطلة تفسيره قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ فصلت 53 حيث فسر (إنه الحق) بقوله: "من حيث إنك صورته وهو روحك، فأنت له كالصورة الجسمية لك، وهو لك كالروح المدبر لصورة جسدك والحد يشمل الظاهر والباطن منك"[2].

ج. ادعاء رؤية ابن عربي للنبي ﷺ، واعتبار ذلك دليلًا على براءته من الزندقة.

يُلحظ في النص الذي أورده المستشرق (فاير T.H.Weir) أنه استدل بعدة أمور لتبرئة ابن عربي هي:

- رؤية ابن عربي للنبي ﷺ، ومما يجدر ذكره أن رؤية النبي ﷺ لها ضوابط وشروط، كما أنها دليل وبرهان على صلاح الرائي، وهذا مخالف لحقيقة ابن عربي وما يراه ما هو إلا تلبيس من الشيطان[3]، وقد رد ابن جماعة[4] على ادعائه قائلًا: "وحاشا رسول الله ﷺ أن يأذن في المنام فيما يخالف، أو يضاد قواعد الإسلام؛ بل ذلك من وساوس الشيطان ومحنته، وتلاعبه برأيه وفتنته، وأما إنكاره –يعني ابن عربي– ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد، فهو كافر به عند علماء التوحيد، وكذلك قوله في نوح وهود عليهما السلام قول لغو باطل مردود"[5].
- ادعاء أن مؤلفاته قد لاقت قبولًا عند كثير من الناس، فيرد عليه بأن هؤلاء هُم من المنحرفين والمبتدعين أمثاله، وقد بين كثير من العلماء ما في هذه الكتب من الانحرافات العقدية التي تخرج من الملة منها ما ورد في كتابه (فصوص الحكم) من أقوال كفرية منها: "فيحمدني وأحمده... ويعبدني وأعبده"[6]

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13/232–240.

(2) فصوص الحكم، ابن عربي، ج1/69.

(3) يدعي أنه رأى النبي ﷺ، وأعطاه كتاب فصوص الحكم قائلًا له: "خذه واذهب به إلى الناس ينتفعون به"، معلوم أن كتاب الفصوص مليء بالزندقة والكفر كما أُسلف، انظر: فصوص الحكم، ابن عربي، ج1/47.

(4) ابن جماعة: حازم بن صخر، بدر الدين محمد بن جماعة، حدّث بالشاطبية عن ابن عبد الوارث صحاب الشاطبي، كان خطيبًا، على دراية واسعة بعلوم الحديث، والفقه، والأصول، والتفسير، تولى القضاء بعد ابن دقيق العيد، (ت:733هـ). انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ج2/16.

(5) مصرع التصوف، البقاعي، ج1/153.

(6) فصوص الحكم، ابن عربي، ج1/83.

أي أن كل واحد من وجود الحق، وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه، فلا فرق عندهم بين الخالق والمخلوق، فالحق عنده يتصف بصفات العبد المحدثة، فالحق عنده هو الموصوف بصفات النقص والذم والكفر وغير ذلك من صفات النقص، كما هو الموصوف عنده بصفات المجد والكمال فهو العالم والجاهل، والبصير والأعمى، والمؤمن والكافر[1].

- وأيضًا في كتابه (الفصوص) يؤول حديث موضع اللبنة، أن هذه اللبنة عبارة عن لبنتين، لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الظاهرة هي لبنة الفضة وهي محمد ﷺ، بينما اللبنة الباطنة وهي الذهب فهو موضعها[2] فمن ضرب مثالًا كهذا وعَدّ نفسه أفضل من الأنبياء أليس بكافر!، كما أن كتابه يحوى كثيرًا من الكفر منه الظاهر ومنه الباطن الذي لا يظهر إلا للبصير الفطن[3]، ومن العلماء من بيَّن فحش كتبه ومنهم الإمام ولي الدين العراقي (أبو زرعة)[4] حيث قال: "لا شك في اشتمال (الفصوص) المشهورة عنه على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك (فتوحاته المكية)، فإن صح صدور ذلك عنه، واستمر إلى وفاته، فهو كافر مخلد في النار بلا شك"[5].

- دعواه أن كثير من الناس قد شيع جثمانه، فهذا ليس بدليل على التزامه بتعاليم الدين الإسلامي، فالواقع يشهد بجنائز يشيعها الآلاف لمرتدين ومنحرفين ومبتدعة كفرهم علماء المسلمين، وغيرهم من أئمة الإسلام الذين يشهد لهم بالالتزام الديني لم يشيعهم إلا أعداد قليلة، فكم من مغمور في الأرض، مشهور في السماء.

ومن خلال ما سبق يُلحظ محاولات المستشرقين المستمرة في الترويج للمخالفات العقدية، مستخدمين عددًا من الأساليب من ذلك مدح طرق بعض الشخصيات المخالفة للعقيدة، والرفع من شأنهم مع إغفال ذكر باطلهم، وعدم بيان موقف العلماء من هذا الباطل، بل الدفاع عنهم بنصرة آرائهم ومواقفهم، فيما يلي بيان أخطائهم ومغالطاتهم.

---

(1) العرش، الذهبي، ج1/ 90.

(2) انظر: فصوص الحكم، ابن عربي، ج63/1.

(3) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص505-506.

(4) ولي الدين أحمد العراقي: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، أبو زرعة، (762-826هـ)، قاضي القضاة بن الحافظ العراقي الشافعي، برع في الفقه، والأصول، والحديث، له تصانيف كثيرة منها: " تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل" و"تصحيح الحاوي لابن الملقن". انظر: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، أبو المحاسن الظاهري، ج333/1-335.

(5) مصرع التصوف، البقاعي، ج135/1.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (فاير T.H.Weir) عددًا من المغالطات المنهجية من أشهرها:

أ. الترويج لطرق المخالفين لأصول العقيدة الإسلامية، كغلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود والاتحاد أمثال (ابن عربي).

ب. الاستدلال بأدلة ثبت بطلانها، كاستدلاله برؤية (ابن عربي) للنبي ﷺ وهذا مردود عليه فرؤية النبي ﷺ لها ضوابط وشروط لا تنطبق على (ابن عربي)، وأيضًا استدلاله بكثرة أتباعه لنفي حقيقة كفره وزندقته وهذه أدلة واهية لا يعتد بها، فالله حينما ذم في كتابه ذم المنحرفين على كثرتهم فقال: ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾غافر59، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ص24، ومدح القليل فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ص24، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾سبأ 13.

ج. الدمج بين الصحيح والسقيم من الأدلة، للتدليس على قليلي المعرفة كالقول بأن (ابن عربي) باطني لكنه ملتزم بالعقائد الإسلامية.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المستشرقين يستخدمون كثيرًا من الأساليب في سبيل تحقيق غاياتهم، ألا وهي الطعن بالإسلام خاصة العقائد، ومن أساليبهم المنحرفة ترويجهم لبعض الشخصيات البارزة ذات الأفكار الكفرية المنحرفة وعَدّها من المسلمين.

ثانياً: تزكية الشيعة بتفضيلهم على أهل السنة.

من المعلوم أن الشيعة أكثر من فرقة، ويرجع تفرقهم لخروجهم عن النهج الرباني، لاستنادهم على عقولهم وأهوائهم، مما أدى إلى ابتداعهم كثيرًا من المسائل، مع الاختلاف في درجة بدعتهم فمنهم من بدعته تكفره، ومنهم من بدعته لا تكفره، ومع ذلك لُحظ أن بعض المستشرقين يزكيهم، ويفضلهم على أهل السنة، كما يتضح في المثال الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) في مادة (الشيعة)، قوله تحت عنوان الحديث: " والشيعة سنيّون أكثر كثيرًا من أهل السنة، ولا يصح أن نرجع بداية أحاديثهم إلى عهد جد متأخر، لأننا نجد أن بعضها يرجع إلى عهد متقدم يرد إلى (أبى الأسود الدؤلي)، وأشهرها: علي هو هارون؛ علي هو الوصي الذى أوصى له الرسول، واختاره الرسول واللَّه؛ علي هو المولى؛ آل البيت هم سفينة نوح[1]"، وبدعوى المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) يظهر

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، (شتروتمان R.Strothmann)، مادة الشيعة، ج6411/20.

لكل ذي لب محاولته تزييف الحقائق، والترويج لطرق المخالفين من خلال ادعائه سنية الشيعة أكثر من أهل السنة أنفسهم.

2. النقد العلمي للمضمون:

يسعى المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) للترويج للمذهب الشيعي، وذلك من خلال:

أ. ادعاء سنيتهم أكثر من أهل السنة.

من المعلوم أن مصطلح أهل السنة يطلق على من تمسك بالسنة قولًا وعملًا واعتقادًا، وأثبت خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، واعتقد أنهم أفضل الأمة، وهذا المعنى عام أطلق عليهم لإخراج الرافضة منه لأنهم ينكرون خلافة الخلفاء الثلاثة، ومشهورين بمخالفتهم للسنة النبوية[1]، كما لا يخفى على القارئ موقف الشيعة من أهل السنة، فقدت احتوت كتبهم على العديد من المخالفات التي تطعن بآل البيت رغم ادعائهم حبهم وموالاتهم، والاقتداء بهم، ومن ذلك:

- طعنهم بالسيدة عائشة رضي الله عنها وهي من آل البيت، ومن ذلك قول القمي: " وكل من قال بإمامة الاثني عشر قال باستحقاقها اللعن والعذاب،... وأما الدليل على كونها مستحقة للعن والعذاب، أنها حاربت أمير المؤمنين عليه السلام" [2].
- الطعن بالخلفاء الراشدين، رغم فضلهم ومكانتهم العظيمة عند رسول الله ﷺ، وتحذير الرسول ﷺ من سبهم حيث قال: {لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ}[3]، ومع ذلك خالف الشيعة منهج الرسول ﷺ فسبوا أصحابه، بل وكفروهم، وعَدّوا شتمهم ولعنهم من أقرب القربات لله تعالى، ومن ذلك زعم أبي حمزة الثمالي أن الإمام زين العابدين قال: " من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحا عنه سبعين ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب الله له مثل ذلك"[4] – مقصدهم بالجبت

---

(1) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج221/2.

(2) الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، القمي، ص615-616.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ/ باب قول النبي ﷺ {لو كنت متخذًا خليلًا}، 8/5، حديث رقم 3673، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحبة/ باب تحريم سب الصحابة، 1967/4، حديث رقم 2540.

(4) شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور، أبو الفضل الطهراني، ج393/2 .

والطاغوت أبو بكر وعمر ﷺ– [1]، وقول المجلسي عن عمر بن الخطاب ﷺ: " أن أمير المؤمنين ﷺ قال: لعن الله الخطاب فلولاه ما زنى إلا شقي أو شقية لأنه كان يكون للمسلمين غناء للمتعة عن الزنا"[2]، قال القمي عن عثمان ﷺ: "ومما يدل على ما ذكرناه من كفره ونفاقه: غيبته عن بدر، وبيعة الرضوان، وفراره يوم أحد" ويقصد عثمان ﷺ [3].

وهذا قليل من كثير في كتبهم، ومع كل هذا يزكيهم المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) بأنهم سنيون أكثر من أهل السنة، وأهل السنة بريئون منهم، ومن طعوناتهم بالصحابة، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم.

ب. التألي على رسول الله ﷺ بتأويل الأحاديث أو نسب العديد من الأحاديث الموضوعة له.

من المعلوم أن الشيعة الرافضة ينكرون أكثر السنة النبوية، والعديد من الأحاديث في كتبهم مكذوبة، أو يؤولونها لتتناسب مع عقائدهم، وبالرجوع للأحاديث التي أوردها المستشرق بالنص السابق " هارون هو موسى" فالحديث في كتب الصحاح {أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى} [4] وبين (أبو إسحاق المروزي) معنى الحديث بأن هارون كان خليفة موسى في حياته، ولم يكن علي ﷺ خليفة رسول الله ﷺ في حياته، فجاز أن تؤخر خلافته وليس كما يدعي الرافضة أنه أحق بها من الخلفاء الراشدين، فيكون القصد من الحديث إثبات الخلافة لا تعجيلها، أو أن تفضيل النبي ﷺ لعلي ﷺ يعني استحقاقه للخلافة، لأن خليفة موسى ﷺ بعد موته كان يوشع وليس هارون، ومن المعلوم أن النبي ﷺ استخلف عليًا ﷺ على المدينة في غزوة تبوك في حياته كما استخلف غيره من الصحابة، وهذا لا يعد دليلًا على أنه خليفة رسول الله ﷺ مباشرة بعد موته[5]، وكذلك ادعاؤه أنه الوصي[6] فالحديث الذي ذكر فيه ذلك حديث مكذوب باتفاق أهل العلم بالحديث[7]، كذلك حديث على هو المولى وآل البيت هم كسفينة نوح فهو حديث موضوع

(1) انظر: بحار الأنوار، المجلسي، ج30/207-225.

(2) المرجع السابق، ج53/31.

(3) الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، القمي، ص614.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل علي ﷺ، 4/1870، حديث رقم2404.

(5) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج7/ 325-331، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر القرطبي، ج22/132.

(6) انظر: الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، القمي، ص68.

(7) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج7/345-346.

مكذوب لا يوجد له إسناد صحيح، ولم يرد في كتب الحديث المعتمدة [1] بل ورد في كتب الشيعة [2] فأهل البيت هم أهل الاستقامة، وليسوا أهل الانحراف كالشيعة الرافضة.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) عددًا من المغالطات المنهجية، من أبرزها:

أ. الترويج لأفكار المخالفين الفاسدة، ومن ذلك ترويج المستشرق للشيعة الروافض، وذلك يتضح بادعاء سنيتهم أكثر من أهل السنة، والترويج لعقيدة الإمامة والوصاية لعلي ﷺ التي يعتقد بها الشيعة.

ب. الاستدلال بالروايات الموضوعة والمكذوبة، ومن ذلك الاستشهاد بعدد من الأحاديث الموضوعة من كتب الشيعة دون الرجوع لكتب الصحاح التي يعتمد عليها أهل الحديث.

ج. اعتماد المصادر غير الموثوقة لدى المسلمين، والمصادر غير التخصصية، ومن ذلك اعتماده على كتب الشيعة في الاستدلال على فضائل على ﷺ وكان من باب أولى الرجوع لكتب أهل السنة والجماعة الموثوقة.

ومن خلال ما سبق يُلحظ مدى اهتمام المستشرقين بالفرق المخالفة للإسلام ومنهم الشيعة، فقد استخدموا عددًا من الأساليب في سبيل الترويج لمخالفاتهم ومن ذلك ادعاء التزامهم باتباع السنة النبوية رغم وضوح مخالفاتهم لها، والاستدلال بأحاديثهم الموضوعة والمكذوبة التي بين العلماء عدم صحتها.

المطلب الثالث: إجراء مقارنات فاسدة عند الاستدلال.

تعددت الأساليب التي لجأ المستشرقون إلى استخدامها في سبيل إثبات زعمهم أن النبي ﷺ استقى العديد من المعلومات من الديانات الأخرى، ومن ذلك محاولاتهم الربط بين بعض العقائد والعبادات والأحكام الإسلامية وغيرها من المعتقدات، كما يظهر في النماذج الآتية:

---

(1) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج395/7.

(2) انظر: بحار الأنوار، المجلسي، ج66/30-67، 76، والأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، القمي، ص43.

أولًا: ادعاء محاولات المسلمين تمجيد النبي محمد ﷺ على نفس منهاج تمجيد النصارى لعيسى عليه السلام.

مما لا شك فيه أن النصارى قد غالوا في تمجيد عيسى عليه السلام، فبعضهم ادعى أنه " ابن الله"، وبعضهم ادعى أنه "الإله"، وآخرون قالوا "عبد الله"، وقد بين الإسلام بوضوح حقيقة عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾النساء172، ويُلحظ أن بعض المستشرقين يحاول أن يقارن بين ما يفعله بعض جهلة المسلمين بما يفعله النصارى، كما يتضح في النموذج الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(ف. بول، ت. ولت F.Buhl – OA.T. Welet) في مادة(محمد)، قوله: "ويحمل هذا الاعتقاد في طياته افتراض أن محمدًا ﷺ كان بشرًا كسائر البشر، ليست له قدرات تسمو على قدرات البشر، وكثيرًا ما يشير القرآن الكريم إلى أنه إنسان كغيره من الناس وأنه ملاقٍ الموت: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} الزمر 30،...، وهذه بالضبط هي النقط التي شعرت إزاءها الأجيال التالية من أتقياء المسلمين بعدم الرضا، ولذلك فسرعان ما نجد المسلمين بعده مدفوعين بلا شك بمجادلاتهم مع المسيحيين –يحيطون شخص النبي ﷺ وحياته بهالة من الأمور الخارقة"[(1)]، يربط المستشرقان بين مغالاة النصارى في تمجيد عيسى عليه السلام وبين ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تمجيد محمد ﷺ، في محاولة لإثبات صحة ما يفعلونه.

2. النقد العلمي للمضمون:

يُلحظ في النص السابق أن المستشرقين (ف. بول. ت. ولت F.Buhl – OA.T. Welet) أوردا بعض المغالطات، منها:

أ. مساواة قدرات النبي ﷺ مع بقية البشر.

قصد المستشرقين الحط من مكانة النبي ﷺ بالتركيز على بشريته، وغض الطرف عن نبوته، والتي هي هدفهم غير المباشر من وراء السياق.

(1) دائرة المعارف الإسلامية، (ف. بول. ت. ولت F.Buhl – OA.T. Welet)، مادة محمد ﷺ، ج9158/29.

لا ينكر أحد من المسلمين بشرية النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ الكهف110، لكن يُلحظ أن المستشرقين يقصدان من وراء ذلك ما يلي:

- الحط من مكانة النبي ﷺ بتركيزهم على الجانب البشري في قضية عالجها القرآن الكريم؛ عندما اعترضت قريش على إرسال الله بشرًا لحمل الرسالة، حيث أرادوا أن يرسل الله رسولًا ذا قدرات خارقة، وبيّن الله أن باستطاعته أن يرسل بشرًا أو ملكًا أو ما يشاء، ولكنه أرسل بشرًا ليتقبله الناس وليتناسب مع قدراتهم العقلية القاصرة.
- غض الطرف عن نبوته ﷺ والتي هي هدفهم من وراء السياق السابق، فلا يمكن إنكار أن الله ميز الرسل عن غيرهم من الناس بالرسالة، كما أيد بعضهم بالمعجزات والكرامات التي لها دور في بيان صدق دعوتهم، والتي تُعد من القدرات الخارقة التي تسمو على قدرات البشر.

ب. ادعاء أن أتقياء المسلمين جادلوا النصارى لإثبات قدرات النبي الخارقة.

يدعي المستشرقان أن أتقياء المسلمين اجتهدوا لإحاطة النبي ﷺ بقدرات خارقة مجاراة لفعل النصارى مع عيسى عليه السلام، وقولهم هذا لا يخرج عما يلي:

- إما أن يقصدا بأتقياء المسلمين هم من انتهجوا منهج رسول الله واتبعوا سنته، فيرد على دعواهم أن هؤلاء أبعد من أن ينسبوا للرسول ﷺ خوارق غير التي وردت في السنة الصحيحة فقط لدحض حجج النصارى، والانتصار عليهم في مجادلاتهم.
- وإما أن يقصدا ما فعله غلاة المسلمين في حب محمد ﷺ، فنسبوا له العديد من الخوارق التي هو برئ منها، فيرد عليهما بأن هذا تعميم لا يصح أن يقرن به أتقياء المسلمين مع جهلتهم.

فالنبي ﷺ قد أجرى الله على يديه بعض المعجزات التي بين العلماء صحتها كانشقاق القمر، تكثير الطعام والماء بين يديه وغير ذلك.

- أما إن كان مقصدهم مجاراة النصارى في إطرائهم لعيسى عليه السلام فحملتهم الحمية على المغالاة في إطراء محمد ﷺ، فهذا مما نهى عنه النبي ﷺ في قوله: {لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ}[1].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ مريم16، 167/4، حديث رقم3443.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرقان (ف. بول، ت. ولت F.Buhl - OA.T. Welet) بعض المغالطات المنهجية في النص السابق، منها:

أ. تضعيف حجية الاستدلال الصحيح، كالتشكيك في الاعتقاد ببشرية محمد ﷺ.

ب. مخالفة المنهج العلمي في إجراء المقارنات مع وجود عناصر مشتركة وحقيقية بين المُقارن والمقارن به، ومن ذلك إجراء المقارنات الفاسدة بين المسلمين والنصارى تمجيدًا للأنبياء.

ج. تعميم الحكم وإطلاقه، كالحكم على جميع المسلمين الأتقياء بأنهم سعوا للغلو في شخص محمد ﷺ لمجاراة النصارى في جدلهم.

ومن خلال ما سبق يتضح غموض المستشرقين فيما أورداه عن مقصدهم بالجدل القائم بين المسلمين والمسيحيين الذي كان يهدف لإحاطة النبي محمد ﷺ بهالة من الخوارق، كذلك عدم إيراد أدلة على هذه المناظرات التي تمت بينهم، وكل ذلك مخالف للمنهج العلمي في التعامل مع الحقائق.

ثانيًا: الربط بين الحقائق الغيبية في الإسلام والنصرانية.

لا يكل المستشرقون عن محاولاتهم الربط بين الإسلام والنصرانية، بإرجاعهم كثير من المعتقدات الإسلامية إلى الديانات السابقة، لإثبات أن الدين الإسلامي قد تأثر بها، وما هو إلا تطور عن هذه الديانات، ومن أمثلة ذلك:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(فنسنك A.J. Wensinck) في مادة (الدجال)، قوله: "ويمكن أن نذهب مذهب بوسيه[1] M. Bousset فنقول إن شخصية المسيح الكذاب في المؤلفات النصرانية الأولى ترد إلى عناصر شتى أهمها، وهو قول يتفق وتصور المسلمين، هو:

أ. أنه الشيطان بوصفه عدو الله في علم الساعة.

ب. أنه الملك الذي سيظهر في آخر الزمان فيوحد الأمم جميعًا على بنى إسرائيل.

---

(1) بوسيهM. Bousset: لم أجد له ترجمة.

ج. أنه الطاغية الذي سيخرج من قبيلة دان فيجد ملكًا له في بيت المقدس ويقضى عليه المسيح هو وجنوده"[1]، يزعم المستشرق أن حقيقة الدجال مصدرها الأول المؤلفات النصرانية، كما أن ما جاء فيها يتفق مع ما جاء في الإسلام.

2. النقد العلمي للمضمون:

لا يفتر المستشرقون عن محاولاتهم المستمرة للربط بين الإسلام والديانات الأخرى، وانتهج المستشرق (فنسنك A.J. Wensinck) نفس منهجية أمثاله من المستشرقين، فيحاول الربط بين الإسلام والنصرانية في بيان حقيقة الدجال، وخلال ذلك أورد العديد من المغالطات، منها:

ادعاء الاتفاق بين المسلمين والنصارى في تصور الدجال في ثلاث نقاط:

- تقرير تماثل حقيقة المسيح الكذاب بالشيطان.

وأورد المستشرق فيما بعد حديث مستدلًا فيه على صحة قوله، وهو حديث فتح القسطنطينية، قال رسول الله ﷺ: { فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ}[2]، فيُلحظ من الحديث أن الشيطان والدجال شخصيتان مختلفتان، وليس كما يدعي المستشرق، لعل أُشكل عليه فهم النصوص، رغم وضوح الحديث.

- توحيد المسيح الأمم على بني إسرائيل في آخر الزمان.

وهذا أيضًا ادعاء باطل مخالف لما ورد في عقيدة المسلمين، فالمسيخ الدجال سيفرق الأمم لما يُحدثه من فتنة تؤدي إلى انقسام الناس فمنهم من يؤمن به ومنهم من يكفر به[3]، ويؤكد ذلك ما ذكره الرسول ﷺ بأن الدجال سينزل بجوار المدينة ولا يدخلها لأنها محرمة عليه، فيخرج منها رجل مؤمن يُبين للناس حقيقة الدجال، قال رسول الله ﷺ: {فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ – أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ – فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، فنسنك A.J. Wensinck، مادة الدجال، ج4861/16.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب فتح القسطنطينية وخروج الدجال، 2221/4، حديث رقم2897.

(3) انظر: صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال وصفته وما معه، 2250/4، حديث رقم 2937.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ،... فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ}[1].

- أما قوله أنه الطاغية، وأن المسيح عيسى عليه السلام سيقضي عليه وعلى جنوده.

هنا المستشرق في قوله قريب من عقيدة المسلمين بالدجال، فقد وردت الأحاديث الصحيحة التي توضح مدى طغيانه، وأنه يملأ الأرض فسادًا، ويفتتن به كثير من الناس، وفي النهاية يقضى عليه عيسى عليه السلام[2].

من خلال ما سبق يُلحظ محاولات المستشرق الربط بين حقيقة الدجال عند المسلمين وحقيقته عند النصارى، مستدلًا على أقواله بأدلة بعضها صحيح وبعضها فاسد، في سبيل إثبات أن الإسلام منبعه الأصلي من الديانات السابقة، مع العلم أن المسلمين لا ينكرون أن هناك أمورًا مشتركة بين الديانات يرجع ذلك لوحدة مصدرها، لكن يجب التأكيد على أنه إذا كان الدجال قد ورد في الكتب السابقة فإن أي خطأ أورده المستشرق عنه مرجعه للتحريف الذي طرأ على كتبهم، لا إلى السنة الصحيحة.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (فنسنك A.J. Wensinck) بعض المغالطات المنهجية، منها:

أ. إجراء مقارنات فاسدة تتناول بعض حقائق اليوم الآخر بين الإسلام والنصرانية، تهدف لإثبات استقاء النبي ﷺ الإسلام من الكتب السابقة.

ب. الاستدلال بمصادر غير أصيلة في تقرير عقائد المسلمين، كالاستدلال بالكتب النصرانية التي لا تعد عمدة عند المسلمين.

ج. قصور الفهم عن إدراك دلالة النص، كعدم فهمه لحديث الرسول ﷺ الذي يوضح أن الشيطان والمسيح شخصيتان مختلفتان.

مما سبق يتضح مخالفات المستشرقين للمنهجية العلمية في تناولهم لقضايا العقيدة خاصة أمور الغيب، حيث تتطلب المنهجية الصحيحة تقرير هذه المعتقدات من المصادر الأساسية عند المسلمين القرآن والسنة الصحيحة.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الإسراء برسول الله ﷺ، 153/1، حديث رقم166.

(2) انظر: المرجع السابق.

المطلب الرابع: المبالغة في تقرير تأثر المسلمين بغيرهم في مسائل الدين.

لا يمل المستشرقون عن الزعم بأن النبي ﷺ، والمسلمين استقوا بعض المعتقدات من الديانات الأخرى خاصة أهل الكتاب، وفي سبيل إثبات زعمهم استخدموا كثيرًا من الأساليب، كما يتضح في النماذج التالية:

أولًا: دعوى تأثر المسلمين بغيرهم في أداء الشعائر الدينية.

تعامل المستشرقون مع الإسلام على أنه خلاصة الحضارات السابقة، فحكموا على شعائره الدينية بالتأثر بهذه الحضارات عند كل تشابه، يهدفون من وراء ذلك الزعم بأن الإسلام لم يأت بجديد، بل ما جاء به موجود في الديانات السابقة كاليهودية والنصرانية، أو غير ذلك من الديانات، ومن نماذج أقوالهم ما يأتي:

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق (بول fr.Buht) في (مادة طواف)، قوله: " والطواف في الشعائر الدينية هو الدوران حول شيء مقدس، مثل حجر أو مذبح أو نحو ذلك، وقد بقيت آثار من هذه الشعيرة عند بنى اسرائيل، كما تدل على ذلك احتفالات عيد هيكل سليمان في عهد الهيكل الثاني، حيث كان يطاف حول المعبد مرة في كل يوم من الأيام الستة الأولى، وسبع مرات في اليوم السابع، على أن الطواف كان أيضًا موجودًا عند الفرس والهنود والبوذيين والرومان وغيرهم، ولذلك فهو يرجع إلى عصور قديمة جدًّا، وكان له شأن عظيم في الشعائر الدينية عند العرب القدماء...، وقد أخذ محمد ﷺ بهذه العادة القديمة لما وضع شعائر دينه وجعل الكعبة مركز هذه الشعائر "[(1)] يحاول المستشرق إثبات أن الإسلام لم يأت بجديد، وأن الطواف في العقيدة الإسلامية من العادات القديمة المأخوذة من الديانات السابقة أخذ به النبي ﷺ عندما وضع الدين الإسلامي خلال تأسيس دينه.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

أورد المستشرق (بول fr.Buht) في النص العديد من المغالطات، منها:

أ. **ادعاء أن الطواف مقتبس من الديانات السابقة.**

يدعي المستشرق أن الطواف من العادات القديمة جدًّا التي كانت موجودة عند بني إسرائيل، وطوائف أخرى كالفرس والهنود والبوذيين والرومان وغيرهم، ولكن بالنظر إلى أصول

(1) دائرة المعارف الإسلامية، بول fr.Buht، مادة طواف، ج22/6960-6961.

هذه الشعيرة يتبين لنا أن الطواف كان من زمن آدم عليه السلام، فقد ذكر علي رضي الله عنه أن الله أمر الملائكة أن تبني بيتًا على الأرض ليطوفوا به، ثم لما نزل آدم أعاد بناءه وطاف فيه، وبعده انتهج الأنبياء نهجه وطافوا بالبيت، ثم على عهد إبراهيم عليه السلام استتّم بناءه[1] قال تعالى:﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ آل عمران97، ومن المعلوم أن الدين من لدن آدم هو الدين الإسلامي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران19، وهذا يدحض أي دعوى تقول أن الطواف من الحضارات السابقة للإسلام.

ومن خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن الطواف ركن أساسي من أركان الحج، وهو من العبادات الموروثة من إبراهيم عليه السلام، حيث إن العرب انحرفت بعد إبراهيم عليه السلام واستبدلت الدين الحنيف بالعديد من العبادات المبتدعة، وإن بقى فيها من آثار دين إبراهيم عليه السلام شيء كالطواف، وجاء الإسلام فأقر ما كان من دين إبراهيم، وأبطل ما طرأ عليه من بدع.

ب. دعوى استفادة النبي ﷺ الطقوس التعبدية من الآخرين.

أرجع المستشرقون أصل الدين الإسلامي إلى مصادر خارجية كاليهودية والنصرانية، والفارسية والبوذية وغيرها، وسار المستشرق(بول fr.Buht) على نهجهم، فادعى أن محمدًا ﷺ خلال وضعه الشعائر الدينية أخذ شعيرة الطواف من العرب الوثنيين –أهل قريش– وجعل الكعبة مركز الشعائر، وقد سبق بطلان ما ادعاه من أن القرآن من تأليف محمد ﷺ، أما دعواه أنه أخذ هذه الشعيرة من المشركين فيرد عليه بأن الطواف من بقايا الدين الحنيف، إنما جاء الإسلام ليرد الشريعة إلى أصولها الإلهية، وينقيها مما لحق بها من بدع وانحرافات، فالدين الإسلامي والأديان السماوية السابقة كلها مصدرها واحد فطبيعي أن يكون تشابه بينهم خاصة في أصول الدين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ النساء163.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (بولfr.Buht) عدة مغالطات منهجية منها:

أ. توهين مضامين المعتقدات الدينية، بدعوى استفادتها من الأديان الأخرى، ومن ذلك ادعاء المستشرق أن الطواف مقتبس من الديانات السابقة.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج138/4.

ب. التدليس بإغفال التشابه بين التشريعات السماوية مرجعه إلى وحدة المصدر،(دليل ذلك قوله: أنه بقيت آثار هذه الشعيرة عند بني اسرائيل).

ج. التأصيل لمسألة أن القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ، ويتضح ذلك من قول المستشرق: "وقد أخذ محمد بهذه العادة القديمة لما وضع شعائر دينه".

من خلال ما سبق يُلحظ أن المستشرقين يتبعون منهجية واحدة لتحقيق هدف موحد لديهم، وهي التعامل مع الدين الإسلامي على أنه إفراز من الديانات السابقة، وأنه من تأليف محمد ﷺ، وهدفهم من ذلك الطعن في الدين الإسلامي، وخاصة العقيدة والشعائر الإسلامية، والتشكيك في القرآن الكريم بنسبته لمحمد ﷺ ليسهل عليهم الطعن في صحته.

ثانيًا: ادعاء اقتباس النبي من قصص أهل الكتاب التي وردت في الشعر.

من المفارقات التي تدعو للعجب، أن بعض المستشرقين لجئوا إلى طرق لا يرتضيها المثقفون الذين يتبعون المنهج العلمي في دراساتهم، من ذلك دعواهم أن كتاب مقدس كالقرآن الكريم تم اقتباس بعضه من مصادر ضعيفة لا يؤبه بها، كالشعر الذي يُلقى في الحانات، كما يتضح في المثال الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(كارا ده فو B.Carra De Vaux) في مادة (إنجيل)، قوله: " وكان الشعر أيضًا وسيلة من الوسائل التي انتقلت بها آراء النصارى إلى المسلمين، فعند ظهور الإسلام كان الشعراء يترددون على الحيرة، وكانت تربطهم بنصارى العرب خير الصلات، فنقلوا إلى بلاد العرب ما سمعوه من القصص في حانات الحيرة، نذكر من هؤلاء: زيد بن عمرو بن نفيل وأمية بن أبي الصلت الذى كان واسع العلم بالقصص اليهودي أيضًا والأخبار الإنجيلية التي يظهر أنها كانت أكثر شيوعًا في البيئة التي شب فيها النبي هي الروايات الخاصة بالبشارة"[(1)]، يحاول المستشرق التدليل على أن البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ كانت تعج بالأخبار النصرانية، والقصص اليهودية.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فو B.Carra De Vaux) عدة مغالطات خلال نصه السابق، منها:

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، كارا ده فوB.Carra De Vaux، مادة إنجيل، ج1262/5.

أ. ادعاء أن البيئة التي نشأ فيها محمد ﷺ دليل على استقاء معلوماته منها خاصة قصص الشعراء.

من المعلوم أن الشعر الجاهلي ينطوي على حق وباطل، كما أنه رغم مميزاته التي لا يمكن إنكارها إلا أنه أيضًا كان يحوى دعوات مخالفة للدين الإسلامي، وللأديان السماوية السابقة كاستخدامه في ابتذال المرأة والتغزل الصريح بها، كذا في الهجاء السقيم المخالف للصحيح، وفي المدح المبالغ فيه في سبيل طلب الرزق من الولاة، وفي توريث العداءات، والدعوة للثأر، وجاء الإسلام فهذب الشعر وارتقى به عن سفاسف الأمور، لذا لا تُعد القصص، أو أخبار الشعراء من المصادر التي يمكن أن يستقى منها محمد ﷺ معلوماته، فكتاب تحدى به الأمة جمعاء [1]، من أهم سماته صدق ما أخبر به، أبعد من أن يكون حصيلة قصص تسمع في الحانات، أو تروى على لسان سكارى الشعراء، وكما ذكر (العلامة أحمد شاكر) في تعليقه على المقال أن المستشرق لم يصن قلمه بما يزعمه بحثًا علميًا[2]، كذلك لو كان كما يدعون فكيف يسمحون لمحمد ﷺ أن يتهم كتبهم بالتحريف والتبديل، وغير ذلك من الحقائق التي ذكر فيها القرآن مآخذهم، وأخطائهم.

ب. الافتراء على بعض الشخصيات.

أما دعواه بأن (زيد بن عمرو بن نفيل)، و(أمية بن أبي الصلت) كانا يترددان على حانات الحيرة، وهم من نقلا الأخبار النصرانية والقصص اليهودية، فيرد على ادعائهم هذا:

- أنه لا دليل تاريخي له.
- أن (زيد بن عمرو بن نفيل) كان يدين الدين الحنيف، وقد تواترت الأحاديث الصحيحة التي تثبت ذلك، والتي تذكر أنه امتنع عن مشاركة قريش في عاداتها التي تنافي الدين الحنيف كوأد البنات، وأكل ما ذبح على النصب وغير ذلك، كما أنه مات قبل البعثة بخمس سنوات، وقريش تبني الكعبة [3].

---

(1) ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء 88

(2) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة إنجيل، تعليق أحمد شاكر، ج1284/5.

(3) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، 40/4، حديث رقم3826، 3827، 3828، فتح الباري، ابن حجر، ج143/7-144.

- أما (أمية بن أبي الصلت) فكان من أشعر ثقيف، له اطلاع واسع على كتب الأمم السابقة، ومن خلال البشارات خلالها علِم أن الله سوف يبعث نبيًّا من الحجاز، فسعى أن يكون هو هذا النبي، فبحث عن التوحيد، واتبع الدين الحنيف؛ وحرم الخمور وعبادة الأوثان، فترك ذلك أثرًا واضحًا في شعره، فلما بعث الله محمدًا ﷺ حسده ولم يسلم، ومات على الكفر قبل أن تسلم ثقيف[1]، وقال فيه رسول الله ﷺ: { أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ}[2]، كما قال فيه: { آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ}[3]، وقيل إنه نزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ الأعراف175 [4].

- أما دعواه أن الروايات الإنجيلية الخاصة بالبشارة بالنبي ﷺ كانت شائعة في البيئة التي نشأ فيها النبي ﷺ، فيرد على ذلك بأن البيئة التي نشأ فيها النبي كانت تعج بعبادة الأصنام لا علاقة لها بالنصرانية أما من كان على الديانة النصرانية فمحدودون منهم ورقة بن نوفل كما سبق بيان ذلك.

من خلال ما سبق يتضح مدي تدليس المستشرق في إيراده للحقائق التاريخية، حيث إنه أورد ما يؤيد هدفه بما يدلل عن استقاء النبي ﷺ معلوماته من الشعر والقصص التي يتحدث بها الشعراء في الحانات مجانبًا بذلك المنهج العلمي في تقصي الحقائق بصورة كبيرة.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (كارا ده فو B.Carra De Vaux) عدة مغالطات خالف فيها المنهج العلمي الصحيح، منها:

أ. التدليس في سرد المعلومات، كالمبالغة في دعوى استقاء محمد ﷺ معلوماته من النصارى الذين يرتادون الحانات، يهدف المستشرق من وراء ذلك الطعن في الرسالة والوحي.

ب. إيراد كثير من المعلومات التي لا تؤيدها المصادر التاريخية.

---

(1) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج1/384-387.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب/ باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره، 35/8، حديث رقم6147، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الشعر، 1778/4، حديث رقم 2256.

(3) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الفاكهي، 168/3، حديث رقم1929.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج320/7.

ج. التخلي عن النزاهة والموضوعية في تقصي الحقائق، كإيراد معلومات عن بعض الشخصيات تتناول جانبًا من جوانب شخصياتهم دون التعرض للجوانب الأخرى وفي ذلك إلباس على القراء.

يمكن الخلوص مما سبق أن المستشرق يسعى لإثبات أن البيئة التي نشأ بها محمد ﷺ خصبة بالأخبار الإنجيلية والقصص اليهودية، ويُعد هذا مُدخلًا لتحقيق هدفه وهو أن الإسلام مقتبس من اليهودية والنصرانية، كما أنه جانب الصواب، وحاد عن النزاهة والموضوعية في سرد بعض الحقائق التاريخية في سبيل تحقيق أهدافه من الطعن في الرسالة والوحي والتشكيك فيهما.

المبحث الثاني:

مخالفة المستشرقين قواعد النقد العلمي في دراسة العقيدة الإسلامية من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

مما يجدر ذكره أن للنقد العلمي قواعد ومعايير نقدية لا بد أن يراعيها من يشتغل بالبحث العلمي، ومنها أن يكون الناقد متخصصًا، وعلى دراية بالموضوع الذي يريد نقده من كافة جوانبه خاصة في القضايا العقائدية، ملتزمًا الدقة والأمانة العلمية عند إصدار أحكامه ببيان الإيجابيات والسلبيات دون تحيز، داعمًا نقده بالأدلة العلمية، إلا أن هناك من المستشرقين من حاد عن هذه المنهجية، وخاصة عند دراسة العقيدة الإسلامية فغلب تعصبه الديني، وخاض معارك شخصية خلال نقده، فمال عن جادة الصواب والموضوعية، فنتج عن ذلك كثيرًا من المغالطات التي ظهرت واضحة في بحوثهم في دائرة المعارف الإسلامية، ومن ذلك:

المطلب الأول: التخلي عن النقد البرهاني العلمي.

من المعلوم أن المنهجية الصحيحة في محاورة الخصم تتطلب التدرج في البرهان العلمي، ويتم ذلك بتتبع مغالطات الخصم والرد عليها حسب حجته، وبتنويع الرد لزيادة الإقناع، وإسقاط أي حجج غير متوقعة؛ ولكن كثيرًا من المستشرقين خالفوا هذه المنهجية، وأصدروا مواقف حكمية دون الارتكاز على مقدمات بيانية وبراهين علمية، فترتب على ذلك نتائج مغلوطة كإطلاقهم الأحكام الجزئية على الأحكام الكلية، أو العامة على الخاصة، أو المطلقة على المقيدة، ويتضح ذلك في الأمثلة الآتية:

أولًا: التلبيس في إيراد أخبار الأنبياء و بعض الأذكار.

أورد المستشرقون أخبار الأنبياء خلال دائرة المعارف الإسلامية، إلا أنهم لم يراعوا الدقة والتَثبت خلال ذلك، كادعاء المستشرق فنسك Wensinck خلود بعض الأنبياء مستندًا على بعض الأساطير، وأيضًا إيراده بعض الأذكار المخالفة للسنة الصحيحة، كما يتضح بالمثال التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (فنسك A.J. Wensinck) في مادة (إلياس)، قوله: " فقد ذهبا معًا إلى عين الحياة وشربا منها، ولم يرد هذا الخبر أول ما ورد إلا في أسطورة الإسكندر ذي

القرنين، وهذا الخبر يؤكد خلود إلياس، وفسر اسمه كذلك بأنه "الآس" وهو رمز الخلود، وعاش (إلياس) و(الخضر) حتى شهدا أول ما نزل الوحى على محمد، وعندها سألا الله أن يقبضهما إليه، ولكن محمدًا قال لهما: "يا خضر عليك أن تعين أمتى في البر، وأنت يا إلياس عليك أن تعينها في البحر"، والشائع هو أن الخضر سيد البحر وإلياس سيد البر،... وقيل إن كل من يقول (سرق، حرق غرق) ثلاث مرات في الصباح والمساء، يكون بمنجاة من السرقة والحريق والغرق، كما يكون بمنجاة من الشيطان والثعابين والعقارب،... وإلى جانب قصة الخضر، نجد عند المسلمين أيضًا، قصة إدريس (أخنوخ)، ويقال أحيانًا إن إلياس هو إدريس نفسه، وذكرت لإلياس أنساب مختلفة، ولكنها أجمعت كلها على أن إلياس هو إدريس"[1]، يحاول المستشرق نسبة صفة الخلود لبعض الأنبياء كالخضر وإلياس عليهما السلام، وكما أنه يدعي أن هناك بعض الكلمات المخصوصة غير الواردة في مصادر العقيدة الصحيحة لها القدرة على حفظ الإنسان من الشيطان؛ وبعض الهوام، وأيضًا يلبس على المسلمين بأن النبي إدريس هو إلياس عليهم السلام.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (فنسنك A.J. Wensinck) العديد من المغالطات خلال حديثه عن نبي الله (إلياس) ومن هذه المغالطات:

أ. دعوى خلود كل من الخضر وإلياس عليهما السلام.

أورد المستشرق الحكم بخلود الخضر وإلياس عليهما السلام دون إيراد أي أدلة تدعم قوله، ودون متابعة هذه المسألة من خلال الكتب المعتمدة التي تناولت الموضوع، وبالرجوع إلى المواقف التي قيلت وُجد أنها تتلخص كالآتي:

- منهم من قال بأن الخضر لازال حيًّا لأنه شرب من عين الحياة، وأنه باقٍ في الأرض، ويحج البيت، لكن هذا الادعاء لا أدلة صحيحة عليه بل مجرد ادعاءات[2].
- لكن جمهور الناس ذهبوا إلى أنه مات؛ لأنه لو كان حيًا؛ ويحج البيت لكان ظهر في ملة الإسلام واتبع محمدًا ﷺ[3]، كما أن هناك أدلة التي تقضي بموت الخضر عليه السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ الأنبياء34،

(1) دائرة المعارف الإسلامية، فنسنك A.J. Wensinck، مادة إلياس عليه السلام، ج1164/4.

(2)انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، ج41/11.

(3) انظر: المرجع السابق، ج41/11.

وقال رسول الله ﷺ: { أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ}[1]، وكما قد بين العلماء هذه المسألة بشيء من التفصيل كابن تيمية حيث ذكر أن ما عليه المحققون أن الخضر ميت، ولو كان حيًّا لوجب عليه اتباع النبي ﷺ، كذلك لكان أخبر النبي ﷺ أمته، والخلفاء الراشدين عن وجوده، لكن ذلك لم يحدث، كما أن المسلمين ليسوا بحاجة للخضر، أو غيره، فقد أخذوا ما يحتاجونه في دينهم؛ ودنياهم عن النبي ﷺ[2]، وبالمثل ما أورده عن إلياس عليه السلام، فلا خلود لكليهما.

ب. القول بأن هناك كلمات مخصوصة لها القدرة على حفظ الإنسان من الشيطان والهوام.

يدعي المستشرق أن هناك بعض الكلمات (سرق، غرق، حرق) إذا ذكرها الإنسان، في الصباح والمساء، فإنه ينجو من السرقة، والغرق، والحرق، وكذلك من الشياطين ومن بعض الهوام الأفاعي والعقارب، وبالرجوع إلى كتب الصحاح التي أوردت أذكار الصباح والمساء الصحيحة عن رسول الله ﷺ فلم يوجد أصل لما يدعيه، كما أن ذلك الورد الواهم لا يعتقد به عاقل، وُجد أن المستشرق استقى ذلك من الحديث: { عن ابن عباس قال: قال: يلتقي الْخضر وإلياس عَلَيْهِمَا الصَّلَاة وَالسَّلَام كل عَام بِالْمَوْسِمِ بمنى فيحلق كل وَاحِد مِنْهُمَا رَأس صَاحبه فيفترقان عَن هَذِه الْكَلِمَات سُبحَان اللّه مَا شَاء اللّه، ولَا يَسُوق الْخَيْر إِلَّا الله مَا شَاء اللّه، لا يُصْلِح السُّوء إِلَّا الله مَا شَاء الله، لا قوَة إِلَّا بِالله، قَالَ ابْن عَبَّاس: من قالهن حِين يصبح وَحين يُمْسِي أَمنه الله من الْغَرق والحرق وَأَحْسبهُ قَالَ: وَمن الشَّيْطَان وَالسُّلْطَان والحية وَالْعَقْرَب}[3]، وهو حديث باطل ذكر الألباني أنه موضوع[4]، كما وقد ذكر العلماء أنه يجب على الإنسان أن يدعو الله بما ورد في كتب الله وصحيح السنة، وأن يتركوا ما سواه، فالله ﷻ قد علمنا كيف ندعوه عن طريق أنبيائه وأوليائه[5].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم/ باب السمر في العلم، 34/1، حديث رقم 116، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب قوله ﷺ: {لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم}، 1965/4، حديث رقم2537.

(2) انظر: زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، ابن تيمية، ص70-72.

(3) انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي، ابن السبكي، الزبيدي، ج844/2، و تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج211/19.

(4) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الألباني، ج541/13، حديث رقم 6251.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج231/4.

ج. ادعاء أن إدريس عليه السلام هو إلياس عليه السلام.

يدعي المستشرق (فنسنك A.J. Wensinck) أن الروايات أجمعت على أن إدريس هو إلياس عليه عليه السلام، ومن المعلوم أن إدريس عليه السلام قد ذكر في موضعين في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم56، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنبياء85، وإلياس عليه السلام ذكر في موضعين أيضًا ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنعام85، ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾الصافات123، وقد اختلف العلماء في إلياس وإدريس عليهما السلام :

- ذهب ابن مسعود إلى أنهما شخص واحد، وقد أورد هذا القول القرطبي، وابن كثير، وقد انفرد ابن مسعود بهذا القول [(1)].
- وذهب فريق إلى أنهما شخصان مختلفان[(2)].
- وذهب آخرون إلى أن إلياس هو عم اليسع، وقيل هو الخضر، وقيل هو من ولد هارون، وقيل إنه ذو الكفل[(3)].

من خلال ما سبق يتضح انفراد ابن مسعود رضي الله عنه برواية أن إلياس هو إدريس كما يدعي المستشرق، واختلاف عدة من الروايات في أنهما شخصان، فيرجح بذلك الرأي الثاني، كما أن الجميع عليه الإيمان بالأنبياء والرسل على عمومهم سواء كان كلاهما شخصًا واحدًا، أو شخصين مختلفين.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (فنسنك A.J. Wensinck) بعض المغالطات المنهجية في النص السابق، منها:

أ. ترك النقد البرهاني المنضبط، وإصدار أحكام بدون دليل، كالحكم بالخلود لكل من الخضر وإلياس عليهما السلام، دون الاستناد لأي دليل.

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج115/15، وقصص الأنبياء، ابن كثير، ص60.

(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، البغوي، ج40/4، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج43/11.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج115/15، وإعراب القرآن، النحاس، ج294/3، ج54/6، والاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج91/4.

ب. التقليل من قيمة المصادر الأساسية، كالقرآن الكريم، والسنة النبوية، واستقاء الأخبار، والأذكار من مصادر غير تخصصية، وجعلها المصدر الأساسي لدراساتهم.

ج. الاعتماد على الضعيف والموضوع من الروايات، دون بيان صحتها؛ بل ينتقون ما يوافق أهواءهم.

د. الانتقائية في المصادر، فمن الكتب المعتمدة عندهم تفسير الطبري، فيأخذون منه دون تمحيص، رغم أن الطبري أورد كثيرًا من الإسرائيليات في كتابه، وترك للآخرين مهمة الرجوع لتحقيقها، حيث أوردها بأسانيدها الضعيفة ليبرئ عهدته، ومعروف في علم الحديث قاعدة: (من أسند لك فقد أحالك)[1] .

هـ. إصدار أحكام دون دليل، حيث ادعى إجماع الروايات على أن إلياس هو إدريس.

يتضح مما سبق أن من العيوب المنهجية الظاهرة في دراسات المستشرقين تخليهم عن النقد البرهاني، حيث إنهم يطلقون الأحكام دون مقدمات بيانية مخالفين المنهج العلمي الصحيح، كذلك دون دعم أحكامهم بالأدلة التي تبين صحة نتائجهم التي توصلوا إليها، وإن أوردوا أدلة فإنها إما أن تكون ضعيفة المصدر، أو غير مناسبة للمسألة.

ثانيًا: ادعاء عدم رؤية الله في الجنة.

مما لا يمكن إنكاره أن السنة النبوية جاءت شارحة للقرآن الكريم، كما أن السنة وحي من الله تعالى، فهي المصدر الثاني للتشريع، إلا أن المستشرقين حاولوا في كثير من الموضوعات تجاهلها قصدًا، وتعاملوا مع نصوص القرآن حسب أفهامهم، كما يتضح في النموذج الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(كارا ده فو B. Carra De Vaux) في مادة (الجنة)، قوله: "ولا يظهر الله في وصف القرآن للجنة، ولكنه مع ذلك حاضر يوم الحساب، ويدل أيضًا بألفاظ الجنة

---

(1) انظر: شرح اختصار علوم الحديث، إبراهيم اللاحم، ص226-227.

والفردوس وعدن على جنة الأرض، وفيما يتعلق بصورة الجنة انظر معرفت نامه [1] "[2] ينكر المستشرق رؤية الله ﷻ في الجنة، كما أنه يدعي أن الجنة تكون على الأرض.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (كارا ده فو B. Carra De Vaux) بعض المغالطات في حديثه عن الجنة، منها:

أ. ادعاء امتناع رؤية الله بالجنة رغم حضوره يوم الحساب.

يورد المستشرق حكمه بأن القرآن عندما وصف الجنة لم يورد فيه ظهور الله أي رؤيته في الجنة، بل اقتصر القرآن على أن الله يكون حاضرًا فقط يوم الحساب، مجانبًا بحكمه هذا الصواب حيث أن القرآن الكريم أورد العديد من الآيات التي تثبت رؤيته وحضوره بالجنة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة22-23، فقد ذكر جمهور العلماء أن تفسيرها هو النظر إلى الله ﷻ، ورؤيته في الجنة، وفي ذلك أيضًا بيّن (ابن عمر) أن الله خص المؤمنين في الجنة بأعظم نعمة وهي إكرامهم وتشريفهم بروية وجهه الكريم في الغدو والعشي في الجنة[3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس26، وقد فسر رسول الله ﷺ الزيادة بروية وجه الله تعالى في الجنة[4] { " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ "، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾} [5]، ولو كانت الرؤية ممتنعة

---

(1) كتاب معرفة نامة: للمؤلف إبراهيم حقي الأرضرومي الحنفي، صوفي، من أتباع الطريقة النقشبندية، له أقوال كفرية صريحة، حيث يزعم أن الإله يتشكل بأشكال الحيوانات العياذ بالله، كما أنه يعظم الشاه بالقول بأنه يحيي ويميت، من مصنفاته " حصن العارفين من فتن الزمان في كل آن، (ت1194هـ)، انظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج25/1، والدرر السنية، الطريقة النقشبندية، و ويكيبيديا الموسعة الحرة، معرفت نامة (موقع الكتروني)

(2) دائرة المعارف الإسلامية، كارا ده فو B. Carra De Vaux، مادة الجنة، ج3244/11-3245.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج107/19.

(4) انظر: المرجع السابق، ج8/ 330.

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم، 163/1، حديث رقم181.

يوم القيامة عن المؤمنين، لما كان هناك فائدة لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ المطففين15.

ب. ادعاء أن الجنة على الأرض، وتصويرها بصورة مادية تجسيمية في كتاب معرفت نامة.

أثبتت الأحاديث الصحيحة أن الجنة في السماء السابعة، ومن هذه الأحاديث: { فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ}[1]، ومن المعلوم أن الله في السماء، مستوٍ على العرش، فتبعًا للحديث تكون الجنة في السماء.

وربما يرجع قول المستشرق أن الجنة في الأرض لتأثره بعقيدته النصرانية فظن أن الجنة عند المسلمين كما هي عند النصارى، حيث ورد في إنجيل (متى) <<ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ :تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ... ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ :اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ، لأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي، كُنْتُ غَرِيبًا فَلَمْ تَأْوُونِي .عُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضًا وَمَحْبُوسًا فَلَمْ تَزُورُونِي، حِينَئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضًا قَائِلِينَ :يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا أَوْ عَطْشَانًا أَوْ غَرِيبًا أَوْ عُرْيَانًا أَوْ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا وَلَمْ نَخْدِمْكَ؟ فَيُجِيبُهُمْ قِائِلًا: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدِ هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا، فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّة>>[2].

أما تصويره للجنة حسب مفهومه ورؤيته المادية، وإدراج صور لها في كتابه (معرفت نامة)، فهذا حتى دون الرجوع للكتاب يتناقض مع العقيدة الإسلامية، فالجنة أمر غيبي، ولا يمكن تصورها إلا كما أخبر عنها النبي ﷺ.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (كارا ده فو B. Carra De Vaux) العديد من المغالطات المنهجية منها:

أ. التخلي عن النقد البرهاني وذلك بتعميم الأحكام الجزئية، كتعميم حكم عدم رؤية الله تعالى بالدنيا، إلى عدم رؤيته بالآخرة، وهذا يُعد قصورًا عند المستشرق نتج عن عدم الرجوع للمصادر الأصيلة التي تناولت مسألة رؤية الله ﷻ في الآخرة.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد/ باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ هود7، 125/9، حديث رقم7423.

(2) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 25: 31-46، ص37-38.

ب. التأثر بالمادية التي كانت سائدة في عصره، وإسقاطها على القضايا الغيبية، كتعامله مع الجنة بصورة مادية بحتة وتصوريها في كتابه بصورة خيالية.

ج. عدم النزاهة والموضوعية في طرح القضايا العلمية، ويظهر ذلك في تعامله مع الأمور الغيبية في العقيدة الإسلامية بمنظور نصراني، ومن ذلك ادعاؤه أن الجنة تكون على الأرض كما ورد في ديانته.

من خلال ما سبق يتضح أن المستشرقين يطلقون الأحكام ابتداءً دون التدرج في تناول المسألة التي يدرسونها، ثم بعد ذلك يحاولون تبرير هذه الأحكام تبعًا لأهوائهم، أو تبعًا لأحكام مسبقة، موردين خلال ذلك الأدلة غير الصحيحة في سبيل إثبات ما يدعوه.

المطلب الثاني: التدرج في الاستدلال الفاسد.

الاستدلال الصحيح يتطلب التدرج في عرض الآراء والأفكار ثم تحليلها وتفسيرها بما تحويه من براهين وحجج حتى يتم من خلالها التوصل لاستنباط حقائق صحيحة، إلا أن المستشرقين خالفوا المنهجية العلمية في الاستدلال إما بإغفالهم لبعض الآراء والأفكار المتعلقة بالمسألة التي يدرسونها، أو الاضطراب في الاستدلال، أو عدم قدرتهم على تفسير وتحليل هذه الأفكار وغير ذلك من المخالفات، كما يتضح في الأمثلة الآتية:

أولًا: الدفاع عن أهل البدع والضلالات.

تحرص دائرة المعارف الإسلامية على تزكية المنحرفين فكريًا، والثناء عليهم، كغلاة الصوفية والفلاسفة، متجاهلة بدعهم وانحرافاتهم، رغم إيضاح علماء أهل السنة والجماعة لتلك الانحرافات، إلا أنهم وصفوا من يتصدى لتلك الانحرافات والبدع بالتشدد، كما يتضح في النماذج الآتية:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرقان (ماسينيون، ل كارديه L.Massignon) في مادة (الحلاج[1])، قوله: " وعند أهل السنة لم يعد مصطلح الحلاجية[2]يعنى بعد الأخوة الدينية، ولكن هناك من

---

(1) الحلاج: الحسين بن منصور الحلاج، أبا مغيث، قدم بغداد وخالط الصوفية، وصحب من مشيختهم الجنيد، وأبا حسن النوري، وعمرو المكي، كان مخلط الحال أحيانًا تارة صوفي من الزهاد، وتارة فيلسوف، وأخري ملحد، ادعى حلول الإلهية فيه مما أدى إلى سجنه وقتله (ت:309هـ)، ومن تصانيفه " علم البقاء والفناء" و" طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورية" و" هو هو" . انظر: الأعلام، الزركلي، ج2/259-260.

(2) مذهب الحلاجية: يراد به من تابع الحلاج في أفكاره البدعية، منها القول بالحلول والاتحاد في مُعين، ومنها ادعاء ألوهية الحلاج، انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص240، والفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج2/33.

الأصوليين، وعلماء الكلام، والصوفية من اقتنعوا اقتناعًا شخصيًّا في ولاية الحلاج (انظر فيما تقدم مواقف ابن عقيل والغزالي وغيرهما...) على أن ابن تيمية استنكر هذا الاتجاه بشدة...، ولا نجد اليوم أحدًا من أهل السنة يعتقد في الحلاج، ويعذر كثير منهم الحلاج عملًا بالقاعدة الشافعية الفقهية، ولكنهم وقفوا عند هذا الحد، وعلى أية حال، فإن التوسل بالحلاج مستمر، وما زال الحجاج يفدون من القرى البعيدة لزيارة قبره....، ولكن البحوث الدقيقة المتميزة التي أجراها L. Massignon، أعادت هذه الشخصية الفذة إلى مكانها الصحيح في بيئتها وفى تطور الفكر الإسلامي وبعد، فإننا قلما نجد كتابًا عن ثقافة البلاد الإسلامية يغفل ذكر الحلاج "[1]، يحاول المستشرق تبرئة الحلاج، مستدلًا على ذلك باعتقاد بعض المنحرفين بولايته، والتوسل به وزيارة قبره، واتباع بعض الناس له في الوقت الحالي، وكذلك بالأبحاث التي أجراها (ماسينيون .L) Massignon للدفاع عن الحلاج.

2. النقد العلمي للمضمون:

اهتم المستشرقان (ماسينيون، ل كارديه L.Massignon) اهتمامًا كبيرًا بالحلاج، فصوراه بصورة الولي المظلوم، فدافعوا عنه وتبنوا مذهبه وفكره، وفي سبيل ذلك أوردوا العديد من المغالطات منها:

أ. محاولات نصرة الحلاج رغم انحرافه العقدي.

يحاول المستشرقان الدفاع عن (الحلاج) رغم وضوح موقف أهل السنة منه، مستدلين بموقف بعض المتكلمين والأصوليين والصوفية الذين يدعون أن (الحلاج) ولي من أولياء الله، ويُرد على ذلك ما يلي:

- أنه قد أظهر أقوال أهل الإلحاد، فقد ادعى أن روح الإله قد حلت فيه، كما حل الإله في عيسى عليه السلام، كما كانت له مخاريق وأنواع من سحر، وله كتب منسوبة إليه في السحر وعلى هذا كان قتله، وأولياء الله الحقيقيون هم الذين يعرف عنهم التقوى والصلاح[2]،
- أنه قد ظهر الحلول والاتحاد في كتبه، ومن أقواله: " أنا الحق" [3]، وقوله: "

دخلت بناسوتي لديك على الخلق ولولاك، لاهوتي، خرجت من الصدق[4]

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماسينيون، ل كارديه L.Massignon، مادة ج4242/14، 4245.

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج2/480-486.

(3) الحلاج الأعمال الكاملة، الطواسين، عباس، ص192.

(4) المرجع السابق، ص315.

كفـــــرت بـــــدين الله والكفــــر واجـــــب علــــــي، وعنـــــد المســــــلمين قبـــــيح[1]

- أيضًا من انحرافاته إنكاره للحج إلى مكة، حيث كان يدعو إلى الحج القائم على النية الخالصة، دون الحاجة إلى السفر والطواف حول مكة[2].

- أما موقف الفقهاء فقد ذكر القاضي عياض في كتابه (الشفا): أن فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي قد أجمعوا على قتل الحلاج، وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول[3].

- أما الصوفية: فقد قال أبو يعقوب الأقطع: "زوجت ابنتي من الحسين بن منصور (الحلاج) لما رأيت من حسن طريقته، واجتهاده، فبان لي بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال، خبيث كافر"[4]

- ذكر المستشرقان في النص السابق موقف ابن عقيل والغزالي اللذان قالا بولاية الحلاج، وبالرجوع لما أحالا له، تبين مجانبتهما للصواب في النقل عنهما، ويتضح ذلك من قول ابن عقيل: " كنت قد اعتقدت في الحلاج، ونصرته في جزء، وأنا تائب إلى الله منه، وقد قتل بإجماع فقهاء عصره، فأصابوا وأخطأ هو وحده" [5]، أما الغزالي فقد عد ما صدر عن الحلاج دليل رتبة عالية في حق المعبود، وقد وضح بعضهم الإشكال عند الغزالي في حقيقة الحلاج [6].

- أما مرادهم أن هناك من أهل السنة من يعذر الحلاج طبقًا للقاعدة الشافعية الفقهية، فيقصدون بذلك موقف الذهبي من الحلاج، ذلك أن الذهبي كان ممن رأى الحلاج صالحًا لأن مظهره يدل على صلاحه، وكان حكمه بناء على القاعدة الشافعية الفقهية وهي: " وأن من كان طائفة من الأمة تضلله، وطائفة من الأمة تُثني عليه وتبجله، وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الحط عليه، فهو ممن ينبغي أن يُعرض عنه، وأن يُفوض أمره إلى الله، وأن يستغفر له في الجملة، لأن إسلامه أصلي بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تستريح ويصفو قلبك من الغل"[7].

---

(1) الحلاج الأعمال الكاملة، الطواسين، عباس، ص279.

(2) انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، ص429.

(3) انظر: شرح الشفا للقاضي عياض، شرحه علي القاري الهروي، ج2/532-534.

(4) تاريخ بغداد، أبو بكر البغدادي، ج688/8، رقم 4185.

(5) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج204/11.

(6) انظر: الحلاج: حقيقته وما هو عليه، الخضرمي وما هو عليه (موقع إلكتروني).

(7) عقيدة الإمام الذهبي، الخراشي، ص164-166.

- وقد استغل المستشرقان هذا الخلاف، في محاولة لتبرئة الحلاج[1]إلا أن ابن تيمية أوضح الإشكال، حيث ذكر أن العلماء اختلفوا في حال الحلاج (المتكلمين والفقهاء والصوفية) كما يلي:

- فالمتكلمون أكثرهم أفتى بأنه كان من الحلولية ولا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر، واتحاده به؛ فهو كافر وجب قتله كالحلاج.
- ومن الصوفية من عده صوفيًا محققًا من الأولياء وادعى أن ما أظهر الله عليه هو من الكرامات[2]، فهناك من ادعى ظهور كرامات له عند قتله منها كتابة الله الله على الأرض بدمه، وإظهاره الفرح عند قتله وغير ذلك، وقد بيّن المسلمون الذين شهدوا قتله كذبها، كما بين ابن تيمية جهل من اعتقد بولايته[3].
- إلا أن أكثر شيوخ الصوفية أخرجوه من الطريق، ولم يعدوه من مشايخ الصوفية؛ بل تبرؤوا منه، وأنكروا حاله ونسبوا له الدجل والزندقة، فلا أحد من العلماء ولا المشايخ ذكره بخير، إلا بعض الناس وقف في أمره لأنهم لا يعرفونه، حيث إنه كان يظهر الإسلام ويبطن الإلحاد[4]، وبعض العلماء امتدح القاضي محمد أبو يوسف المالكي الذي حكم بقتله، وعُد قراره هذا من أصوب القرارات [5].
- أما الفقهاء فكان اختلافهم في الحلاج لأنه أظهر التوبة، فاختلفوا في قبول توبة الزنديق، إلا أن أكثرهم لا يقبلها [6].

ب. الاستدلال ببعض المواقف للإعلاء من شأن الحلاج بعد موته.

يحاول المستشرقان الرفعة من شأن الحلاج بعد موته –رغم ذكرهم عدم وجود من يعتقد به من أهل السنة– ومن استشهاداتهم:

---

(1) انظر: عقيدة الإمام الذهبي، سليمان الخراشي، ص166-167.

(2) انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني، 132-134.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج483/2-484.

(4) انظر: المرجع السابق، ج483/2، 480.

(5) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج172/11.

(6) انظر: مجموع الفتاوي، ابن تيمية، ج483/2-484.

- الاستدلال ببعض الناس الحجاج التي تذهب للتوسل عند قبره، ويرد على المستشرقين بأن ذلك لا يعد حجة على صحة مذهبه، وكما أن التوسل بالميت من التوسل البدعي الممنوع، فهذا دليل على انحراف من يزورون قبره ويتوسلون به[1].
- الاستشهاد بالبحوث الدقيقة التي أجراها المستشرق (L. Massignon) فهي من باب نصرة مواقف أهل الضلال وآرائهم ومدحهم بتحقيق كتبهم وإظهارها، وهذا ما ظهر جليًّا في مؤلفات المستشرق (L. Massignon) الذي تخصص في الحلاج، فجعله صورة من المسيح المخلص، وقد ملئت كتبه عن الحلاج بالأباطيل، منها قوله: " إن الرسول لم ينتهز فرصة الإسراء والمعراج للاتحاد بالله والاندماج في ذاته، كما لم يستطع الصوفيون من بعده تحقيق هذا الاتحاد إلا الحلاج الذي دفع حياته ثمنًا لهذا الاندماج" [2]، فموقف المستشرق (ماسينيونL. Massignon) من شخصية الحلاج لا يُعد حجة لتبرئته، بعد أن أفتى العلماء بقتله لزندقته، كما أورد المستشرقان (ماسينيون، ل كارديه L.Massignon) أنفسهم موقفًا بعض الباحثين الأوربيين يتوافق مع موقف علماء المسلمين في كفره، وتناقض شخصيته[3].

ومن خلال ما سبق يُلحظ أن أسلوب المستشرقين في تتبعهم لشخصية الحلاج متذبذب، فيسردون بعض الآراء المخالفة لمنهج الحلاج، وخلال ذلك يوردون بعض آرائهم المؤيدة للحلاج، فلا يوجد تسلسل في طريقة عرض موضوع الحلاج، وردودهم متضاربة، واستدلالاتهم بعضها منقوص، وبعضها فاسد، حيث أوردا أنه لا أحد من أهل السنة يذكر مصطلح الحلاجية، ثم يستدرك أن البعض مقتنع بالولاية الحلاجية، ثم يورد أنه في الوقت الحالي لا أحد يعتقد بالحلاج ويستدرك أن هناك من يحج ويتوسل بقبره، ثم يورد إدانة القضاة له ثم يستدرك أن هناك أبحاثًا دقيقة أجريت على شخصيته جعلته مشهورًا عالميًا ويرد في معظم كتب الثقافة الإسلامية.

---

(1) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه، الألباني، ص42، والتوصل لحقيقة التوسل، الرفاعي، ص184-185.

(2) انظر: عذاب الحلاج شهيد التصوف، ماسينيونL. Massignon ، نقلًا عن: نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ساسي سالم الحاج، ص213.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، (ماسينيون، ل كارديه L.Massignon)، مادة الحلاج، ج4244/14.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرقان (ماسينيون، ل كارديه L.Massignon):

أ. التدرج المضطرب في الاستدلال مع فساده، ويظهر ذلك في التذبذب في إيراد إيجابيات وسلبيات موقف العلماء من الحلاج.

ب. التأصيل الممنهج للأفكار الفاسدة، كالتأصيل لمذهب الحلاج، بالدفاع عنه، ومحاولة تفسير انحرافاته من خلال التركيز على الإيجابيات وإهمال السلبيات.

ج. إغفال العديد من المصادر والمراجع التي أوضحت موقف العلماء المسلمين من الحلاج، والاعتماد فقط على مصادرهم من خلال مستشرقين أخر.

د. تجزئة المسائل الخلافية، وإيراد الأدلة التي تتناسب مع الجانب الذي يريدون ترجيحه في مسائل الخلاف.

وبهذا يتضح المنهجية التي يتبعها المستشرقون مع الشخصيات والفرق المنحرفة والضالة، من تمجيد ودفاع ونصرة لآرائهم بهدف تشويش الحضارة الإسلامية، متغافلين عن مخالفاتهم بمحاولة تبرئتها، أو إيجاد حلول لها، وكذلك إهمال ذكر موقف أهل السنة والجماعة من المخالفين، أو ذكره بشيء من الغموض والتلبيس.

المطلب الثالث: الانتقائية في التعامل مع الدليل والمدلول.

ذكر العديد من العلماء أن هناك علاقة تكاملية بين الدليل والمدلول، ومنهم ابن تيمية حيث أوضح أن كل دليل في الوجود لا بد أن يكون بينه وبين المدلول تلازم فلا يفترقان[1]، ونتيجة لعدم فهم هذه العلاقة ظهرت المغالطات والتناقضات في التعامل مع الأدلة، ومن ذلك انتفاء التلازم المعرفي بين الدليل والمدلول، وتوهم علة القدح في الأدلة، وتشابه الاستدلال رغم اختلاف مقام الخطاب، ومن أمثلة ذلك في دائرة المعارف الإسلامية:

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج10/122-123.

أولًا: السطحية في فهم نصوص القرآن الكريم.

يتعامل المستشرقون مع القرآن الكريم كأي كتاب، لا يأبهون بقدسيته؛ بل وكثير منهم يعده من تأليف محمد ﷺ، لذلك يُلحظ أن كثير من الأخطاء في بحوثهم مرجعها عدم فهم نصوصه، إما لعدم استعانتهم بالكتب الأصيلة التي توضح ما يشكل عليهم في تفسيره، أو لعجمتهم، فهم ما أجادوا اللغة العربية إلا ويلازمهم القصور في فهم دلالاتها المتعددة، ويتضح ذلك في النموذج التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald) في مادة(الله) تحت عنوان (عقيدة الجاهليين في الله)، قوله: " وليس من السهل دائمًا أن نميز بين آرائهم وبين تفسير محمد ﷺ لهذه الآراء، وبخاصة بين الألفاظ التي استعملوها هم، والألفاظ التي استعملها هو، ومما لا شك فيه أنهم اعتبروا بعض الآلهة بنات لله (سورة الأنعام، الآية 100؛ سورة النحل، الآية 57؛ سورة الصافات الآية 149؛ سورة النجم، الآية 21)؛ مثل اللات والعزى ومناة أو منات (انظر: سورة النجم، الآية 19، 20)... على أننا لا نستطيع أن نقول أكان أهل مكة قد أطلقوا على هؤلاء الآلهة لفظ (شركاء)، وربما كانت تسميتهم لهم (بالملائكة) أقل احتمالًا، وكان أهل مكة في جميع الأحوال العادية يعبدون هذه الآلهة دون الله"[1]، وبهذه الدعوى يظهر محاولة المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald) تزييف الحقائق بدعواه أن محمدًا ﷺ استفاد من الكفار في تأليف القرآن، كذلك تظهر سطحية المستشرق في قراءة نصوص القرآن.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

أورد المستشرق مجموعة من المغالطات من أبرزها:

أ. **ادعاء أن محمدًا ﷺ استفاد من الكفار في تأليف القرآن.**

نهج المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald) منهج غيره من المستشرقين في التعامل مع القرآن الكريم على أنه من تأليف محمد ﷺ، فهنا يُلحظ أن المستشرق يحاول إثبات دعواه بالربط بين الألفاظ التي يستعملها المشركون وبين الألفاظ التي جاءت في القرآن الكريم بأنه لا يمكن التمييز بينهما، ومما يؤخذ على المستشرق تجاهله أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية ولغة قريش، التي تُعد من أفصح اللغات وأوضحها، قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، (ماكدونالدD.B.Macdonald)، مادة الله، ج1008/4-100.

الشعراء195، كما بيّن ابن عباس أن القرآن نزل بلغة قريش ليفهموا ما فيه[1]، فلا غرابة من تشابه الألفاظ بين القرآن ولغة قريش، وكما هو معلوم أن القرآن معجزة تحدى الله بها أهل قريش فيما يجيدونه، كما أنه معجزة إلى يوم القيامة.

ب. السطحية في التعامل مع نصوص القرآن.

أورد المستشرق أن أهل مكة اعتبروا الأصنام بنات الله مستدلًا ببعض الآيات لتأكيد قوله، ومن هذه الأدلة، التي ساقها في استدلاله:

- قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ الأنعام100، وبالرجوع لكتب التفسير المعتمدة كتفسير الطبري والقرطبي وُجد أنهم ذكروا أن المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله، وسموهم جنًّا، بينما النصارى ادعت أن المسيح ابن الله، واليهود ادعت أن عُزيرًا ابن الله تعالى الله عما يقولون[2].
- أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ** ﴾ النحل57، فهنا نسب المشركون البنات لله تعالى، فنسبوا له ما يكرهون وذلك أنهم كانوا يفضلون الأولاد على البنات، فإذا بشر أحدهم بالأنثى اسود وجهه[3]، وكذلك الآيات التي استدل بها ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ**﴾ الصافات149، ﴿ **أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى**﴾ تأتي بنفس تفسير الآيات السابقة[4].
- أما قوله تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**﴾ النجم 19-20، فهذه أسماء للآلهة التي كانوا يعبدونها ويعظمونها فقد سموا آلهتهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدست أسماؤه إلا أنهم أنثوها لتتناسب مع ادعائهم أنهم بنات الله وهذا من الأقوال الضعيفة، بينما ابن عباس فسر اللات بأنها اسم رجل يلت في الأسواق ويبيع السويق مات فقدسوه بعد موته، وفسرها آخرون أنها حجارة أو شجيرات كانت تعبد[5]، ومما سبق يُلحظ أن المستشرق أُشكل عليه فهم النصوص، فجانب الصواب، وخالف الدليل، وذلك يظهر

---

(1) انظر: معالم التنزيل، البغوي، ج128/6، والأحرف السبعة، أبو عمرو الداني، ص61.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج9/11، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج53/7.

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، ج227/17.

(4) انظر: المرجع السابق، ج117/21، 525/22.

(5) انظر: المرجع نفسه، ج522/22-525، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج99/17-100.

تفسيره السطحي للآيات، ومن ذلك تأكيده على أن العرب كانت تعتبر الآلهة بنات الله، وفي الحقيقة أن العرب كانت تزعم أن الملائكة هي بنات الله، ولكن لم يجعلوها آلهتهم، بل كانوا يعبدون الأصنام (مناة، واللات، والعزى) ويعدونها آلهتهم التي تقربهم إلى الله.

ج. نفي إطلاق أهل مكة على الآلهة لفظ شركاء.

يشكك المستشرق هل أطلق أهل مكة على الآلهة لفظ (شركاء) أي هل عدوهم شركاء لله تعالى، والقرآن قد بيَّنَ هذه المسألة في قوله تعالى:﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾الرعد16، معنى ذلك هل جعل المشركون هذه الآلهة التي لا تنفع ولا تضر تناظر الله في الخلق، والله هو خالق كل شيء[1].(الأنعام 136)

ومن خلال ما سبق يتضح أن المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald) أورد بعض الأدلة مستشهدًا بها على أقواله؛ لكن هذه الأدلة لا تتطابق مع المدلول، ومن هذا يتجلى عدم وقوفه على الآيات، ومظانها من كتب التفسير المعتمدة فأُلبس عليه الأمر، فترتب على ذلك نتائج مغلوطة.

3. النقد المنهجي:

من أشهر المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald):

أ. اعتماد المنهج العكسي[2] في إيراد الحقائق، وذلك بأن أورد المستشرق حقيقة وجود ألفاظ مشتركة بين القرآن الكريم ولغة قريش (اللغة العربية) وقلبها متعمدًا إلى عكسها ليحقق غاية يرومها وهي إثبات أن القرآن من تأليف محمد ﷺ.

ب. انتفاء التلازم المعرفي بين الدليل والمدلول، ومن ذلك الاستدلال بأدلة لا تتناسب مع المدلول الذي أورده، كاستدلاله بالآيات التي توضح أن المشركين يدّعون أن الآلهة بنات الله، ففي الحقيقة أن المشركين زعموا أن الملائكة بنات الله، ولم يدعوا أن الآلهة بنات الله.

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج405/16.

(2) المنهج العكسي: هو أن يأتي المستشرق بأخبار صحيحة، ثم يعكسها عمدًا ليحقق أهدافه وغاياته. انظر: مجلة الجامعة الأسمرية، مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، ثائر الحلاق، عدد24، ص276.

ج. الانتقائية في اختيار المصادر والمراجع، ويتضح ذلك من اعتماد المستشرق على مصادر المستشرقين السابقين دون الالتفات إلى كتب التفسير المعتمدة.

د. التقليل من قيمة المصدر الأساسي وهو القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول للتشريع، ويتضح ذلك من إسقاطه وتغافله عن بعض الآيات التي تدلل على عدم صحة ادعائه.

ومن خلال ما سبق يتضح أن بعض المستشرقين ينتهجون منهج الانتقائية في اختيار الأدلة، والمنهج العكسي في تفسيرها لتتناسب مع ادعاءاتهم، حتى لو لم يتناسب الدليل مع مدلوله، وكذلك يسقطون الأدلة التي تتعارض مع أهدافهم التشكيكية في القرآن الكريم.

ثانياً: التكذيب بحقيقة شهر رمضان.

فرض الله ﷻ الصيام على جميع الأمم لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ البقرة183، كما جعله الله تعالى ركنًا من أركان الإسلام، إلا أن هناك خلافًا على وقت الصوم وقدره بين الإسلام والديانات السابقة، وقد استغل بعض المستشرقين هذا الخلاف في التشكيك بشهر رمضان كما في النموذج التالي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (بلسنر[1] M.Plessner) في مادة (رمضان)، قوله: "ولم ينته بعد الجدل حول أصل هذه الفريضة، ونزيد هنا على ما ذكر في البحوث التي قام بها (كويتين F. Goitein) وهو يلفت نظرنا بخصوص هذه الآية [2]إلى التوافق بين رسالة محمد ﷺ ونزول الألواح الثانية من شريعة موسى عليه السلام، وقد جاء في الروايات اليهودية أنها أنزلت في يوم الكفارة (عاشوراء، ولعل هذا اليوم هو الأصل في قيام رمضان) فكان ذلك في الواقع هو السبب في سن هذه الفريضة، ويذهب كويتين إلى أن الحل الأول الذى اتخذ في هذا الشأن هو الاستعاضة عن عاشوراء بالأيام العشرة (أيامًا معدودات، سورة البقرة، الآية 184) لا بشهر كامل، وهذا يتفق وأيام التوبة العشرة عند اليهود السابقة على يوم الكفارة والتي بقيت إلى يومنا هذا ماثلة في أيام

---

(1) بلسنر M.Plessner: (1900–1973م) مستشرق يهودي، ولد في ألمانيا، استقر في فلسطين، كان يدرس اللغة العربية لليهود، من مؤلفاته: كتاب في تعلم العربية؛ كتبه باللغة العبرية الحديثة، بل مجموعة مقالات " دراسة عن ابن وحشية"، بعض المواد في " دائرة المعارف الإسلامية" تعد ضعيفة المستوى لا قيمة علمية لها. انظر: المستشرقين، بدوي، ص131.

(2) ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة 185

الاعتكاف العشرة، وإذا تدبرنا إلى ذلك أن آراء المسلمين في ليلة القدر (الآية 1) تتفق من عدة نواح مع يوم الكفارة عند اليهود فإنا نخلص من ذلك إلى ترجيح آراء كويتين بعض الترجيح على الرغم مما يعترضها من صعوبات لا تنكر ناجمة عن تأريخ الحوادث (تغير أجل الصوم في مدى زمن جد قصير) وعلى الرغم من أنه لم يستطع أن يعلل تعليلًا مرضيًا استقرار فريضة الصوم عند شهر برمته"[1]، يبذل المستشرقون جهداً مضنيًا في محاولة إفراغ الشعائر الإسلامية من حقيقتها، ففي النص السابق يزعم المستشرق (بلسنر M.Plessner) وجود خلاف حول فريضة شهر رمضان، كما يزعم وجود توافق بين نزول القرآن ونزول الألواح على موسى – حيث يدعي نزول الألواح يوم الكفارة– ؛ فكلاهما نزل في شهر رمضان الذي هو بديل عن يوم عاشوراء؛ فكان هذا سبب فرض رمضان، كما يرجح أقوال (كويتينF. Goitein) الذي ادعى اتفاق العشر الأواخر مع أيام التوبة، وليلة القدر مع يوم الكفارة، رغم إقراره بصعوبة تعليلها، وفي ذلك أورد المستشرق عدة مخالفات، كما سيتم بيانه فيما يلي:

النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (بلسنر M.Plessner) العديد من المغالطات في النص السابق، ومن هذه المغالطات:

أ. ادعاء أن شهر رمضان بديل عن يوم عاشوراء، ومحاولة إثبات دعواه.

يذكر المستشرق (بلسنر M.Plessner) و(كويتين[2] F. Goitein) أن هناك جدلًا حول أصل فريضة الصيام، وتوصل من خلال التوافق بين شريعة محمد ﷺ ونزول ألواح موسى عليه السلام، ومما ورد في الروايات اليهودية أن يوم عاشوراء هو السبب في سن فريضة رمضان، ويُرد على أقوال المستشرق كما يلي:

الرد الأول: الجدل الذي يلمح له المستشرق باطل لا أساس له، وقد ذكر القرآن أن الصيام فرض على الأنبياء والأمم السابقة، إلا أن الاختلاف كان في وقت الصوم وقدره، فقيل إن رمضان كتب على قوم موسى وعيسى إلا أنهم بدلوا وغيروا في وقته وعدد أيامه، فصارت النصارى تصوم خمسين يومًا في فصل الربيع[3]، بينما قال آخرون: إن الصيام كان في بداية

(1) دائرة المعارف الإسلامية، بلسنر M.Plessner، مادة رمضان، ج5197/17.

(2) كويتين F. Goitein :(لم أجد ترجمته)

(3) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج195/1، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج274/2.

الإسلام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، كما كان مكتوبًا عند اليهود، وعند الأمم السابقة من زمان نوح، ثم بعد ذلك نسخت الأيام برمضان[1].

الرد الثاني: دعواه التوافق بين نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ، ونزول الألواح على موسى عليه السلام مستدلًا بالروايات اليهودية، فيرد عليه:

- أن القرآن الكريم نزل في ليلة القدر، وقد بيّن الله هذه الحقيقة في سور القدر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾القدر 1.
- أما دعواه أنها نزلت في (يوم الكفارة)[2] فهو ادعاء باطل لأن يوم الكفارة هو اليوم العاشر من أكتوبر– حيث أن اليهود يؤرخون بالتقويم الشمسي–، يصوم فيه اليهود مدة 27 ساعة من قبل غروب اليوم التاسع من أكتوبر إلى ما بعد غروب اليوم الذي يليه[3]، أما يوم عاشوراء فهو العاشر من محرم.

الرد الثالث: ورد نصوص في الصحيحين تبين فضائل يوم عاشوراء، لكن ليس كما يدعي المستشرقان ومن ذلك:

- أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: {كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ}[4]، وقيل أن سبب صيامه في الجاهلية أن قريشًا أحدثت ذنبًا، فصاموه لتكفيره، ولعلهم عرفوا فضله من الشرائع السابقة[5].

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج275/2، وتفسير القرآن العظيم، ج497/1.

(2) يوم الكفارة: هو عبارة عن طقوس تكفير للذنوب، وتطهير الشعب والهيكل تطهيرًا كاملًا من الخطايا التي تعد نجاسة للشعب والأرض والهيكل، فلذلك أقيم هذا اليوم لتطهير بني إسرائيل ومعبدهم مرة كل عام، وتفصيل ذلك في سفر اللاويين، الإصحاح السادس عشر. انظر: بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، ج545/4.

(3) انظر: بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، ج544/4.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصوم/ باب صيام يوم عاشوراء، 44/3، حديث رقم2002.

(5) انظر: موسى وعاشوراء، شبكة الألوكة (موقع إلكتروني).

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: {قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ...، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ}[1] من خلال الحديث يتضح أن فرض صيام عاشوراء كان لمدة عام واحد فقط حيث فرض الصوم في السنة الثانية للهجرة، وقد كان صيامه شكرًا لله لأنه نجى بني إسرائيل من فرعون بإغراقه هو وجنده.

أما الإشكالات التي ألبست على المستشرقين عدم إحاطتهم بالنصوص الصحيحة التي تبين ماهية يوم عاشوراء عند المسلمين وفضائله، ومحاولته الربط بين نزول القرآن في رمضان مستدلًا بالآية في قوله تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾ البقرة 185، وبين نزول ألواح موسى عليه السلام يوم الكفارة، لإثبات أن كليهما نزلا في نفس اليوم، لذلك فرض الله رمضان، ويرد عليهما أنه لا دليل على دعواهما، والأدلة التي استندا إليها لا تدلل على ذلك.

ب. الربط بين أيام مخصوصة في التوراة مع أيام مخصوصة في القرآن في سبيل إثبات قوله.

يرجح المستشرق (بلسنر M.Plessner) رأي المستشرق (كويتينF. Goitein) في بعض ادعاءاته ومن ذلك ادعاؤه أن الله استعاض عن يوم عاشوراء بالعشر الأواخر مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ** ﴾ البقرة184، التي هي الأيام العشرة السابقة ليوم الكفارة عند اليهود- العشر الأولى من شهر أكتوبر-، وفي الوقت الحالي العشر الأواخر من رمضان تتفق مع أيام التوبة العشرة عند اليهود، وليلة القدر تتفق مع يوم الكفارة عندهم، وكل هذه الادعاءات لا أساس لها من الصحة كما أنها لا تتفق مع تأريخ الحوادث كما يذكر المستشرق (بلسنر M.Plessner)، ورغم إقراره بذلك إلا أنه يرجح آراء (كويتينF. Goitein) .

من خلال ما سبق يتضح محاولة المستشرقين إثبات أن شهر رمضان نابع من عاشوراء، وكل هذا لتحقيق غاياتهم التي يسعون لإثباتها وهي أن الدين الإسلامي مأخوذ من الديانة اليهودية.

1. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أورها المستشرقان (بلسنر M.Plessner) و(كويتينF. Goitein) :

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصوم/ باب صيام يوم عاشوراء، 44/3، حديث رقم2004.

أ. الانتقائية في اختيار الأدلة، رغم انتفاء التلازم المعرفي بين الدليل والمدلول.

ب. إيراد العديد من المسائل دون دليل؛ بل كلها ترجيحات وتخمينات لا مصدر لها.

ج. الاعتماد على آراء غيره من المستشرقين، وإهمال الرجوع إلى المصادر الشرعية التخصصية التي تناولت موضوع رمضان ويوم عاشوراء.

د. إغفال الروايات الصحيحة التي وردت في كتب الصحاح، والتي تذكر فضائل شهر رمضان ويوم عاشوراء.

هـ. المبالغة في بيان استقاء الدين الإسلامي من الديانات الأخرى، بإرجاعه إلى مصادر خارجية كاليهودية.

من خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرقين لا يكلون عن محاولاتهم لإثبات أن القرآن الكريم متأثر باليهودية، وأن تشابه الشرائع والأحكام ما هي إلا تجديد لما كان في التوراة – مع أن الإسلام لا ينكر حقيقة الكتب السماوية السابقة وأن جميعها من مصدر واحد، إلا أنه بيّن أن الكتب السابقة تعرضت للتحريف والتبديل– وفي سبيل ذلك يلجؤون إلى استخدام العديد من الاستدلالات المغلوطة التي لا تتناسب مع المدلول.

المطلب الرابع: تعميم الأحكام وإطلاقها دون قيد.

يُعد ضبط الأحكام وتقنينها في دراسة العقيدة الإسلامية من قواعد النقد العلمي الصحيح، ولكن هناك من المستشرقين من خالف هذه المنهجية خلال دراسته للعقيدة الإسلامية فأطلق الأحكام وعمَّمها فكان ذلك مدخلًا للانحراف، والزيغ عن جادة الصواب مما أدى إلى اللبس والغموض في العديد من دراساتهم، كما يتضح في النماذج الآتية:

أولًا: الطعن في أهل الحديث.

من المعلوم أن أهل الحديث كان لهم دور عظيم في حفظ السنة النبوية من الضياع والتحريف، كما أنهم كانوا يميزون الأحاديث صحيحها من سقيمها، متبعين منهجية معينة ذات ضوابط لا يمكن الحيد عنها في سبيل حفظها من الشوائب، إلا أن كثير من المستشرقين حاول الطعن بأهل الحديث، ومنهم (ماكدونالدD.B.Macdonald)، كما يتضح من المثال الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald)، في مادة (الله جل جلاله)، قوله: " وفى هذا التطور تظهر ثلاثة اتجاهات وتبقى دائمًا؛ فهناك النقل: أي قبول العقائد لأنها اتبعت ثم لقنت من قبل، وأصحاب النقل يسمون "أهل الحديث" فهم يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، وعندهم أن العقل لا يجوز أن يرجع إليه لا في النقد ولا في التأويل، بل أوجبوا الإيمان بما بلغهم كما هو"[1]، يخلط المستشرق هنا بين الحق والباطل حيث يتهم أهل الحديث على عمومهم بأنهم مجرد نقلة، وعقولهم معطلة.

2. النقد العلمي للمضمون:

يسعى المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald) للطعن في أهل الحديث وذلك باعتبارهم مجرد نقلة لا عمل لعقولهم، وفي ذلك أورد المستشرق بعض المغالطات منها:

أ. الادعاء بأن أهل الحديث مجرد نقلة للحديث.

لا يمكن إنكار أن أهل الحديث اهتموا اهتمامًا كبيرًا بنقل الأحاديث، لكن ليس كما يحاول أن يوهم المستشرق بأنهم مجرد نقلة للحديث؛ بل هو علم له أصول وقواعد يُعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد، ومباحثه وعلومه كثيرة متعددة ويسمى ذلك العلم (علم الحديث النبوي) اختص بدراسة الحديث رواية ودراية[2]، يقصد بالرواية العلم الذي يشتمل على نقل أقوال وأفعال رسول الله ﷺ وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها، أما المقصود بعلم الحديث دراية علم يعرف منه حقيقة الرواية؛ وشروطها؛ وأنواعها؛ وحال الراوي؛ وأصناف المرويات، وما يتعلق بذلك[3].

كما يتطلب ذلك أن يكون أهل الحديث ممن يؤمنون بعصمة النص القرآني، متبعين لسنة رسول الله ﷺ في تفسيره وتوضيح مقاصده، واستنباط أحكامه وفوائده وليس كما يقول المستشرق: "فهناك النقل: أي قبول العقائد لأنها أُتبعت ثم لُقنت من قبل"، ومن خلال ما سبق

(1) دائرة المعارف الإسلامية، ماكدونالدD.B.Macdonald ، مادة الله، ج1022/3.

(2) انظر: النكت الوفية بما في شرح الألفية، البقاعي، ج5/1.

(3) انظر: البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، السيوطي، ج229/1-230، وفتح الباقي بشرح ألفية العراقي، أبو يحيى السنيكي، ج91/1-92.

يتضح خطأ المستشرق في حكمه على أهل الحديث، وأكد على ذلك البغدادي عندما ذكر أن العلم هو الفهم والدراية مع الإتقان، وليس فقط الإكثار والتوسع في الرواية[1].

ب. الدعوة لتقديم العقل على النقل(تمجيد الطوائف التي قدمت العقل على النقل).

أما ادعاء المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald) أن أهل الحديث يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، وعندهم لا يجوز أن يرجع للعقل لا في نقد ولا تأويل، فهنا المستشرق جانب الصواب في بعض قوله، فهو على حق في أن أهل الحديث على عمومهم يأخذون بالأدلة السمعية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع، ولكنه خالف الصواب بدعواه أنهم يعطلون العقل، فمن المعلوم أن العقل من مصادر التشريع عند المسلمين، ولا يمكن لأهل الحديث إهماله، فكما سبق بيانه فعلم الحديث يحتاج إلى سعة عقول لتمييز صحيح الحديث من سقيمه، واستنباط الأحكام الفقهية من خلاله، كما أن القرآن الكريم دعا إلى إعمال العقل؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ الغاشية17، فهنا يتضح مدى العناية الإلهية بتعليم الإنسان قيمة التفكير، واستخدام العقل حتى يدرك اليقينيات الكونية؛ لكن دون مغالاة بتقديمه على النقل، كما فعلت بعض طوائف المتكلمين كالمعتزلة حيث أدى بهم ذلك إلى تأويل النصوص، وتحريفها، فوقعوا في الشبهات وتنازعوا فظهرت نتيجة لذلك العديد من الفرق التي تبدع بعضها بعضًا، فكلما كان الإنسان عن السنة أبعد كان التنازع والاختلاف بين معقولاتهم أعظم[2].

من خلال ما سبق يتضح أن أهل الحديث (كمالك بن أنس والشافعي وأحمد رحمهم الله وغيرهم) من أكثر الطوائف إعمالًا لعقولهم، حيث استفاضت اجتهاداتهم، واستنباطاتهم الدالة على ذلك، بخلاف ما يحاول أن يوهم المستشرق.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (ماكدونالدD.B.Macdonald):

أ. إطلاق الأحكام جزافًا، وتعميمها دون وجه حق، ومن ذلك ادعاؤه أن أهل الحديث يأخذون فقط بالأدلة السمعية، ولا يعملون عقولهم فهم مجرد نقلة.

---

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج255/4، رقم 1535.

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج156/1-157.

ب. تصويب منهجيات استدلالية، وتخطئة أخرى؛ أو التقليل من شأنها، دون مستند علمي صحيح، وذلك عندما قلل من شأن أهل الحديث، وادعى أنهم لا يُعملون عقولهم.

ويتضح من خلال ما سبق انتقاص المستشرق أهل الحديث، بادعاء أنهم مجرد نقلة، لا يجوزون استخدام العقل.

ثانيًا: التدليس في بيان حقيقة بعض الفرق.

لا يكل المستشرقون في دفاعهم عن الفرق المبتدعة، مستخدمين أساليب متنوعة في سبيل تحقيق هدفهم، ومن ذلك استغلال أنهم مسلمون متجاهلين انحرافاتهم الفكرية، وموقف علماء السنة من هذه الانحرافات، للطعن في الإسلام وأهله، كما في النماذج الآتية:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق(شتروتمان R.Strothmann) في مادة (الشيعة) قوله: " وكانت المبادئ الأساسية لشريعة الشيعة بطبيعة الحال على المنهج الإسلامى...، والشيعة سنيون أكثر كثيرًا من أهل السنة"[1]، وهنا يحاول المستشرق نصرة المذهب الشيعي، مدعيًا التزامه بالمنهج الإسلامي، وعدم حياده عن السنة.

2. النقد العلمي للمضمون:

أورد المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) كثير من المغالطات في محاولاته لنصرة المذهب الشيعي، ومن هذه المغالطات:

أ. ادعاء أن الشريعة الشيعية موافقة للمنهج الإسلامي.

يدعي المستشرق أن المبادئ الأساسية للشريعة الشيعية تتبع المنهج الإسلامي ولا تحيد عنه، ولكن بالرجوع لكتب الشرائع عند الشيعة وُجد أن هناك فروقات في كثير من الشرائع، ومن ذلك:

- حرفوا القرآن، وخطأوا جبريل عليه السلام، وتعرضوا للصحابة بالشتم والسب، وطعنوا بالسيدة عائشة رضي الله عنها[2]، ووضعوا كثيرًا من الأحاديث المكذوبة[3].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية، شتروتمان R.Strothmann، مادة الشيعة، ج6411/20.

(2) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج32/1، 33، 38، 39، 41، والأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، القمي، ص615-616، و بحار الأنوار، المجلسي، ج31/53.

(3) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج60/1، ج510/2.

- المغالاة في حب علي ﷺ، فمنهم من عده وصيًّا، ومنهم من عدّه نبيًّا، ومنهم من عدّه إلهاً[1]، ومنهم من قال بعصمته[2].
- أن لهم صلوات مخصوصة في أوقات معينة لا يقرها الشرع الإسلامي كصلاة أمير المؤمنين، وصلاة فاطمة، وصلاة جعفر، وصلاة النوافل في رمضان محددة عندهم بألف ركعة استحبابًا مقسمة بعد صلاة المغرب والعشاء[3].
- كما أن عندهم من السنن المؤكدة في صيام النوافل صوم يوم الغدير وهو يوم الثامن من ذي الحجة وهذا لم يرد عن رسول الله ﷺ [4].
- وفي النكاح عدّوا زواج المتعة من الدين[5] رغم تحريمه، وغير ذلك من المسائل التي خالفوا فيها أهل السنة وتمتلئ بها كتبهم.

ب. دعوى أن الشيعة الرافضة من السنة.

من خلال نص المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) يُلحظ إجماله في القول، فلم يفرق بين أنواع التشيع:

- التشيع المراد به محبة آل البيت، ومحبة الشيخين أبي بكر وعمر ﷺ، وعدم تفضيل علي ﷺ أو غيره عليهما، وهذا التشيع يشترك به عموم المسلمين، والخلاف الذي حدث بين الموالين لعلي ﷺ، وبين الموالين لعثمان ﷺ كان خلافًا سياسيًا بحتًا، وقد أقر كبار الشيعة من الأوائل والأواخر أن التفضيل كان بين علي وعثمان فقط[6].
- أما التشيع المغالي، فالمقصود به الرافضة(الشيعة الإمامية) الذين رفضوا إمامة الشيخين، وادعوا أن علي ﷺ هو صاحب الخلافة بعد رسول الله ﷺ، وأنهم سلبوه إياها، فكالوا الشتائم للشيخين، كما أنهم أضافوا لذلك كثيرًا من البدع الكفرية من القول بعصمة الأئمة، وتكفيرهم وتفسيقهم عامة الصحابة، والقول بالرجعة، وكان أول من وضع بذرة الروافض ودعا إلى

---

(1) انظر: الفرق بين الفرق، البغدادي، ص223-226.
(2) انظر: الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، القمي، ص68.
(3) انظر: شرائع الإسلام، ابن الحسن، ص88
(4) انظر: وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج9/413-419، وشرائع الإسلام، ابن الحسن، ص161.
(5) انظر: الكافي، الكليني، ج5/270-275.
(6) انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، ج1/13.

هذه البدع الكفرية هو (عبد الله بن سبأ) اليهودي[1]، مع العلم أن عددًا من كبار الشيعة قد طعن فيه، وبين زندقته وكفره، واستغلاله للتشيع الأول لتحقيق مآربه، منهم (الكشي)[2]حيث قال: " إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية" [3] أي المغالاة في التشيع أصلها ابن سبأ اليهودي، وغيره[4].

ومما سبق يتضح مدى تغافل المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) عن حقائق أساسية في نشأة الشيعة وتطورها التاريخي، فقد أجمل القول حين ادعى سنية الشيعة، واتباعهم للتشريع الإسلامي.

3. النقد المنهجي:

أورد المستشرق (شتروتمان R.Strothmann) بعض المغالطات المنهجية منها:

أ. إطلاق الأحكام وتعميمها مما يترتب على ذلك اللبس والغموض في عرض بعض المسائل، كإطلاق المستشرق حكمه بسنية الشيعة جميعهم.

ب. التخليط بين الانحرافات الفكرية عند الفرق الشيعية، وعدم التفريق بين التشيع القائم على حب آل البيت، وهذا مما يشترك فيه عموم المسلمين، وبين الغلو في التشيع، وما يترتب عليه من قدح وطعن في العقائد والتشريعات وغير ذلك.

ج. تجاهل المصادر والمراجع التي تناولت فرق الشيعة وعقائدهم بالتفصيل، وإجمال القول فيهم.

ومما سبق يمكن الخلوص إلى أن إطلاق الأحكام وتعميمها دون قيد يُعد مدخلًا للزيغ والانحراف عن الحقيقة والواقع، وبابًا للتدليس على القارئ خاصة إن كان يجهل حقيقة الشيعة وتاريخهم وعقائدهم.

---

(1) انظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه، ج2/245-247، والفرق بين الفرق، البغدادي، ص223-226.

(2) الكشي: محمد بن عمر الكشي، أبو عمرو، راوي ثقة، من أهم علماء الشيعة، صاحب كتاب "رجال الكشي" من أشهر كتب علم الرجال،(ت:350هـ)، انظر: الثقات الأخيار من رواة الأخبار، آية الله العظمى المظاهري، ص350.

(3) رجال الكشي، الكشي، ص84-86.

(4) انظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ص1204-1206.

المطلب الخامس: الربط بين الأفكار الصحيحة مع ما يناقضها من الأفكار الفاسدة.

ترقى الأفكار، وتزدهر بما تحويه من معانٍ قيمة وصحيحة، وبخلوها من المعاني المنحرفة الفاسدة، لكن هناك من تصدر المجالس العلمية، وخاض في دراسة العقيدة الإسلامية؛ وهو ليس من أهلها، كفئة المستشرقين على العموم، فخلط بين أفكار المخالفين الفاسدة، وعدّها من الفكر الإسلامي، ومن نماذج ذلك ما يأتي:

أولًا: الربط بين فكرة الرجعة وفكرة عذاب القبر.

اهتم المستشرقون اهتمامًا كبيرًا بالفرق التي حادت عن الإسلام، فأحيانًا يسعون لتبرأتهم ونصرتهم، وأحيانًا يوردون مخالفاتهم متغافلين عن ذكر موقف الإسلام منها، من أمثلة ذلك:

1. **عرض المضمون:**

أورد المستشرق(د. جارديه L. Gardet) في مادة (القيامة)، قوله: " ووفقًا لمعظم الاعتقادات السائدة، فإن الأنبياء، والملائكة، والأبرار سوف يجنبون أهوال الموقف، لكن البشر عمومًا "سوف يعرقون ويعذبون" وسوف يغرقون في عرقهم، الذى "سيلجمهم"، مثل ألجمة الخيل[1](انظر، الغزالى: إحياء علوم الدين، القاهرة 1352هـ/1933م، جـ 4، ص 436 – 7)، ويجب أن نشير إلى أن معتقدات الشيعة تشير إلى أول "المبعوثين" بعد فناء العالم والبعث والحشر، وتدعى أنهم سوف يكونون أولئك الأبرار الذين اتبعوا "مهدى" آخر الزمان، وهى عندهم "الرجعة"، ولقد أصر الرافضة على ذلك في القرون الأولى للإسلام، واستمر هذا الاعتقاد قائمًا ليصبح واحدًا من نظريات الإمامة، وارتبط "بعودة" الامام الثاني عشر محمد المهدى "الإمام الغائب"، الذى بعودته ستقوم القيامة، ولقد عارض المعتزلة في ذلك رأى الرافضة وكذلك الأشاعرة"[2]، لقد ذكر المستشرق بعض أهوال يوم القيامة مستدلًا بكتاب (الإحياء)، وكذلك أيضًا أشار إلى معتقد (الرجعة) عند الشيعة بطريقة توهم أنها صحيحة.

2. **النقد العلمي للمضمون:**

ذكر المستشرق (د. جارديه L. Gardet) في (مادة القيامة) بعض أهوال يوم القيامة، وقد أخطأ في ذكر بعضها، ومن أخطائه:

---

(1) انظر: صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، 2196/4، حديث رقم2864.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، د. جارديه L. Gardet، مادة القيامة، ج8432/27–8433.

أ. تعميم حكم العذاب لعموم البشر.

في النص السابق يذكر المستشرق بعضًا من أهوال يوم القيامة بشيء من الغموض، ومن المعلوم أن صفة أهوال يوم القيامة قد وردت في كتب الصحاح ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: {يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُم}[1]، وقوله أيضًا: { تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ،... قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا}[2]، ويكون عرق الناس في ذلك اليوم على قدر أعمالهم، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون عرقهم قليل بالنسبة للكفار، أي كلٌ حسب ذنوبه، وهناك أحاديث أخرى دلت على أنه مخصوص بالأكثرية، ويستثنى من ذلك الأنبياء والشهداء ومن شاء الله[3]، وبهذا عمم المستشرق حكمه دون الرجوع للمصادر الأصيلة من كتب السنة، كما أن الغزالي قد ذكر تلك الأحاديث في كتابه (الإحياء)، وبين فيها أن ارتفاع العرق على الأبدان يكون على قدر منازل الناس من الله تعالى[4]، إلا أن المستشرق أسقط ذلك.

ب. الربط بين عقيدة الحشر عند أهل السنة، وعقيدة الرجعة عند الإمامية.

لا يألو المستشرقون جهدهم في نصرة الفرق الضالة، ومن أوجه ذلك الإشارات المستمرة لأفكارهم المبتدعة مع إغفال ذكر ابتداعهم، وموقف أهل السنة والجماعة منه، ويُلحظ في النص السابق أن المستشرق (د. جارديه L. Gardet) يؤكد على وجوب الإشارة إلى معتقدات الشيعة ومن ذلك عقيدة (الرجعة)، التي تُعد من أساسيات المذهب الشيعي الاثني عشري، لذلك لا بد من توضيح بعض الأمور التي تخص هذه العقيدة:

- الرجعة عند الشيعة: هي العودة بعد الموت في الدنيا قبل البعث النهائي في يوم القيامة، وهو قول أكثرهم، وكانت في بدايتها يختص بها الإمام أي تعني عودة الإمام علي رضي الله عنه ورجعته

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق/ باب قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المطففين 4-6، 8/ 111، حديث رقم 6532.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها، 2196/4، حديث رقم2864.

(3) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج395/11-296.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج4/ 513-515.

كالسبئية[1]، ثم بعد ذلك أصبحت عند الاثني عشرية أكثر عمومًا تشمل الإمام وعامة الناس، ويقيسون أفكارهم الفاسدة بالرجعة على إحياء الله ﷻ قومًا من بني إسرائيل بعد الموت في الدنيا وغير ذلك من المقاييس التي لا تنطبق مع عقيدتهم[2]، فكذلك يحيي الله الأموات قبل يوم القيامة في هذه الأمة، والرجعة تكون بأن يقوم الإمام المهدي من نومته الطويلة، ويحيي الله له ولآبائه جميع حكام المسلمين ومنهم أبو بكر وعمر ﵄، فيحاكمهم على اغتصاب الحكم من علي ﵁ ومن آبائهم الأحد عشر إمامًا لأنهم أحق بالحكم[3].

- بالرجوع إلى كتب الشيعة وُجد هناك من يقول بالرجعة، ومن يرفضها، والكثير من علمائهم أقرها حيث قال القمي: " اعتقادنا في الرجعة أنها حق"، وعنه عن الإمام الرضا ﵇: "من أقر بالتوحيد...، وأقر بالرجعة... فهو مؤمن حقًّا"[4]، أيضًا إمامهم المفيد قال بوجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة[5].
- كما وجد من آل البيت من ينفون هذا المعتقد الفاسد، الذي يدعي الشيعة نسبته إليهم، ومن ذلك ما ورد عن الإمام الحسن بن علي ﵄ {عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِلحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ الشِّيعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا يَرْجِعُ، قَالَ: " كَذَبَ أُولَئِكَ الْكَذَّابُونَ، لَوْ عَلِمْنَا ذَاكَ مَا تَزَوَّجَ نِسَاؤُهُ، وَلا قَسَمْنَا مِيرَاثَهُ}[6]، كذلك { قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: جَاءَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَقَالَ: مَا جِئْتُ حَاجًّا وَلَا مُعْتَمِرًا، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ، مَتَى يُبْعَثُ عَلِيٌّ؟ قَالَ: قُلْتُ: يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَمُّهُ نَفْسُهُ}[7]
- أما الأدلة من القرآن الكريم على بطلانها كثيرة ومنها قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ المؤمنون99-100، وقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ يس31.

(1) انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ص15، ومنهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج510/2.
(2) انظر: الاعتقادات، القمي، ص147.
(3) انظر: الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، الخطيب، ص22.
(4) الاعتقادات، القمي، ص142.
(5) انظر: أوائل المقالات، المفيد، ص46.
(6) مسند أحمد، ابن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة/ مسند علي بن أبي طالب، ج125/2، حديث رقم 1263، إسناده جيد.
(7) السنة، ابن أبي عاصم، ج482/2، حديث رقم997، مقطوع، إسناده صحيح الألباني.

- أما دعوى المستشرق بأن معتقدات الشيعة تشير إلى أول المبعوثين، دون أن يذكر اسمه في ذلك تدليس على القارئ، فعند الشيعة هو الحسين بن علي ﷺ، {أول من تنشق الأرض عنه، ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي‌ﷺ، وإن الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة لا يرجع إلا من مَحَّضَ الإيمان محضًا، أو مَحَّضَ الشرك محضًا}[1]، وهذا مخالف لما ورد في السنة النبوية أن أول من تنشق عنه الأرض هو محمد ﷺ منها قوله ﷺ: {أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[2]، كما أن القول بالرجعة مخالف للعقل، وذلك إن كان مقصدهم من الرجعة العذاب في الدنيا والآخرة فيكون ذلك ظلمًا، وإن كان تعذيبهم في الدنيا فقط فهذا يعني أن عذاب القبر عبث، والله منزه عن ذلك[3].

ومن خلال ما سبق يتضح مخالفة عقيدة الرجعة للقرآن والسنة، كما تناقض علماء الشيعة أنفسهم في قبولها، وكذلك معارضة عدد من الطوائف لها، في حين أن المستشرق (د. جارديه L. Gardet) ذكر العقيدة دون أن يوضح فسادها، ومخالفتها للأدلة النقلية والعقلية.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المغالطات المنهجية التي أوردها المستشرق (د. جارديه L. Gardet):

أ. الترويج لأفكار المخالفين الفاسدة، والترويج لعقيدة الرجعة عند الشيعة، وتأكيد المستشرق على وجوب التنبيه لها، بقوله: "ويجب أن نشير إلى أن معتقدات الشيعة"[4].

ب. الجمع بين المعاني الصحيحة والمعاني الفاسدة المنبثقة عن الأصول الفكرية الفاسدة للآخرين، ومن ذلك الجمع بين صحيح ما جاء عن أهوال يوم القيامة، وبين الفكر المنحرف للشيعة المتمثل بعقيدة الشيعة دون بيان فساد هذا الفكر، مكتفين بِبَيان من خالفهم.

ج. إهمال المصادر والمراجع الشرعية التي تناولت موضوع أهوال يوم القيامة، ومعلوم أن ذلك من الغيب الذي لا بد من الرجوع فيه لكتب الصحاح عند دراسته، ولا يمكن إنكار أن كتاب (الإحياء) قد ذكر المسألة بشيء من التفصيل لكن المستشرق أهمل ما ذكره الغزالي من أحاديث صحيحة.

---

(1) بحار الأنوار، المجلسي، ج39/53.

(2) سنن ابن ماجة، ج1440/2، حديث رقم 4308، صححه الألباني.

(3) انظر: السيوف المشرقة ومختصر الصواعق المرسلة، الألوسي، ص600.

(4) دائرة المعارف الإسلامية، د. جارديه L. Gardet، مادة القيامة، ج8432/27.

ومن خلال ما سبق يمكن الخلوص إلى أن المستشرقين استخدموا العديد من الأساليب المنهجية الفاسدة في سبيل نصرة أفكار المخالفين، كالإشارة إلى معتقداتهم، وعدم التنبيه على مخالفاتهم الفكرية والعقدية لأهل السنة والجماعة، والانتقائية في اختيار المصادر والروايات عند الاستدلال.

ثانيًا: إحياء الأفكار المنحرفة عند الفرق القديمة.

تُعد فرقة المعتزلة من الفرق القديمة، إلا أن هناك محاولات مستمرة لإحياء أفكارها، وتقويتها، كما يظهر في النموذج الآتي:

1. عرض المضمون:

أورد المستشرق (د. جمرت D. Gimaret) في مادة (المعتزلة)، قوله: " بل هم رجال علم الكلام، فهم مثل غيرهم من المسلمين، ينزعون للتفسير الصحيح للقرآن، وبيان العقيدة الحقة، ولكن المعتزلة عقلانيون بالمعنى الصحيح للكلمة، بمعنى أنهم يرون أن هناك إدراكات تدرك بالعقل في غيبة النص أو بالأسبقية عليه دون لجوء لتنزيل، فوجود الله يدرك بالعقل، ولذا هم يعتبرون أن الواجب الأول على الإنسان هو معرفة الله عن طريق العقل من حيث هو حي قادر حكيم سميع بصير، وأنه ليس بجسم، مكتف بذاته (غنى)، عادل، لا يريد شيئًا سوى ما فيه الخير، وهكذا، وفقط حينما يثبت، بالعقل أيضًا، صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، (وهو ما يثبت بمعجزاته)، عندئذ يؤخذ بالقرآن، والقرآن في الواقع لا بد أن يؤكد كل ما ثبت بالعقل، وأي تعارض ظاهري بين النص والعقل يجب تأويله، كما ذكر سابقًا، سوى تأكيد ما أقره العقل"[(1)]، وهنا يحاول المستشرق تبرئة المعتزلة بادعاء التزامهم بالقرآن الكريم، مؤكدًا على أن أول واجب عندهم معرفة الله بالعقل خلافًا للسلف مع ضرورة تأويل النصوص عند التعارض الظاهري.

2. النقد العلمي للمضمون:

من المعلوم أن الله كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه، ومن هذا التكريم أن منحه العقل، وجعله مناط التفكير، وخاطبه من خلاله بالتكاليف الشرعية، وأثنى على أهله، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ الزمر18، إلا أن هناك من غالى في استخدامه فجعله حكمًا على الوحي

(1) دائرة المعارف الإسلامية، د. جمرت D. Gimaret، مادة المعتزلة، ج9395/30.

كالمعتزلة، وفي النص السابق يُلحظ حرص المستشرق (د. جمرت D. Gimaret) على الدفاع عن المعتزلة، مما أدى إلى إيراده بعض المغالطات، منها:

أ. تعميم منهجهم العقلي ووصفه بالصحيح.

يدعي المستشرق أن المعتزلة كعامة المسلمين في تفسيرهم للقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية، ففي ادعائه هذا جانب الصواب لأن المعتزلة خالفوا السلف بتعظيمهم العقل وتقديمه على نصوص الشرع، حيث جعلوا المعقولات هي الأصول الكلية المستغنية بنفسها عن القرآن، فالقرآن عندهم تابع للعقل[1]، فأقحموه فيما ليس من حدوده، فترتب على ذلك حيادهم عن الطريق المستقيم، وعن نهج القرآن والسنة[2]، وظهور الانحرافات في منهجهم العقلي كنفي الصفات، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، ونفي رؤية الله في الآخرة، ودعوى أن القرآن مخلوق[3]،

ومما لا يمكن إنكاره أن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، فالشريعة لا تأتي بمحالات العقول، بل قد تأتي بمحارات العقول، ومن المعلوم أن جميع المسلمين يأخذون دينهم من كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه محمد ﷺ، وما اتفق عليه السلف، وأئمتها، وهذا لا يخالف العقل الصريح، وما خالف العقل الصريح فهو باطل، ولا يوجد في الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع باطل[4]، كما أن الشريعة لم تأتِ بمحالات العقول، بل قد تأتي بمحارات العقول.

من المعلوم أن المعتزلة أرادوا الدفاع عن العقائد الإسلامية، والدعوة إليها لمجادلة مخالفيهم وخصومهم كالمجوسية؛ واليهود؛ والنصارى؛ والجبرية إلا أن خصومهم كانوا أقدر منهم على الجدل والمناظرة لذلك لجأوا إلى دراسة الفلسفة اليونانية لكي يتأتى لهم الغلبة على مخالفيهم خصوم الدين الإسلامي، وأدى ذلك إلى ابتعادهم عن أهدافهم الدينية وانصرافهم للفلسفة في محاولات للتوفيق بين الفلسفة والدين[5]، فغالوا بتقديم العقل وجانبوا الصواب.

ومما سبق يُلحظ محاولة المستشرق الربط بين أفكار المعتزلة المنحرفة، وأفكار المسلمين عامة من خلال تعميمه تقديم الجميع للعقل على النقل.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج338/3.

(2) انظر: الاستقامة، ابن تيمية، ج23/1، 101، والتدمرية، ابن تيمية، ص18-30.

(3) لمزيد من التفصيل: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبد الله المعتق، ص51-79.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج490/11.

(5) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة، عواد بن عبد الله المعتق، ص46-50.

ب. **مناصرة منهج المعتزلة في الاستدلال العقلي.**

يحاول المستشرق نصرة المنهج العقلاني المتمثل بالمعتزلة بمدح عقلانيتهم، وبيان أن هناك إدراكات عقلية غاب عنها النص، أو سابقة له استطاعوا بعقلانيتهم الصحيحة توضيحها، كوجود الله وتوصيفه وإثبات النبوة بالمعجزات، ويرد على ادعاءاته التي أوردها بالنص:

الادعاء الأول: إدراك وجود الله بالعقل، ويرد عليه أنه لا يمكن إنكار ذلك إلا أنه لا يُعد إدراك الله بالعقل مُقدم، بل الإنسان يدرك وجود الله بفطرته قبل تميزه بالعقل، فالله تعالى خلق الإنسان وفَطره على إدراك الله، ثم أنزل الكتب السماوية لتدله بأدلتها السمعية والعقلية على الغاية من خلقه لأجلها.

الادعاء الثاني: دعوى أن الواجب الأول على الإنسان معرفة الله بالعقل، ويرد عليه أن علماء الكلام اختلفوا في أول واجب على الإنسان على عدة أقوال:

- منهم من قال: معرفة الله، أو النظر والاستدلال، أو القصد إلى النظر وغير ذلك من الأقوال، فالمعتزلة ذهبت إلى أن معرفة الله لا تنال إلا بالعقل[1]، حيث قال القاضي عبد الجبار: " ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"[2].

- بينما السلف قالوا: إن أول واجب على العبد هو الشهادتان، وعللوا ذلك أن النبي ﷺ لم يدع أحدًا من الخلق ابتداءً إلى النظر أو إلى إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم له هو الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه، واستدلوا على ذلك:

  - بأن هناك كثير من الأحاديث التي تدل على ذلك منها حديث معاذ عندما أرسله الرسول ﷺ إلى اليمن حيث قال له: {إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ}[3].

  - أجمع أئمة المسلمين وعلماؤهم أنه ما علم بالاضطرار من دين محمد ﷺ أن كل كافر يدعى ابتداءً إلى الشهادتين سواء كان معطلًا أو مشركًا أو كتابيًّا، وبذلك ينتقل من الكفر للإسلام [4].

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج107/4.

(2) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص88، وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج45/1.

(3) صحيح البخاري، كتاب الزكاة/ باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، 119/2، حديث رقم1458، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان/ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، 51/1، حديث رقم19.

(4) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج107/4.

- أن القرآن لا يوجد فيه أن أول الواجبات النظر لكل واحد؛ بل كان الأمر بالنظر لبعض الناس، فهو واجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به، قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم** ﴾ الروم8، فهنا المخاطبون هم الغافلون عن الآخرة، أما من قال: إن أول واجب على العبد هو النظر وإثبات الصانع فهو مخالف لما ذهب إليه أئمة الدين وما تواتر عن رسول الله ﷺ، وذلك أن الشهادة تتضمن الإقرار بالصانع، أما مجرد المعرفة بالصانع فلا يصير بها الكافر مؤمنًا، أي إن كان يعلم أن الله رب كل شيء دون الشهادتين لا يجعله ذلك مؤمنًا[1].

الادعاء الثالث: توصيف الله تعالى باستخدام العقل، فقد بيّن السلف المغالطات التي وقع فيها المعتزلة نتيجة تقديمهم العقل من نفي للصفات، حيث إنهم أثبتوا أن الله عالم بدون علم، حي بدون حياة، وغير ذلك مدعين أن إثبات الحياة والعلم والقدرة لله تقتضي تشبيهًا، وتجسيمًا، ومن يتصف بهذه الصفات فهو جسم، والله ليس بجسم[2]، في حين أن الآيات كانت صريحة في هذه المسألة، قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ الشورى11.

الادعاء الرابع: دعواه أن صدق رسالة النبي ﷺ تثبت بالعقل أولًا، ويكون إثباتها بالمعجزات، يرجع إلى أن آيات الأنبياء عندهم دليلها جنس يختص بها وهو خرق العادة، ولا يجوز وجوده لغير النبي، مما أدى إلى إنكارهم السحر والكهانة، وكرامات الأولياء.

ج. جعل القرآن تابع للعقل.

لا يكل المستشرق عن مدح المنهج العقلي الذي تتبعه المعتزلة في التعامل مع القرآن والسنة، فجعل القرآن تابعًا للعقل[3]، مخالفًا المنهج السلفي في تقديمه مصادر التشريع الأصيلة (القرآن والسنة) على جميع المصادر ومنها العقل، فالقرآن كرّم العقل؛ بل جعله مناط التكليف[4]، دوره التفكر في النصوص، وتدبرها لا التحكم فيها ومحاكمتها، فالعقل مهما بلغ من الكمال يبقى قاصرًا، ودليل ذلك اختلاف المعتزلة أنفسهم في كثير من المسائل العقدية منها كما أسلفنا في مسألة "الواجب الأول على الإنسان معرفته".

---

(1) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج107/4.

(2) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، ص143، والنبوات، ابن تيمية، ج265/1.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج338/3.

(4) انظر: الموافقات، الشاطبي، ج209/3.

د. الجنوح للتأويل التعسفي.

دعوى أن أي تعارض بين النص والعقل يجب تأويله، دعوى صريحة لتحريف القرآن، وإفراغ نصوصه من مضمونها، فالنقل الصحيح لم يخالف العقل الصريح، وما خالف العقل الصريح فهو باطل، ولا يوجد في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة باطل؛ بل الباطل ينتج من سوء فهمهم لألفاظ الكتاب والسنة[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أن المستشرقين لا يكلون عن محاولاتهم نصرة الأفكار المخالفة للإسلام من خلال نصرة وتمجيد حامليها، ومن ذلك نصرتهم للمذهب المعتزلي الذي يقوم على تقديم العقل على النص، رغم المخالفات العقدية التي أدت إلى ذلك وبيان علماء السلف لها.

3. النقد المنهجي:

من أبرز المخالفات المنهجية التي أوردها المستشرق (د. جمرت D. Gimaret):

أ. تأصيل أفكار المخالفين المنبثقة عن أصول فكرية فاسدة، ومن ذلك الترويج للفكر المعتزلي القائم على تقديس العقل المنبثق من الفكر الفلسفي اليوناني.

ب. إحياء أفكار الفرق القديمة وعقائدها، وذلك بمدح منهج الاستدلال العقلي المطلق لدى المعتزلة.

ج. تقديم مصادر التشريع الأقل رتبة (العقل) على الذي يعلوها رتبة (القرآن)، وذلك بالدعوة لتقديم العقل على النص في حال وجود تعارض بينهما بتأويل النص، مع العلم بامتناع وجود تعارض بين النص الصحيح والعقل الصريح، وإن وُجد يكون لقصور من العقل، لا من النص الصحيح.

د. تعميم الأحكام وإطلاقها، كتعميم الحكم على جميع المسلمين باتباعهم المنهج العقلي الذي يدعون صحته.

من خلال ما سبق يُلحظ أن المستشرقين لا يحيدون عن منهجيتهم في سبيل نصرة الفرق المخالفة فكريًّا وعقديًّا لأهل السلف، وذلك من خلال ادعائهم المستمر بالتزامهم بالتفسير الصحيح للقرآن، وبيانهم للعقيدة الحقة مهملين ذكر مخالفاتهم رغم تنويه العلماء لها، وتوفر

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج490/11.

المصادر التي تبين انحرافاتهم، إلا أن المستشرقين يصرون على التشكيك في العقيدة الإسلامية، وهدم التراث الإسلامي.

كما يُلحظ من النماذج السابقة التي تم إيرادها مخالفتهم لقواعد النقد العلمي خلال دراستهم للمسائل العقدية، فعمموا الأحكام دون استثناء، وأوردوا العديد من الأدلة الانتقائية المخالفة للمسائل التي ناقشوها، وعملوا على الربط بين الأفكار الصحيحة والسقيمة للتلبيس على القارئ.

الخاتمة

وبعد الانتهاء من الدراسة يمكن تحديد أهم النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

أولًا: أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

1. يعد المستشرقون الإسلام بأنه خلاصة الكتب السابقة، وقد ألفه محمد ﷺ من مجموعة اقتباسات تحصل عليها من اليهود والنصارى وغيرهم، متغافلين عن وحدة مصدرهم.
2. التدليس في إيراد الحقائق الشرعية، والخروج عن مقاصدها، ويرجع ذلك لاعتمادهم على الكتب غير التخصصية في دراستهم للعقيدة الإسلامية؛ وتقرير العقائد، كاعتمادهم كتاب الفهرست، وكذلك اعتمادهم الكتب غير الموثوقة عند المسلمين كاعتمادهم على كتب القصص، واعتمادهم على مصنفات أسلافهم من المستشرقين دون الرجوع لمظانها الصحيحة، وأيضًا تجزئتهم النصوص والأدلة الصحيحة لتناسب أهدافهم.
3. الانتقائية في اختيار الكتب المعتمدة كالتركيز على كتاب تفسير الطبري، وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي.
4. الانتقاص من مكانة بعض الصحابة خاصة المقربين من النبي ﷺ، وممن لهم دور في الإعلاء من شأن الإسلام كأبي بكر، وزوجات النبي ﷺ كالسيدة عائشة رضي الله عنها.
5. الانتقاص من العلماء السنيين، واتهامهم بالتشدد والتعصب، مثل ابن تيمية، وابن القيم وغيرهم.
6. التأصيل الممنهج لأفكار وآراء أهل البدع والضلال، ومن ذلك الاهتمام بالطوائف والفرق المخالفة(المنتسبة للإسلام كالفلاسفة وغلاة الصوفية والشيعة والباطنية) للإسلام، بتمجيد روادها، ونصرة آرائهم ومحاولة تبرئة أفعالهم وتبريرها، كتمجيد المعتزلة، والفرق الصوفية، وأعلامهم، وذلك لتشويش العقيدة الإسلامية (لأنهم يعدوهم من المسلمين فهذا مدخل للطعن في الإسلام).
7. المبالغة في التشكيك غير المنهجي، كالتشكيك بالثوابت المعرفية، حيث يكثر في الدائرة العبارات التشكيكية التي تهدف زرع الوهن في العقيدة الإسلامية.
8. تصويب منهجيات استدلالية، وتخطئة أخرى، أو التقليل من شأنها، ويظهر ذلك من تحريفهم كثير من الحقائق الثابتة بالنص والروايات المتواترة، والتركيز على الأحاديث والروايات الضعيفة التي تتناسب مع النتائج المقررة لديهم.

9. محاكمة الأفكار طبقًا لمصطلحات مبتدعة، أو قصور فهم عن إدراك حقيقة النصوص، أو طبقًا لأفعال بعض جهلة المسلمين، تعميم هذه الأحكام دون استثناء.
10. القصور في استخدام المناهج العلمية خلال دراستهم للعقيدة الاسلامية.
11. عدم الموضوعية والنزاهة في دراسة القضايا الغيبية، والوقائع التاريخية.

ثانيًا: أهم التوصيات:

1. دراسة مخالفات المستشرقين المنهجية في دراسة آل البيت من خلال دائرة المعارف الإسلامية.
2. دراسة منهج المستشرق منتيجمري وات من خلال دائرة المعارف الإسلامية.
3. دراسة مقارنة بين نسخ دائرة المعارف الإسلامية في دراستهم لمسائل العقيدة الإسلامية.
4. توصية طلبة الشريعة الإسلامية بدراسة منهج المستشرقين في دراسة الشرائع والعبادات من خلال دائرة المعارف الإسلامية.

أسأل الله ﷻ أن يكون هذا الجهد المتواضع خالصًا لوجهه الكريم

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً: المراجع العربية

1. *إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة*، حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط2، 1414 هـ.
2. *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط2، 1405 هـ – 1985م.
3. *الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر*، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1394هـ/ 1974م.
4. *أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . التبشير – الاستِشراق – الاستِعمار*، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق، ط8، (د.ت).
5. *الأحرف السبعة للقرآن*، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: د. عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة – مكة المكرمة، ط1، 1408هـ.
6. *أحكام القرآن*، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، 1405 هـ
7. *أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية*، علي بن نايف الشحود، تاريخ الاطلاع: 14 يناير 2020م. الرابط: https://arablib.com/harf?view=book&lid=6&rand1=ZEdqUzNRZTJ6OWNN&rand2=QFBSaGkoUVNaTU9v
8. *أحكام أهل الذمة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، رمادي للنشر – الدمام، ط1، 1418 – 1997م.
9. *إحياء علوم الدين*، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 2005م.
10. *أخبار الشيعة وأحوال رواتها*، علاّمة العراق السيد محمود شكري الألوسي، تقديم وتعليق: محمد مال الله، (د.ن)، (د.م)، ط1، (د.ت).

11. *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه*، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر – بيروت، ط2، 1414هـ.
12. *أخطاء المنهج الوافد*، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1974م.
13. *الأربعين في أصول الدين*، الإمام فخر الدين الرازي، تقديم وتحقيق وتعليق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، دار التضامن، القاهرة، 1986م.
14. *الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين*، محمد طاهر محمد حسين الشيرازي النجفي القمي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي،، مطبعة الأمير، ط1، 1418هـ.
15. *الاستشراق الجديد*، سهيلة زين العابدين، شبكة مداد، تاريخ الاطلاع: 20 أغسطس 2019م. الرابط: http://midad.com/article/217486/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B4%D8%B1%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF
16. *الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء*، ادوارد سعيد، ترجمة كمال أبو ديب، ط1، 1981م
17. *الاستشراق بين الحقيقة والتضليل*، إسماعيل على محمد، الكلمة للنشر والتوزيع، (د.م)، ط1، 1998م.
18. الاستشراق تاريخه ومراحله، محمد حسن زماني، *مجلة دراسات استشراقية بجامعة المصطفى العالمية*، ع1، 2014م، 175-284.
19. *الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره*، محمد فاروق النبهان، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، 1433هـ-2012م.
20. *الاستشراق في السيرة النبوية*، عبد الله محمد الأمين النعيم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1417هـ-1997م.
21. *الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي*، مازن مطبقاتي، مكينة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1416هـ-1995م
22. *الاستشراق* والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن مطبقاتي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1995م.
23. *الاستشراق والتاريخ الإسلامي*، فاروق فوزي، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1998م.

24. *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري*، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة ، (د.ط)، 1417هـ-1997م.

25. *الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم*، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، دار الوراق، ط1، 2003م.

26. *الاستشراق وتغريب العقل التاريخي*، ياسين عريبي، المجلس القومي للثقافة، الرياض، ط1، 1991م.

27. *الإسلام والحضارة الغربية*، محمد محمد حسين، دار الفرسان، (د.م)، ط1، 1975م.

28. *الاسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين*، أبو الحسن علي الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة، ط3، 1406هـ-1986م.

29. *الإسماعيلية تاريخ وعقائد*، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، مكتبة بيت السلام، 1941-1978م.

30. *أسنى المطالب في شرح روض الطالب*، زكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد محمد تامر، ط1، 1422هـ-2000م.

31. *الإصابة في تمييز الصحابة*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415 هـ.

32. *أصل الشيعة وأصولها*، محمد حسين آل الكاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي،1373هـ،

33. *أصول البحث*، د. عبد الهادي الفضلي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط2، 1427هـ-2007م.

34. *أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق*، مهدي فضل الله، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1 1993م.

35. *الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث*، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط1، 1401هـ.

36. *اعتقادات فرق المسلمين والمشركين*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).

37. *إعراب القرآن*، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.

38. *الأعلام*، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م.

39. *ألفورد ولش،* المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،14 يناير 2020م، الرابط: https://www.iicss.iq/?id=14&sid=2110

40. *الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية*، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، تحقيق: سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان – الرياض، ط1، (د.ت).

41. *البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العلمية*، رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، ط1، 2000م.

42. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، (د.ط)، 1407 هـ - 1986 م.

43. *البرهان في علوم القرآن*، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقتق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ.

44. *البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة*، علي آرسلان آيدين، دار سخا، استانبول، ط1، 1419هـ-1998م.

45. *بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية،* تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط3، 1415هـ/1995م.

46. *بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1426هـ.

47. *تاج التراجم*، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم – دمشق، ط1، 1413 هـ -1992م.

48. *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت).

49. *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك*، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث – بيروت، ط2 ،1387 هـ.

50. *تاريخ بغداد*، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ - 2002 م.

51. *تاريخ دمشق*، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1415 هـ - 1995 م.

52. *تأويل مختلف الحديث*، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، ط2، 1419هـ - 1999م.

53. *تبسيط العقائد الإسلامية*، حسن محمد أيوب، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، ط5، 1403 هـ - 1983 م.

54. *تبصرة الأدلة في أصول الدين*، أبي المعين ميمون النسفي الماتريدي، تحقيق وتعليق: محمد الأنور حامد عيسى، المكتبة الأزهرية للتراث؛ الجزيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2011م.

55. *التبصير في الدين*، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب – لبنان، ط1، 1403هـ - 1983م.

56. *تخريج أحاديث إحياء علوم الدين*، العِراقي، ابن السبكى، الزبيدي، استِخرَاج: أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر – الرياض، ط1، 1987 م.

57. *تخريج العقيدة الطحاوية*، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط2، 1414 هـ.

58. *التدمرية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان – الرياض، ط6 ،1421هـ / 2000م.

59. *تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات*، الحسين بن علي بن عبد الله بن سينا، ترجمة: حنين بن اسحاق، دار العرب للبستاني، (د.م)، ط2، (د.ت).

60. *التعريفات*، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، 1403هـ –1983م.

61. *تعظيم قدر الصلاة*، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط1، 1406هـ.

62. *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ – 1999م.

63. *تلبيس إبليس*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م.

64. *تلخيص كتاب رؤية إسلامية للاستشراق*، أحمد غراب، جمع وإعداد: مساعد صالح أحمد الزوبه، موقع صديد الفوائد، تاريخ الاطلاع: 02 يناير 2020م، الرابط: https://www.saaid.net/bahoth/311.htm

65. *التمهيد*، الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، حققه ونشره: الأب رتشرد مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، (د.ط)، 1957م.

66. *تهافت الفلاسفة*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط6، (د.ت)

67. *تهذيب التهذيب*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ.

68. *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.

69. *التوحيد*، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ط1، (د.ت).

70. *التوسل أنواعه وأحكامه*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، تحقيق: محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، ط1، 1421 هـ - 2001 م.

71. *التوصل إلى حقيقة التوسل – المشروع والممنوع*، أبو غزوان، محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1979 م.

72. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م.

73. *الثقات الأخيار من رواة الأخبار*، سماحة آية الله العظمى المظاهري، تحقيق: مؤسسة الزهراء عليها السلام الثقافية الدراسية، ط1، 1428هـ.

74. *جامع الرسائل*، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، ط1، 1422هـ - 2001م.

75. *الجامع الكبير – سنن الترمذي*، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، (د.ط)، 1998 م.

76. *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

77. *جامع بيان العلم وفضله*، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414 هـ - 1994 م.

78. *الجامع لأحكام القرآن*، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ – 1964 م.

79. *الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع*، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، الرياض، مكتبة المعارف، (د.ط)، (د.ت).

80. جلاء *العينين في محاكمة الأحمدين*، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي، قدم له: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ط1، 1401هـ – 1981 م.

81. *الجنى الداني في حروف المعاني*، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1413 هـ – 1992 م.

82. *الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف الشلف منها قديماً وحديثاً*، ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن للنشر، ط1، 1421هـ–2000م.

83. جهود *علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية*، أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، دار الصميعي، ط1، 1416 هـ – 1996 م.

84. *الحسنة والسيئة*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1، (د.ت).

85. *الحلاج الأعمال الكاملة*، قاسم محمد عباس، (د.م)، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 2002م.

86. *الحلاج:* حقيقته *وما هو عليه، الخضرمي وما هو عليه*، تاريخ الاطلاع: 17 نوفمبر 2019م، الرابط: https://salafcenter.org/3733/

87. *دامغ الباطل وحتف المناضل*، الداعي المطلق علي بن الوليد، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، مؤسسة عز الدين، بيروت، ط1، 1403هـ–1982م.

88. *دائرة المعارف الإسلامية*، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ الاطلاع: 03 يوليو 2019م، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D8%A7%D8%A6%D

8%B1%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8
%B1%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%
A7%D9%85%D9%8A%D8%A9، 2016م.

89. *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط1، (د.ت).

90. *درء تعارض العقل والنقل*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411 هـ - 1991 م.

91. *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية*، رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2011م

92. *دراسات في التاريخ والتراث واللغات، الأصل التاريخي لمفهوم جهنم*، طريف سردست، موقع الحوار المتمدن، تاريخ الاطلاع: 04 فبراير 2020م، الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=304946&r=0,

93. *دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن – دمشق، ط2، 1404هـ.

94. *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405 هـ.

95. *دلائل النبوة*، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406 هـ - 1986 م.

96. دور المستشرقين في خدمة التراث الإسلامي، سامي الصقار، *مجلة المنهل*، *م50*، ع471، 1989، 142-167.

97. *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، ط1، (د.ت).

98. *ذم الكلام وأهله*، شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، ط1، 1418هـ-1998م.

99. *راحة العقل*، للداعي أحمد حميد الدين الكرماني، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1967م.

100. *رجال الكشي*، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، تعليق: السيد أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان، ط1، 1430م-2009م.

101. *الرد الوافر*، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط1، 1393م.

102. *الرد على الجهمية*، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير – الكويت، ط2، 1416هـ – 1995م.

103. *الرد على الخرافيين*، سفر الحوالي، (د.ن)، السعودية، ط1، 1426هـ.

104. *الرد على الزنادقة والجهمية*، أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: محمد حسن راشد، القاهرة، المطبعة السلفية، ط1، 1393هـ.

105. *الرد على الشاذلي في* حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد – مكة، ط1، 1429هـ.

106. *الرد على المنطقيين*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان. (د.ط)، (د.ت).

107. *الرد على النصارى واليهود*، ابن تيمية، تاريخ الاطلاع: 25 نوفمبر 2019م. الرابط: https://foulabook.com/ar/book/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AF-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B5%D8%A7%D8%B1%D9%89-pdf. (د.ت).

108. *رسالة أضحوية في أمر المعاد*، ابن سينا، تحقيق حسن عاصي، دار النشر شمس تبريزي، ط1، 1382هـ.

109. *رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت*، عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط2، 1423هـ/2002م.

110. *الرسالة العرشية*، تقي الدين أبو العَبَاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط1، 1399هـ.

111. رسالة في الصوفية والفقراء، شيخ الإسلام ابن تيمية، تاريخ الاطلاع: 13 ديسمبر 2019م. الرابط: https://ebntaymiah.midad.com/details/27/0/16137.html، (د.ت).

112. *الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين*، نذير حمدان، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، دعوة الحق، (د.ط)، (د.ت).

113. *الروح – الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1395 – 1975م.

114. *الزهد*، أحمد بن حنبل رحمه الله، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، (د.م)، دار ابن رجب، ط2، 2003م.

115. *زهدي جار الله*، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، تاريخ الاطلاع: 06 يناير 2020م، الرابط: http://alqudslana.com/index.

116. *الزيادة والإحسان في علوم القرآن*، محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي، المعروف كوالده بعقيلة، مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، ط1، 1427هـ.

117. *زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار طيبة، الرياض، ط1، (د.ت).

118. *سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد*، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد

عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1414 هـ - 1993 م.

119. *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1412 هـ / 1992 م.

120. *سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية*، أنور الجندي، دار الجيل، بيروت، ط2 ،1405هـ-1985م،.

121. *السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)*، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1400هـ/ 1980م.

122. *السنة*، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي، تحقيق: د. محمد القحطاني، دار ابن القيم – الدمام، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

123. *السنن (المعروف بالسنن الكبرى)*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل – القاهرة، ط1، 1433 هـ - 2012 م.

124. *سنن ابن ماجه*، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ط)، (د.ت).

125. *سنن أبي داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

126. *سير أعلام النبلاء*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.

127. *سيرة ابن إسحاق*، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1398هـ /1978م.

128. *السيرة النبوية (من البداية والنهاية)*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1395 هـ – 1976 م.

129. *السيرة النبوية*، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ – 1955 م.

130. *السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة، وهو: مختصر لكتاب (الصواقع المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة)*، نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي، اختصره وشذبه: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، تحقيق: الدكتور مجيد الخليفة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1429 هـ – 2008 م.

131. *شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي*، أنور الجندي، المكتب الإسلامي، (د.م)، ط1، 1978م.

132. *شذرات الذهب*، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1406 هـ – 1986 م.

133. *شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام*، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، تعليق: صادق الحسيني الشيرازي، دار القارئ، بيروت، ط11، 1425هـ–2004م.

134. *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة*، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة – الرياض، ط1، 1402هـ.

135. *شرح الأصول الخمسة عند المعتزلة*، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1416هـ–1996م.

136. *شرح اختصار علوم الحديث*، إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن اللاحم، المكتبة الشاملة.

137. *شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو*، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ- 2000م.

138. *شرح الشفا*، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421 هـ.

139. *شرح العقيدة الطحاوية*، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1391م.

140. *شرح العقيدة الطحاوية*، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1 - 1418 هـ.

141. *شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة*، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، ط1، (د.ت).

142. *شرح العقيدة الواسطية*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط6، 1421 هـ.

143. *شرح الفقه الأكبر*، أبي حنيفة النعمان بن ثابت، شرح الإمام ملا على القاري، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ط1، (د.ت).

144. *شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية*، شمس الدين ابن قيم الجوزية، شرح: الدكتور محمد خليل هراس، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

145. *شرح الكافية الشافية*، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، حققه وقدم له: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة، ط1، 1402 هـ - 1982 م.

146. *شرح أم البراهين*، أبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي، (د.م)، مطبعة الاستقامة، ط1، 1351هـ.

147. *شرح حديث النزول*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط5، 1397هـ/1977م.

148. *شرح مختصر قواعد الإعراب لابن هشام*، فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، المكتبة الشاملة، (د.ت).

149. *شعر البرعي في ميزان الكتاب والسنة*، موقع مكتبة صيد الفوائد، تاريخ الاطلاع: 12 يناير 2020م، الرابط: http://www.saaid.net/book/index.php .

150. *شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور*، العلامة الحاج الميرزا أبي فضل الطهراني، تحقيق: محمد شعاع فاخر، انتشارات المكتبة الحيدرية، مطبعة شريعت، ط1، 1383-1426هـ.

151. *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1398هـ/1978م.

152. *الشفاعة استحقاق لنا في المسيح يسوع*، بحث وإعداد القس يوساب هاني، مراجعة وتقديم القمص موسى رفائيل، مطبعة الطاحونة بسمالوط، المنيا، ط1، 20016م.

153. *شفاعة القديسين*، الشماس موريس ويصا ديمتريوس، (د.م)، (د.ن)، ط1، (د.ت).

154. *الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين*، ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار أطلس الخضراء، الرياض، ط3، 1430هـ-2009م.

155. *الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية*، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى المقدسي الحنبلى، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1404هـ.

156. *الشيخ الرئيس ابن سينا أحوال النفس رسالة في النفس وبقائها ومعادها ويليها ثلاث رسائل في النفس*، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، دار بيبليون، فرنسا، ط1، 2007م.

157. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

158. *صحيح البخاري" الجامع الصحيح المختصر*"، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط3، 1407هـ – 1987م.

159. *صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د.ط)، (د.ت).

160. *صحيح وضعيف تاريخ الطبري*، الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري، حققه وخرج رواياته وعلق عليه: محمد بن طاهر البرزنجي، إشراف ومراجعة: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1428 هـ – 2007 م.

161. *صحيح وضعيف سنن الترمذي*، محمد ناصر الدين الألباني، القاهرة، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، (د.ط)، (د.ت).

162. *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط2، 1414 – 1993م.

163. *الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية*، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم، الكويت ط4، 1983م.

164. *الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه*، محمد أمان بن على الجامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المجلس الأعلى لإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1408هـ.

165. *الصفدية*، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط2، 1406هـ.

166. *طبقات الشافعية الكبرى*، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د.محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

167. *الطبقات الكبرى*، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ط1، 1968 م.

168. *الطبقات الكبرى*، عبد الوهاب الشعراني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت).

169. *طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)*، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، الطبعة المصرية القديمة، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط1، (د.ت).

170. *طريق الهجرتين وباب السعادتين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط2، 1394هـ.

171. *عبادة أموات أم هي شفاعة القديسين*، جورج حبيب بباوي، موقع الدراسات القبطية الأرثوذكسية، (د.ط)، 2014م.

172. *العبودية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط7، 1426هـ – 2005م.

173. *العدة في أصول الفقه*، القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط2، 1410 هـ – 1990 م.

174. *العظمة*، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة – الرياض، ط1، 1408هـ.

175. *العقد الفريد*، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404 هـ.

176. *العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت، ط1، (د.ت).

177. *عقيدة الإمام الذهبي*، سليمان بن صالح الخراشي، الدار الأثرية، عمان، ط1، 1430هـ-2009م.

178. *العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف – الرياض، ط2، 1420هـ / 1999م.

179. *عقيدة أهل السنة والجماعة*، محمد بن صالح العثيميين، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد، الرياض، ط4، 1422هـ.

180. *العقيدة رواية أبي بكر الخلال*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة – دمشق، ط1، 1408هـ.

181. *العقيدة والشريعة في الإسلام*، اجناس جولد تسيهر، ترجمة وتعليق: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط2، (د.ت).

182. *العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم*، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1415 هـ - 1994 م.

183. *عون المعبود شرح سنن أبي داود*، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1415 هـ.

184. *العين*، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2003م.

185. *غريب الحديث*، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه:عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، دمشق، (د.ط)، 1402 هـ - 1982 م.

186. *الغريبين في القرآن والحديث*، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ – 1999 م.

187. *الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام*، علي عبد الحليم محمود، بحث مقدم لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، 1401هـ–1981م.

188. *غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر*، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي، دار الكتب العلمية، ط1 ، 1405هـ – 1985م.

189. *الفتاوى الكبرى لابن تيمية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ – 1987م.

190. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)، 1379م.

191. *فتح الباقي بشرح ألفية العراقي*، زين الدين أبي يحيى زكريا الأنصاري السنيكي، تحقيق: عبد اللطيف هميم، ماهر الفحل، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ–2002م.

192. *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط7، 1377هـ–1957م.

193. *فرق الشيعة*، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء، بيروت، 1404هـ – 1984م.

194. *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2، 1977م.

195. *فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها*، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة، ط4، 1422 هـ – 2001 م.

196. *الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي،

حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1405 هـ – 1985 م.

197. *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

198. *فصوص الحكم*، محيي الدين بن عربي، تعليق: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط1، (د.ت).

199. *فضائح الباطنية*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، (د.ط)، (د.ت).

200. *فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة*، أبا القاسم البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي، تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، (د.ت).

201. *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط25، 1426 هـ.

202. الفكر الاستشراقي بعد الحرب العالمية الثانية، محمد الدسوقي، *مجلة الوعي الإسلامي*، ع292، 1409هـ.

203. *الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي*، محمد البهي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط10، (د.ت).

204. *الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة*، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط3، 1406 هـ – 1986 م.

205. *في أصول البحث ومناهجه: آليات وتأصيل*، زهران محمد جبر، شبكة الألوكة نقلاً عن كتاب كيف تكتب بحثاً، اميل يعقوب، تاريخ الاطلاع: 29 ديسمبر 2019م، الرابط: https://www.alukah.net/culture/0/21552/

206. *القاديانية دراسات وتحليل*، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة، ط16، 1404هـ– 1983م.

207. *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426 هـ – 2005 م.

208. *القس عبد المسيح بسيط أبو الخير في ميزان العلم*، منتديات الجامع الإسلامية لدعوة أهل الكتاب والرد على المنصرين والمستشرقين، تاريخ الاطلاع: 27 ديسمبر 2019م. الرابط: https://arablib.com/harf?view=book&lid=6&rand1=NEhCJlRkMVFlU2dD&rand2=VVJyJGdETEkxeXVW

209. *القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه*، عبد الرحمن بن صالح الحمود، (د.م)، (د.ن)، ط2، 1418هـ-1997م.

210. *القضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية*، د. أحمد عروة وآخرون، تحرير: د. نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ-1996م.

211. *قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر الجيلاني*، الشيخ محمد بن يحيى التادفي، طبع ونشر مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط1، (د.ت).

212. *القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط3، 1421هـ/2001م.

213. *القواعد في الفقه الإسلامي*، أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار الفكر، القاهرة، ط1، 2005م.

214. *الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل*، عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي الشهير بابن قدامة المقدسي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414 هـ-1994 م.

215. *الكافي*، محمد بن يعقوب الكليني،، منشورات الفجر، بيروت، ط1 ،2007م-1428هـ.

216. *الكتاب المقدس*، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، مصر، ط3، 2008هـ.

217. *كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس*، العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (د.ت).

218. *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.

219. *لسان الميزان*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دائرة المعرف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ط2، 1390هـ/1971م.

220. *لمحات في الثقافة الإسلامية*، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1399هـ-1979م.

221. *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضي*، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط2، 1402 هـ- 1982 م.

222. *المباحث العقدية في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي*، (رسالة ماجستير غير منشورة) جاسم داود سلمان السامرائي، كلية الإمام الأعظم، ، 1431هـ-2010م.

223. *المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام*، محمد البهي، طبعة الأزهر، القاهرة، ط1، 2002م.

224. *المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين*، سيف الدين الآمدي، تحقيق وتقديم حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبه، القاهرة، ط1، (د.ت).

225. *متشابه القرآن*، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: الدكتور عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، ط1، 1997م.

226. مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (د.ط)، 1994م.

227. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م

228. مجموع *فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا، ط2، 1413 هـ.

229. مجموعة *الرسائل والمسائل*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، القاهرة، ط1، (د.ت).

230. *محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين*، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب، وبذيله كتاب تلخيص المحصل للعلامة نصير الدين الطوسي، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، (د.ت).

231. *محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكة*، المستشرق الإنجليزي ويليام مونتجمري وات، ترجمه إلى العربية: الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، راجعه وعلق عليه: الدكتور أحمد الشلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1415 هـ.

232. *مختار الصحاح*، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط2، 1415 – 1995م.

233. *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة*، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، اختصار: محمد ابن الموصلي، دار الحديث، (د.م)، 1422هـ / 2001م.

234. *مختصر العلو للعلي العظيم*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط2، 1412هـ-1991م.

235. *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م.

236. *مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات*، الإمام الحافظ ابن حزم الظاهري، بعناية حسن أحمد إسِبر، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

237. *مراجعات في الفكر والدعوة والحركة*، عمر عبيد حسنة، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، هيرندن – فيرجينيا- الولايات المتحدة الأمريكية، ط2، 1414هـ-1994م.

238. *مراهقة فكرية*، الخطر السفسطائي، تاريخ الاطلاع: 15 أغسطس 2011م. الرابط: http://omeramer2000.blogspot.com/2011/08/blog-post_15.html

239. *مسألة في الكنائس*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العبيكان – الرياض، ط1، 1416هـ.

240. *المستدرك على الصحيحين*، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411 – 1990م.

241. *المستشرقون البريطانيون*، ا. ج آربري، تعريب: محمد الدسوقي النويهي. لندن: وليم كولينز، ط1، 1946م.

242. *مستشرقون سياسيون– جامعيون– مجمعيون*، نذير حمدان، مكتبة الصحوة، الطائف، السعودية، ط1، 1408هـ–1998م.

243. *المستشرقون والقرآن*، عمر لطفي العالم، مركز دراسات العالم الإسلامي، (د.ط)، ط1. 1991م.

244. *المستشرقون*، نجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط3، 1964م

245. *مسند أبي يعلى*، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1404 هـ – 1984م.

246. *مسند إسحاق بن راهويه*، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط1، 1412 هـ– 1991م.

247. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ – 2001 م.

248. *مسند البزار(البحر الزخار)*، أبو بكر أحمد بن عمرو عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتيكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1988–2009م.

249. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

250.*مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان. ط1، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1407 هـ - 1986م.

251.*مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، ط1، (د.ت).

252.*مصطلحات في كتب العقائد، دراسة وتحليل*، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، السعودية، ط1، 2006م-1427هـ.

253.*المُصَنَّف*، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، (د.م)، ط1، (د.ت).

254.*معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي*، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ - 1997 م.

255.*المعتزلة*، زهدي جار الله، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1974م.

256.معجم *اصطلاحات الصوفية*، عبد الرزاق الكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط1، 1413هـ-1992م.

257.معجم *الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414هـ - 1993 م.

258.*المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)*، الدكتور جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، (د.ط)، 1414 هـ - 1994م.

259.*المعجم الكبير*، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، (د.ت).

260.معجم *اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م

261. معجم *المؤلفين*، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).

262. *المعجم الوسيط*، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د.م)، (د.ط)، 2004م.

263. معجم *مصطلحات الصوفية*، عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1407هـ- 1987م.

264. معجم *مقاييس اللغة*، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399هـ - 1979م.

265. *المغازي*، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي - بيروت، ط3، 1409 هـ- 1989م.

266. *المغنـي*، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط3، 1417هـ - 1997م.

267. *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3، 1420 هـ

268. *مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الاسلامية*، خالد القاسم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1431هـ.

269. *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

270. *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، (د.ت).

271. *المقالات والفرق*، سعد بن عبد الله الأشعري القمي، صححه وقدمه وعلق عليه: محمد جواد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطاني، مطبعة حيدري، طهران، ط1، 1321هـ.

272. *مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام*، أحمد سليم سعيدان، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد131، 1998م.

273. *الملل والنحل*، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، دمشق، ط2، (د.ت).

274. *من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام*، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422هـ –2001م.

275. *مناهج البحث العلمي*، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م.

276. مناهج المستشرقين في دراسة الإسلام، ثائر الحلاق، *مجلة الجامعة الأسمرية*، *م12*، ع24، 273–312.

277. *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 هـ – 1992 م.

278. *المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة، السعودية، ط1، 1413هـ.

279. *المنقذ من الضلال*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ط1، 2004م.

280. *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1406هـ– 1986م.

281. *منهج ابن تيمية في الرد على الأشاعرة من خلال درء تعارض العقل والنقل*، د. محمد مصطفى الجدي، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2014م.

282. *المنهج النقدي في استخدام الأسلوب العلمي*، ساسي سفيان، تاريخ الاطلاع: 23 فبرير 2020م، الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28330&r

283. *المنهجية الفكرية الأسس والمفاهيم*، ريناس بنافي، تاريخ الاطلاع: 27 ديسمبر 2019م، الرابط: https://www.politics-dz.com/ .

284. *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، تحقيق: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، (د.ت).

285. *موازين الصوفية في ضوء القرآن والسنة*، أبي عبد الرحمن علي المرتضى بن السيد أحمد الوصيفي، تقديم سعد عبد الرحمن ندا، دار الإيمان، (د.م)، (د.ط)، 2001م.

286. *الموافقات في أصول الفقه*، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1417هـ- 1997م.

287. *موجز دائرة المعارف الإسلامية*، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، ط1، 1418هـ- 1998م

288. *موسوعة الألباني في العقيدة*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، ط1، 1431 هـ - 2010 م.

289. *موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة 1-29*، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة، تاريخ الاطلاع: 17 يناير 2020م. الرابط: https://www.saaid.net/book/open.php?cat=89&book=3709. (د.ت).

290. *موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام*، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، تاريخ الاطلاع: 04 يناير 2020م. الرابط:https://2u.pw/4OtaF ، (د.ت).

291. *موسوعة المستشرقين*، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.

292. *الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية*، قاموس المحيط الجامع، حرف الهاء، هنوم، تاريخ الاطلاع: 02 ديسمبر 2019م، الرابط: http://albishara.net/dictionary/m/?nav_show=1.

293. *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة*، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420 هـ.

294. *الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية*، الشيخ يوسف خطّار محمد، مطبعة نضر، دمشق، ط2، 1999م.

295. *موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية*، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، النبلاء للكتاب، مراكش، المغرب، ط1، (د.ت).

296. *موسى وعاشوراء*، شبكة الألوكة، تاريخ الاطلاع: 31 يناير، 2020م، الرابط: https://www.alukah.net/spotlight/0/62404

297. *موضوعية فليب حتى في كتابه تاريخ العرب المطول*، شوقي أبو خليل، دار الفكر، بيروت، ط1، 1406هـ-1985م.

298. *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1382 هـ - 1963 م.

299. *النبوات*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/2000م.

300. *النفحة العلية في أوراد الشاذلية*، عبد القادر زكي، مطبعة النيل، القاهرة، ط1، 1321هـ.

301. *نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية*، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002م.

302. *النكت الوفية بما في شرح الألفية*، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مكتبة الرشد ناشرون، ط1، 1428هـ - 2007 م.

303. *نوادر الأصول في أحاديث الرسول - النسخة المسندة*، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن المعروف بالحكيم الترمذي، تحقيق: إسماعيل بن إبراهيم متولي عوض، مكتبة الإمام البخاري، ط1، 2008 م

304. *نيل الأوطار*، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1 ، 1413هـ - 1993م.

305. *هداية زاد السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك*، عبد العزيز بن جماعة الكناني الشافعي، تحقيق صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، (د.ت).

306. *الهفت الشريف في فضائل مولانا جعفر الصادق*، رواه المفضل بن عمر الجعفي، تحقيق وتقديم: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1977م.

307. *الوافي بالوفيات*، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، 1420هـ- 2000م.

308. *وسائل الشيعة ومستدركها*، محمد بن الحسن الحر العاملي وميرزا الحسين النوري، مؤسسة النشر الإسلامي، (د.م)، ط2، 1435هـ.

309. *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).

310. *وقاية الإنسان من الجن والشياطين*، وحيد عبد السلام بالي، تقريظ: أبو بكر جابر الجزائري، دار البشير، القاهرة، 1986م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1. *International encyclopedia of the social & behavioral sciences*, Daniel.M.V, Baltes, P. B. (Eds.). 2001.
2. *Merriam Dictionary*. M.W. Merriam Webster, Retrieved on: 15 December, 2019, From: https://www.merriam-webster.com/dictionary/Orientalism , 2001.

قائمة بأسماء المستشرقين

م	اسم المستشرق	الصفحة
34-	هادريان	28
35-	هارتمان	35
36-	هاملتون جيب	26
37-	هروجينه	25
38-	هوتسما	35
39-	وليم موير	24
40-	ووكر	79
41-	يوهان	29